العقيدة القتالية

في الإسلام

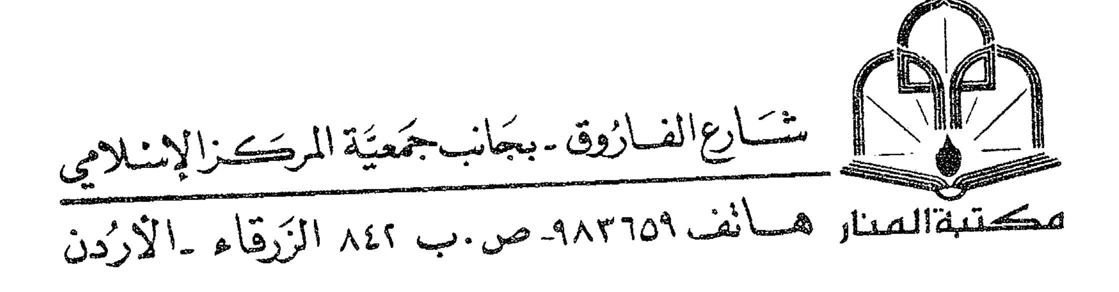


تأليف
الرائد الركن
مد عبد ربه مبارك بصبوص

مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م



العقيدة القتالية

في الإسلام

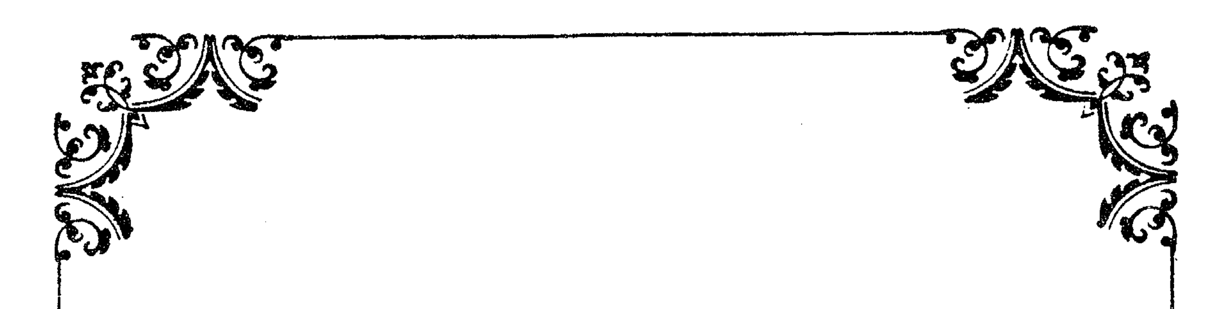
تأليف

الرائد الركن

أحمد عبد ربه مبارك بصبوص

مكتبة المنار

الأردن - الزرقاء



الإهداء

إلى شهداء الإسلام الذين جاهدوا لإعلاء كلمة لا إله إلا الله، فأمنوا للوطن شوكة أدمت من الأعـداء القلوب وأثلجت من المؤمنين الصدور، إلى الذين رسموا أعظم صورة للعقيدة القتالية على هام رُؤوسهم وكتبوا حروفها بمداد من دمائهم وصبغوها برواء مهجهم، فأمدوا تيار الأمة بما يجعله متعاظماً مع الأيام ليأتي على كل متحد يريد منه لحظة غفله أو ساعة ينام فيها ليحقق في الأمة أغراضه من الفساد والدمار فأبقوا كلمة التوحيد وشعار الإيمان عالياً دون النيل منها قرط القتاد أهدي هذا الكتاب وأهديه رسالة حية إلى كلية القيادة والأركان الملكية الأردنية، الصرح الشامخ العظيم، كلية العقل والفكر والمنطق. إلى من تشجع الكلمة الهادفة والنقاش الإيجابي الذي أطلب منها بكل صراحة القول أن يكون موضوع العقيدة القتالية في الإسلام موضوعاً يضاف إلى مواضيع الدراسة والتدقيق، ومناقشته بشكل مثالي وممتاز، حتى يخرج الجميع بتصور كامل ومثالي لمعنى هذه العقيدة العظيمة في كل معانيها وأبعادها وأن تدرس عقائد الأمم للقتال كجزء حيوي وهام من الدراسة العسكرية حتى تتحقق الفائدة المرجوة لقادة المستقبل للوصول إلى أهدافهم بأعلى كفاءة وأقلّ وقت وأقلّ التكاليف وأقل جهد ممكن.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الدكتور علي الفقير
مساعد مفتي القوات المسلحة الأردنية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحابته الغرّ الميامين الذين أبلوا في سبيل الله البلاء العظيم وبعد:

ليس أفصح من الدلالة على مراد الكتاب من أن تطّلع على الموضوع من جوانبه كلها والاستغراق في دراسة فصوله. والمقدمات في الغالب ترسم ملامح الصورة دون أن تبين اللمسات الجمالية فيها وهذا شأني مع البحث الذي أقدمه بعد أن تمت لي دراسته على عجل.

فالموضوع على جانب كبير من الأهمية، والعنوان (العقيدة القتالية في الإسلام) جديد وطريف وهذا ما ألقى ثقلاً على الكاتب من جهة قلة المصادر الإسلامية التي كتبت في هذا الشأن، إضافة إلى أنّ البدايات تكون أصعب في تحقيق الصورة المثالية.

وإني وإن كنت أقدّر للكاتب جرأته في دخول هذا المعترك الخطير إلا أنني أودّ منه وقد رأى بواكير إنتاجه تظهر للوجود، وبدايات إبداعه تأتي في صورة تأليف سيطلع عليها العلماء والمتعلمون، بأن لا يعتبر هذا البحث خاتمة المطاف بل الواجب الديني وأمانة البحث يقضيان بمواصلة الدرس.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ثقافة العسكريين اللغوية تميل إلى التبسيط والتوضيح ضرورة، إنهم يريدون نقل أفكارهم وأوامرهم إلى من دونهم في المستوى الفكري واللغوي فتعنيهم الأفكار دون التركيز على القوالب اللفظية

التي هي في المرتبة التالية للمعاني، رغم تسليمهم بأن المحسنات اللفظية تضفي رونقاً جمالياً على المعاني بحيث تتصف بخصيصة الجاذبية والإبداع.

فما يعنينا في هذا الكتاب (العقيدة القتالية في الإسلام) أمور هي:

١ ـ إن مؤلّفه ذو همة عالية يطرق أبواباً لم يطرقها غيره أو هم قليلون. وهذه هي روح المغامرة التي يحمد عليها المدلجون.

٢ ـ إنه اجتهد والمخطىء في اجتهاده مأجور فكيف بمن وافق الصواب في معظم توجهاته واستنتاجاته.

٣ ـ إنه فتح باباً ولم يغلقه، بل لسان حاله يقول: اتبعوني، وهي روح المقدامية التي يتحلى بها العسكريون وبخاصّة الإسلاميون منهم.

٤ ـ إن البحث يأتي على أحسن ما يطرح على صعيدنا المحلي.

والنجاح يولد النجاح ولا بد من الأخذ بيد أمثاله دفعاً له مستقبلاً نحو الأفضل.

وفي الختام أتمنى للكاتب كل توفيق ونجاح والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الدكتور علي الفقير

مديرية الإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الدكتور علي الفقير

مساعد مفتي القوات المسلحة الأردنية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحابته الغرّ الميامين الذين أبلوا في سبيل الله البلاء العظيم وبعد:

ليس أفصح من الدلالة على مراد الكتاب من أن تطّلع على الموضوع من جوانبه كلها والاستغراق في دراسة فصوله. والمقدمات في الغالب ترسم ملامح الصورة دون أن تبين اللمسات الجمالية فيها وهذا شأني مع البحث الذي أقدمه بعد أن تمت لي دراسته على عجل.

فالموضوع على جانب كبير من الأهمية، والعنوان (العقيدة القتالية في الإسلام) جديد وطريف وهذا ما ألقى ثقلاً على الكاتب من جهة قلة المصادر الإسلامية التي كتبت في هذا الشأن، إضافة إلى أنّ البدايات تكون أصعب في تحقيق الصورة المثالية.

وإني وإن كنت أقدّر للكاتب جرأته في دخول هذا المعترك الخطير إلا أنني أودّ منه وقد رأى بواكير إنتاجه تظهر للوجود، وبدايات إبداعه تأتي في صورة تأليف سيطلع عليها العلماء والمتعلمون، بأن لا يعتبر هذا البحث خاتمة المطاف بل الواجب الديني وأمانة البحث يقضيان بمواصلة الدرس.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ثقافة العسكريين اللغوية تميل إلى التبسيط والتوضيح ضرورة، إنهم يريدون نقل أفكارهم وأوامرهم إلى من دونهم في المستوى الفكري واللغوي فتعنيهم الأفكار دون التركيز على القوالب اللفظية

التي هي في المرتبة التالية للمعاني، رغم تسليمهم بأن المحسنات اللفظية تضفي رونقاً جمالياً على المعاني بحيث تتصف بخصيصة الجاذبية والإبداع.

فما يعنينا في هذا الكتاب (العقيدة القتالية في الإسلام) أمور هي:

١ ـ إن مؤلّفه ذو همة عالية يطرق أبواباً لم يطرقها غيره أو هم قليلون. وهذه هي روح المغامرة التي يحمد عليها المدلجون.

٢ ـ إنه اجتهد والمخطىء في اجتهاده مأجور فكيف بمن وافق الصواب في معظم توجهاته واستنتاجاته.

٣ ـ إنه فتح باباً ولم يغلقه، بل لسان حاله يقول: اتبعوني، وهي روح المقدامية التي يتحلى بها العسكريون وبخاصّة الإسلاميون منهم.

٤ ـ إن البحث يأتي على أحسن ما يطرح على صعيدنا المحلي.

والنجاح يولد النجاح ولا بد من الأخذ بيد أمثاله دفعاً له مستقبلاً نحو الأفضل.

وفي الختام أتمنى للكاتب كل توفيق ونجاح والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الدكتور علي الفقير

مديرية الإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم من قبل السيد عثمان بصبوص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الهادي الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه وبعد.

لقد قرأت كتاب العقيدة القتالية في الإسلام لمؤلفه الأخ الرائد الركن أحمد عبد ربه مبارك ووجدت بأن هذا الكتاب جيد ومفيد والأول من نوعه الذي يتناول هذا الموضوع الهام. فالجيوش بدون عقيدة قتالية تفقد أهم مقوماتها ومظاهر عظمتها وتفوقها على عدوها ووصولها إلى النصر بأقل التكاليف. إنَّ هذا الإنجاز العظيم يدل على حكمة المؤلف وإدراك الأمور بأبعادها. بالإضافة إلى الجرأة المطلقة في قول الكلمة الهادفة مع التوجهات والاستنتاجات المنطقية ولقد كان المؤلف منطقياً في كل كلمة كتبها ويضفي عليها الدليل من كتاب الله وسنة رسوله.

فهو يعطي رأيه بعد إقامة الحجة المقنعة ويسأل القادة والضباط ماذا عندهم من توجهات واستنتاجات لقد كان المؤلف عبقرياً في تفكيره وتصوره فهو مدرك تمام الإدراك دور المدارس الأخرى في غرس عقيدة القتال عند جنودها وبالمقابل بعد مدرسة الإسلام في غرس عقيدة القتال لمنتسبيها. وأذكر من خلال حديث الأخ أحمد لي قبل عامين كان مدركاً لأهمية هذا الموضوع الهام وقال لي إنَّ سمو ولي العهد الأمير حسن بن طلال يهتم بموضوع العقيدة القتالية للجيوش ويرغب بأن يقدم أي ضابط أو كاتب بحثاً حول هذا الموضوع.

ويعتز المؤلف بدولة الإسلام العظيمة التي سجلت تاريخها البطولي كفاحاً

ونضالاً وآباء وأضفت على الجندية كل معاني الفخر والاعتزاز ووصلت حدودها من الصين إلى المحيط الأطلسي. فليس غريباً هذا فكل ضابط مسلم ينتمي إلى جيش المصطفى يعتز بقيادة (محمد صلوات الله وسلامه عليه) مع ذكر إنجازاته العظيمة حول ذلك.

وأنا مع المؤلف بأن يضاف موضوع (العقيدة القتالية في الإسلام) إلى مواضيع الدراسات العسكرية لأهمية هذا الموضوع وفائدته للقادة والضباط ولغرس الروح المعنوية في الجيوش للوصول إلى النصر.

فبارك الله هذا الإنجاز العظيم وبارك الله جهود المؤلف الخيِّرة.

مُقـدّمَـة

١ ـ القرآن الكريم هو أعظم دستور عرفته الإنسانية عبر تاريخها الطويل فقد عالج الحرب كظاهرة اجتماعية هامة في حياة الإنسان. فمنذ وجد الإنسان وجد معه القتال، والعلاقة بين البشر لم تنفصل أبداً بل ازدادت اتصالاً. فقد وجد الإنسان في القتال وسيلة لتحصيل مآربه في الدنيا ويذكرنا بـأول إخوة عاشوا في الكون في اليوم الأول لوجود الإنسان،حصل بينهما صدام وقتال ذهب بأحدهما.

وأصبح الباطل يقوى ومخالبه تشتد ويتصدى لدعوات الحق ويحاول القضاء عليها بهدف منع الحق من الوصول إلى الأهداف السامية والغايات النبيلة. كان لا بد أمام هذه المشكلة من جنود للحـق يحمونه ويدافعون عنه بالمهج والأرواح.وجاء الإسلام، الدين الحنيف وقد فرض الله عز وجل الجهاد في سبيله وعاش به أجدادنا أعزاء أقوياء، امتدت حدودهم في أقل من مائة عام من سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً ومن الصين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً.
وقد سجلت تاريخها البطولي كفاحاً ونضالاً وإباء وأضفت على الجندية كل معاني الفخر والاعتزاز.

٢ ـ تجنب الإسلام لفظ الحرب (بمعنى القتال) واستبدل بها كلمة الجهاد لأن أسباب الحروب متعددة وتكمن في النواحي الاقتصـادية والاجتمـاعية والأيدلـوجية والشخصية. أما الجهاد فهو لإعـلاء كلمة الله. وهذه المهمة

المقدسة من اختيار الله عز وجل ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾[1] فلا ينظر إلى مصلحة أمه دون أخرى، ولا يتحدث عن قوم دون قوم ولا عن زمان دون زمان. وجاء الإسلام بمدرسته العسكرية واضعاً الأسس والمناهج المحددة ضمن ثوابت ونقاط مضيئة وقواعد قويّة.

وأوجب الجهاد من أجل حماية حرية نشر الدين الإسلامي، ومن أجل المستضعفين وحماية الأوطان وطلب من المجاهد أن يقاتل لإعلاء كلمة الله في الأرض لا من أجل حمية زائلة ولا انتماء إلى قبيلة أو طائفة، ووضع للمجاهد عقيدة قتال متميزة عن غيرها من العقائد التي تصوغها وتضع مبادئها القيادات السياسية في ظل ظروف متغيرة من عوامل عسكرية وطبيعية واقتصادية نفسية وسياسية. أما الذي وضع مبادىء العقيدة القتالية في الإسلام فهو رب البشر المجرد عن الأهواء والميول والرغبات الشخصية.. دستور عظيم، مواقف عظيمة، منهج متكافىء بعقيدة ثابتة والمحصلة النهائية إحدى الحسنيين إما الشهادة وإما النصر بأعلى كفاءة وبأقل وقت وبأقل التكاليف وبأقل جهد ممكن.

٣ - وتكمن مصادر هذه العقيدة في القرآن والسنّة، التي تتبوأ مكانة عالية في الشريعة الإسلامية لأنها من لدن حكيم خبير. أنزل القرآن وأودعه كتاباً ﴿أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[2] ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[3] وأنزلها على رسوله بالتعبير الإلهي ومن هنا جاءت أحاديث رسول الله ﷺ منسجمة ومتفقة مع القرآن الكريم، وقد تكفل الله (عز وجل) بحفظ هذا الكتاب على مر العصور دون تغيير أو تبديل ﴿ أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون ﴾[4] فصاحب القرار في عقيدة القتال للمسلم هو الله عزَّ وجل

(١) آية ٧٨.. سورة الحج.
(٢) آية ١ سورة هود..
(٣) آية ٤١، ٤٢.. سورة فصلت.
(٤) آية ٩.. سورة الحجر..

رب البشر والمنفذ هو رسول الله ﷺ فصاحب القرار عظيم، ومنفذ القرار عظيم كذلك.

٤ ـ هناك نظريات للمدارس الأخرى في غرس عقيدة القتال ومن هذه المدارس ما يلي:

أ ـ المدرسة الجبرية.

ب ـ مدرسة تنمية الاتجاهات.

جـ ـ مدرسة العقيدة المجددة.

ونذكر من هذه المدارس تنمية الاتجاهات للولايات المتحدة الأمريكية فهي تدعو مقاتليها للتحفز من أجل الوطن والاعتزاز بأمريكا ويعتمدون على مبدأ يرددونه: نتدرب لكي نقاتل ونقاتل لكي نفوز (We train to fight, we fight to win) وشتان ما بين التحفز للوطن والاعتزاز القومي وما بين إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) وأودّ في هذا المجال أن أذكر بعض ما تمَّ في جولة كلية القيادة والأركان الأردنية في الهند سنة ١٩٨٤، فقد كنا في إحدى الزيارات إلى مدينة كاجوهرا (مدينة المعابد الدينية) المتعددة والمتوزعة في جميع أنحاء المدينة وفي جميع اتجاهاتها وشرح لنا الدليل السياحي عن هذه المعابد ووظائف الآلهة المتعددة. وذكر بأن هناك إلاهاً للحب وإلاهاً للجمال وإلاهاً للشمس باختصار (تخصص إله في كل مجال من مجالات الحياة) وبعد الشرح لفت نظر أحد الهندوس وقلت له من أجل من يقاتل الهندوسي والبوذي؟ ولماذا يقاتل؟ وما هي النتيجة المنتظرة؟ هل يقاتل من أجل إله الحب؟ أم يقاتل من أجل إله الجمال؟ وإله الشمس ما موقفه؟ إنه ينتظر. أعلم بأن المقاتل الشريف له موقف واحد وإله واحد بيده كل نواحي الحياة وهو على كل شيء قدير. أما مدرسة أعداء الإسلام في غرس عقيدة القتال وهي إسرائيل التي جبلت على الجبن والخوف حتى جعلوا إلههم وفقاً لنزعاتهم فهو يحارب نيابة عنهم وهم كسالى متخاذلون (الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون) (الرب يحارب عن إسرائيل) وقد غرست العقلية البغيضة في عقول قادتها من توراتهم المحرفة كما يدعون

قولها (احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها لئلا يصير فخاً في وسطك) وجاء في البروتوكول الحادي عشر (بأن غير اليهود كقطيع من الأغنام أما نحن فإننا الذئاب. وهل تعلمون ماذا تفعل الأغنام إذا ما اقتحمت الذئاب حظيرتها؟ إنها تغمض عينيها وستدفعهم إلى ذلك لأننا سنعدهم بجميع الحريات بعد أن نكون قد استعبدنا جميع الأعداء في العالم وحصلنا على خضوع جميع الأحزاب). فلا أخلاق عندهم في النضال ولا مبادىء سامية وهم يدعون بأن حقهم كان في القوة وصدق الله العظيم بقوله ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾[1].

٥ - طبق المجاهد المسلم أهداف عقيدة المقاتل في غزواته ومعاركه نصاً وروحاً في ميادين القتال، فالكثرة في العدد والعدة كانت دائماً لأعداء الإسلام ومع ذلك استهان المسلمون بوعيد العدو لوعد الله عز وجل إذ قال القائد عبد الله بن أبي رواحة عندما وصلت قوات المسلمين إلى معان في طريقها إلى مؤتة (ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين أما ظهور وأما شهادة) فالمهم في الإسلام ألّا تضعف العقيدة وليس المهم أن يقل العدد. وهذا ما أكده محمود شيت خطاب في كتابه (الرسول القائد) إذ يقول: (إن معارك المسلمين مع المشركين كانت معارك عقائد لا معارك عدد وتسليح) ويقول أيضاً: (إن انتصار المسلمين لم يكن لكثرتهم في أي معركة خاضوها بل كان انتصارهم لعقيدتهم الراسخة)[2] وقد كان لتطبيق القادة لهذه العقيدة معانٍ عظيمة وخالدة على مرور الزمان ويكفي قول خالد بن الوليد إلى حامل البريد الذي جاء بأمر العزل (بلغ أمير المؤمنين أن من حقه أن يعزلني عن القيادة ولكنه لا يملك أن يجردني من سيفي فسأظل حاملاً لهذا السيف في خدمة أمتي). فلا يوجد قيادة ولا قوة في العالم تنزع من الإنسان حبه لله عز وجل ولوطنه وتنزع منه عقيدة قتاله الصحيحة المستقيمة (روح

(١) الآية ٧٦ من سورة النساء.

(٢) ص ٢٦١ الرسول القائد.

القتال). لقد اهتز لهم ولاستشهادهم عرش الرحمن حدث ذلك عند استشهاد سعد بن معاذ في غزة الخندق حينما أوحي إلى رسول الله ﷺ بسؤاله «من رجل من أمتك. مات الليلة اهتز لموته عرش الله؟» «من رجل من أمتك مات الليلة استبشر بموته أهل السماء؟»(لقد كانت حياتهم توبة مجاهد وصوت ضمير واستشهادهم ارتواء من نبع الخلود). ولقد قرأت بتمعن وإدراك معارك الإسلام الخالدة وغزواته ووقفت عندها وتبصرت بمعرفة أهدافها جيداً، وقمت بمقارنة القوى بين المسلمين وأعدائهم في مختلف المعارك والغزوات واطلعت على قرارات القادة لمعالجة المواقف المختلفة وعن أسلوبهم الجيد، في تطبيق العقيدة القتالية دون أي مخالفة أو تحريف وعندها تبين لي بأن عقيدة الإسلام خالدة وكتبت بدماء طاهرة نقية.

٦ ـ لقد أوجب الإسلام على الجندي المقاتل المسلم مبادىء وصفات خالدة منها ذكر الله في ساحة المعركة وعند البأس، والصبر في ميدان القتال والشجاعة في المعركة والرغبة في نيل الشهادة وصفات ومبادىء أخرى. وعندما طبقوها انتصروا في الحرب وانتصروا في السلام وقد طلب منه أن يكون مستقيماً في السلم ومتمسكاً بتعاليم الإسلام والدين الحنيف كيف لا؟ فمن الصعوبة أن يطبق الجندي المقاتل عقيدة القتال في الإسلام بدمه في ساحة المعركة ولا يقيم على شرع الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه في وقت السلم وفي هذا المعنى يقول محمود شيت خطاب في كتابه (العقيدة والقيادة) قائلاً: (إن الذي لا دين له لا يدافع عن الدين، والذي لا عرض له لا يدافع عن أعراض الناس، والذي لا يتحلى بالمثل العليا لا يمكن أن يدافع عن المثل العليا.

هل يمكن أن يدافع الديوثون والبغايا عن الشرف الرفيع؟!
هل يمكن أن يدافع المتنكر للمثل العليا عن المثل العليا!.

وبالتأكيد فإن الملوث لا يستطيع أن يقف في ميدان المعركة

ويقاتل كما يقاتل الرجال الشرفاء الأبطال الذين يدافعون عن عرضهم وأرضهم وشرفهم بأمانة جندي الحق وإخلاصه.

وهنا أؤكد بأن المجاهد في ميدان القتال (الميدان الأصغر) لا ينتصر على عدوه إلا إذا انتصر على نفسه في جهاده في (الميدان الأكبر).

٧ - يجب أن تبني أمتنا وكل بلد مسلم عقيدتها القتالية على هدى الإسلام وتبعد عن التقليد والتبعية في الفكر العسكري لأن في عقيدة القتال لدى الأجانب أسراراً خاصة بهم في كافة المجالات النظرية والعلمية فلا تقدم للأمم الأخرى إلا ما يكون قد تقادم به العهد ولا يضر بأدنى حد مقبول في مصالحها وأهدافها القومية والاستراتيجية.

وعندما تغرس العقيدة الإسلامية في ضمير كل مقاتل بشكل متكامل يكون النصر على العدو:
والنصر حق ممنوح لمن يطبق هذه العقيدة العظيمة في أي زمان ومكان ولا يقتصر على زمن المسلمين فقط. والعرب عندهم القدرة على ذلك ويصف «روم لاندو» قدرة العرب على قيادة تلك النهضة الحضارية فيقول «لا يوجد سبب على وجه الإطلاق يبرر الزعم أن العربي فقد الصفات التي مكنت أجداده من أن يقيموا حضارتهم العظيمة فهو لا يزال يملك تلك الرجولة والمروءة، وذلك الاستطلاع العقلي الحاد، وذلك الخيال المبدع» والأمم التي تعتمد على نفسها يتحقق لها الاكتفاء الذاتي في مجالات بناء القوة ويجنبها من الوقوع في المصالح والأهواء والتقلبات المختلفة. وإنه يجب أن نتفق على وضع عقيدة قتالية متكاملة حسب ما جاءت في تعاليم الدين الحنيف ذات مواقف واضحة لمعالجة أمور الحرب بأحداثها ومواقفها المختلفة. وتكون هذه الوثيقة ملزمة لأي مسلم وكل إنسان مستقيم في مجتمع البشرية، لا تحابي ولا تساوم المعتدي وتحدد موقف المسلمين إزاء أي تهديد لبلد مسلم. وأسلوب معالجة أي اعتداءات داخلية من بلد على بلد آخر في ديار الإسلام مع الوقوف وتركيز كافة الجهود نحو عدو مشترك، تصوب له كافة البنادق وهذا العدو لا يحتاج معادلات وحسابات طويلة

لمعرفته فهو عدو الإسلام والمسلمين جميعهم إنها دولة يهود دولة البغي والعدوان.

٨ ـ إن الصراع بين الحق والباطل معركة دائمة ومستمرة لا تنتهي أبداً؟؟ ومكان المسلم أن يكون دائماً في جانب الحق وأبناء الإسلام في جهاد دائم لا ينقطع لتحقيق كلمة الله في الأرض. والأمة الإسلامية مكلفة برفع الظلم عن الأفراد والجماعات في أقطار الأرض بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم وأديانهم لتحقيق العدالة في الأرض قال رسول الله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة).

وإنني مهما كتبت لا أوفي عقيدة الإسلام **الخالدة** حقها ولا أجد إلا قلماً كتب وروحاً ودماً للشهادة في سبيل الله يوفيها بعض حقها.

أحيانا الله سعداء وأماتنا شهداء.

٩ ـ وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر فضيلة الدكتور الشيخ على الفقير الذي قرأ كل كلمة في هذا الكتاب وقام بتقديمه بعد الدراسة والتدقيق.

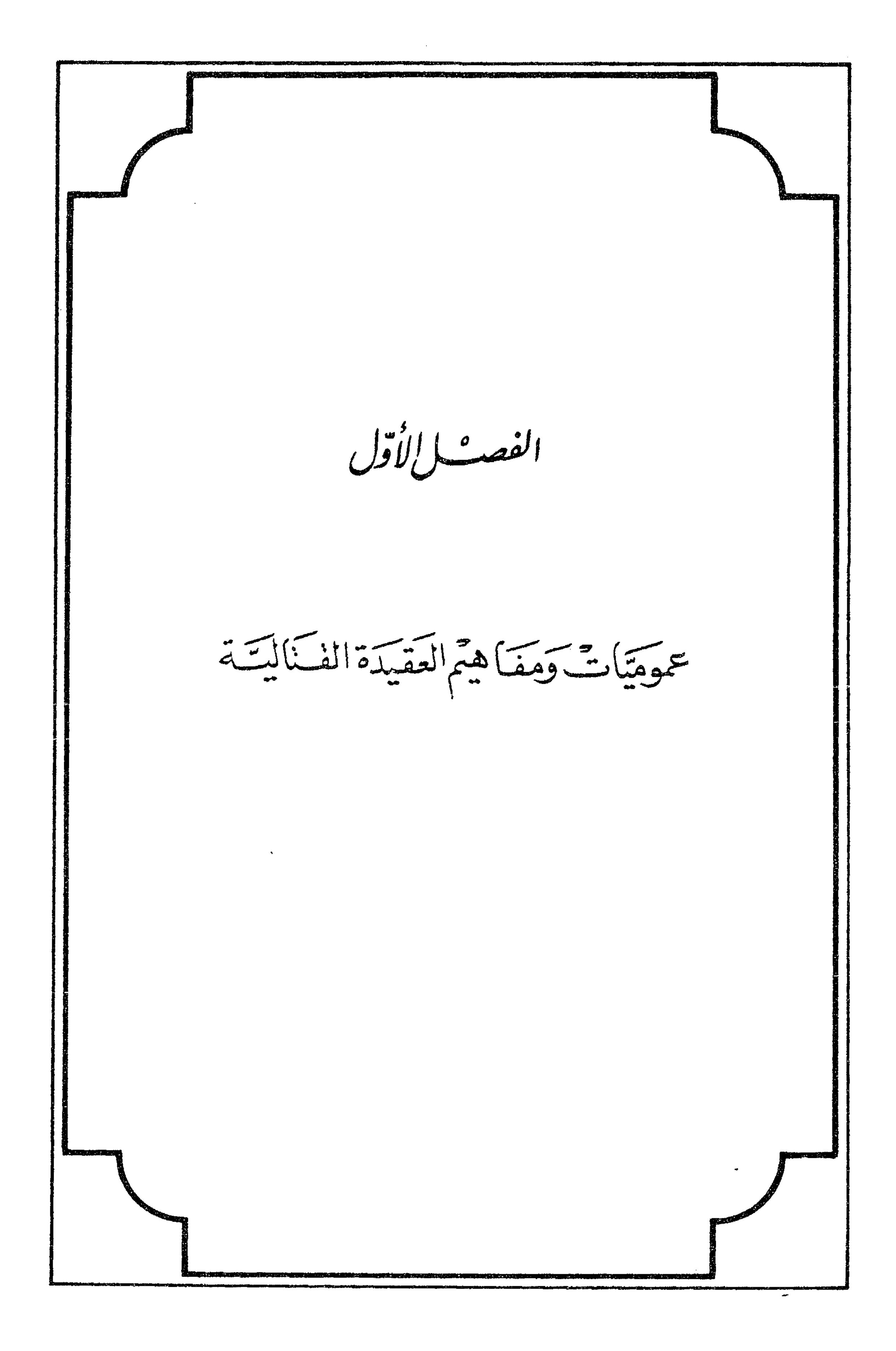
كما أشكر العميد الركن المتقاعد فلاح الرقاد والعميد الركن عبد القادر سعد والعقيد الركن خالد عبد الرحيم أبو رمان على تقديم كل مساعدة وعون لي واهتمامهم بهذا البحث وجهودهم الخيرة حوله.

وأخيراً لن أنسى تقديم الشكر والعرفان إلى زوجتي (أم أيمن) وذلك بمساعدتها لي عاماً كاملاً ووقوفها معي لإنجاز هذه المهمة العظيمة وأذكر جهود شقيقها خالد حمد ضيف الله الدغمي في تحضير المراجع والكتب اللازمة من مختلف المكتبات العامة والخاصة.

والله من وراء القصد أنه نعم المولى ونعم النصير

المؤلف

الرائد الركن: أحمد عبد ربه مبارك بصبوص



الفصل الأول

عموميات ومفاهيم العقيدة القنالية

عموميات ومفاهيم العقيدة القتالية

١ ـ العقيدة القتالية لغةً واصطلاحاً:

يقابل مصطلح العقيدة بالإنجليزية كلمة(Doctrine)والمشتقة من الكلمة اللاتينية(Doctrina)ومعناها الحرفي تعاليم وتعني النظرية العلمية والفلسفية وفي معناها العسكري تعني التصميم التنظيمي والقتالي لخوض حرب متوقعة بما في ذلك أسس وأساليب أعداد القوات وتجهيزها وتدريبها لخوض الحرب بما في ذلك المراجع والإجراءات الثابتة سلماً وحرباً لتحقيق الأهداف المتوخاة للقوات المسلحة والتي تؤدي إلى تحقيق أهداف الأمة. وهناك عدة أسماء ومصطلحات يتداولها العسكريون فهناك من يسميها العقيدة القتالية (Combat Doctrine) وهناك من يسميها عقيدة الحرب (Doctrine of War) وهناك من يسميها عقيدة العمليات (Operational Doctrine) ومنهم من يميزها عن العقيدة العسكرية (Military Doctrine) ويسميها عقيدة القتال (Fighting Ideology) وهو يختص بما يعتنقه أفراد الجيش من مبادىء واتجاهات وأفكار تتعلق بالقضية التي يحاربون من أجلها وهي تتعلق بالجانب الذهبي أو المعنوي مما يطلق عليها أحياناً «العقيدة المعنوية» أو «العقيدة الروحية».

٢ ـ كلمة العقيدة ومفاهيمها المختلفة:

لقد اختلفت التعاريف لهذه الكلمة فمنهم من عرفها بأنها (عقد القلب وجزمه على صحة الأمور وهي بناء سليم يبني النفس البشرية البناء الصحيح). وهذه الكلمة يفتديها الإنسان بكل ما يملك في الوجود وتهون

التضحيات من أجلها وهناك تعريف حول هذا المفهوم (بأنها مثل أعلى يؤمن بها الإنسان فيضحي من أجلها بالأموال والنفس لأنها أغلى من الأموال والنفس)[1] وقد عرفت أيضاً بأنها (الإيمان وقناعة الإنسان برأي أو فكرة دينية أو فلسفية أو سياسية أو حتى بتقاليد اجتماعية، يتقبلها الفكر الإنساني، ويؤمن بها ويرتضي بها لنفسه ولمجتمعه، ويتقبلها دون غيرها بقناعة ناتجة عن حصيلة تفاعل عوامل نفسية وروحية من ذلك الفكر، وعدم التخلي عنها بسهولة ولديه الاستعداد الكامل لحمايتها والذود عنها).

٣ ـ العقيدة القتالية حسب المفهوم العسكري:

لقد تعددت المفاهيم في صياغةُ العقيدة القتالية حسب المفهوم العسكري ومن هذه المفاهيم والتعاريف أنها (عبارة عن مجموعة من الآراء والأفكار أو التعليمات التي تخص العلم العسكري وفن الحرب، والتي تطبقها القوات المسلحة سلماً وحرباً مسترشدة بخبرة من سبقها، وطموحها إلى التطوير وفوق تطورات المستقبل لتحقيق أهداف الاستراتيجية العسكرية، وذلك بشكل تعليمات ومبادىء نظرية وعملية). وقد عرفت أيضاً (بأنها السياسة المنشأة التي توضح وجهة النظر الرسمية للدولة بناء على النزاع المسلح، طبيعة الحرب، أهدافها، وسائل توجيهها وفن تعبئة الدولة والقوات المسلحة للحرب). وقد كان هناك تعاريف أخرى ومفاهيم تجعلها بأنها إحدى الوسائل الهامة والأساسية لتنفيذ سياسة الدولة والتي تبنى عليها الاستراتيجية قولهم (بأن العقيدة العسكرية لأي دولة هي تعبير عن نظرتها الرسمية للحرب كظاهرة تاريخية اجتماعية تمثل إحدى الوسائل الأساسية لتحقيق سياسة الدولة وأهدافها القومية، وهي تحديد الأسس العامة والمبادىء الرئيسية اللازمة لبناء الاستراتيجية العسكرية وتكونها)[2] وقد قرنت بعناصر الحرب وعرفت (بأنها الأفكار والنظريات لتأسيس واستخدام القوات المسلحة والمستنبطة من المفهوم الأساسي لعناصر الحرب في فترة زمنية معينة).

---

(١) بين العقيدة والقيادة للواء الركن محمود شيت خطاب.

(٢) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام (الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد، الرائد جمال الخلفات).

٤ ـ العلاقة بين السياسية العسكرية والعقيدة القتالية والاستراتيجية العسكرية (Military Strategy):

فالسياسة العسكرية تحدد وتبين وتوضح (ضمن سياسة الدولة العامة) وبذلك تحدد الأهداف السياسية للحرب والقتال المتوقع وبهذا يؤدي إلى تعبئة جميع طاقات الأمة وإمكانياتها للقتال بفن استخدام جيد لتحقيق تلك الأهداف. وهي من مسؤولية الاستراتيجية العليا أو الكبرى (Grand Strategy) والتي تنسق وتوجه جميع إمكانيات الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية نحو تحقيق الغاية السياسية للحرب، ومعنى ذلك أن القوات المسلحة ليست إلا أداة واحدة من أدوات الاستراتيجية العليا لتحقيق الأهداف العليا للدولة.

كذلك لا يقتصر اهتمام الاستراتيجية العليا بحالة الحرب فقط، بل يمتد ليشمل حالة ما بعد الحرب، لذلك فإن الهدف البعيد لها هو تحقيق السلام المستقر الدائم واتخاذ كل الإجراءات الكفيلة بتجنب هدم حالة السلم التي تتحقق، فالاستراتيجية العليا باختصار هي «سياسة الحرب».

أما العقيدة القتالية فمهمتها ترجمة الأهداف إلى مهام لإعداد الأمة للحرب ويأتي دورها قبل تحديد الأهداف السياسية بعرض الموقف ويأتي دورها أيضاً بعد تحديد الأهداف وذلك برسم الهيكل العام حتى تتحقق هذه الأهداف.
أما الاستراتيجية العسكرية فتتولى وضع الدراسات التفصيلية لطبيعة القتال المتوقع متقيدة بالأسس والمبادىء التي حددتها العقيدة وتقوم بدورين: الأول يسبق تحديد الأهداف السياسية والدور الثاني بعد تحديد الأهداف السياسية.
وتختص الاستراتيجية بالجانب العسكري فقط من الصراع بهدف تحقيق الأهداف التي حددتها الاستراتيجية العليا، لذلك فهي من اختصاص القيادة العسكرية وتتناول المسائل العسكرية العليا كتوزيع القوات المسلحة على الجبهات وتوزيع إمدادها باحتياجات الحرب وقيادة الحرب عامة على هذا المستوى العالي. وباختصار هي: «فن قيادة الحرب» وتهدف الاستراتيجية العسكرية إلى كسب النصر العسكري فقط. ونلخص الأدوار والمقارنة بما يلي (السياسة تحدد الأهداف السياسية بينما العقيدة تحدد الآراء والمفاهيم والمناهج

لتحقيق تلك الأهداف، وأما الاستراتيجية فتحدد الطرق والوسائل العلمية لتحقيق تلك الأهداف ملتزمة بمبادىء السياسة والعقيدة الموضوعة لها) وباختصار فالاستراتيجية الكبرى هي سياسة الحرب.

والاستراتيجية العسكرية: هي فن قيادة الحرب.

أما التكتيك والذي سيفسَّر بالفقرة «٥» هو فن القتال.

٥ ـ العلاقة بين العقيدة القتالية والتكتيك (Tactics) والفن التعبوي (العمليات) (Operational Art):

كما قلنا بالنسبة إلى **العقيدة القتالية** مهمتها ترجمة الأهداف إلى مهام لإعداد الأمة للحرب بما فيه فن أعداد القوات المسلحة للقتال فهي ضمن مجال واسع جداً. أما **التكتيك** فهو عبارة عن التدابير وأعمال القتال المختلفة والترتيبات الخاصة بالقوات المسلحة وقيادتها والعمليات التكتيكية أثناء القتال الفعلي والتطبيق العملي للاستراتيجية على المستوى الأدنى ويتعلق (بالقتال الفعلي في ميدان القتال) أو (فن القتال) وكما يقول أندريه بوفر (بأنه فن استخدام الأسلحة في المعركة للوصول إلى المردود الأقصى) أو (عملية الاشتباك) حسب رأي باليت.

أي العلاقة محصورة بالتدابير والأعمال التي تعالج القتال في الميدان. أما الفن التعبوي (العمليات) فهو وصول الجندي والقطعات إلى ميدان القتال واستخدامهم بفن له أصوله ومبادؤه حتى يمكن تحقيق النجاح في الوصول إلى الهدف بأعلى كفاءة قتالية (Combat Efficiency) وأقل وقت وأقل التكاليف. وهذا مقياس القادة عن بعضهم البعض (بمقدرتهم) على سرعة الأداء والإنجاز للمهام الملقاة على عاتقهم وهوقريب من مفهوم الاستراتيجية ولكن على مستوى أقل في عملية إدارة الحرب.

٦ ـ العلاقة بين مبادىء الحرب (Principle Ofwar) والعقيدة القتالية:

كما يقول العسكريون (بأن العقيدة القتالية تصمم لتوازن بين العناصر الأساسية للحرب وبين العمليات الدفاعية والتعرضية مع التركيز على معارك

الأسلحة المشتركة والاهتمام بالمرونة الاستراتيجية والتعبوية والسرعة ومبادرة المرؤوسين وروح التعرض لدى القوات).

أما مبادىء الحرب فهي مبادىء ثابتة لا تتغير لأنها مبادىء عامة صالحة لكل زمان ومكان. والأمة تأخذ من هذه المبادىء ما يناسب ظروفها وأوضاعها ويتلاءم مع وضعها الاقتصادي والسياسي والتكنولوجي وموقفها المحلي وإمكانياتها وما يتلاءم مع العوامل الطبيعية والسياسية والنفسية وأي متغيرات جديدة وتستخدم قوتها بناءً على هذه المتغيرات وتصبح تلك المبادىء عقيدتها القتالية بناءً على متغيرات عناصر الحرب في مرحلة زمنية معينة.

٧ ـ ولكي توضح الصورة جيداً ونتمكن من معرفة ماهية العقيدة القتالية بشكل عام. حتى نوازن هذه المفاهيم مع العقيدة القتالية في الإسلام نجد بأنها تنطلق من الأمور الرئيسية التالية[١] التي كتب عنها في نشرات وكتب متعددة ما يلي:

أ ـ أفضل الحلول المتاحة لمواجهة المنازعات سلماً أو حرباً.

ب ـ التقييم السياسي والاجتماعي والأخلاقي للحرب. والأخير يحدد عدالة الحرب وجورها.

جـ ـ التقييم العسكري للنزاع المتوقع مع العدو، من حيث طبيعة ذلك التهديد، وسائط الصراع المسلح المنتظر، مدة الحرب، مجالها الجغرافي ومدى شموليتها وأطراف النزاع فيها.

د ـ موقف الدول الأخرى من الحرب بما في ذلك المنظمات الدولية كمجلس الأمن. وما يترتب على ذلك من قيود سياسية واقتصادية وعسكرية.

هـ ـ مناهج بناء وأعداد القوات المسلحة.

و ـ أشكال وأساليب وإجراءات إدارة الحرب قبل وأثناء وبعد وقوعها.

ز ـ مناهج إعداد الدولة والوطن. شاملة الإجراءات السياسية والاقتصادية والمعنوية والتقنية.

---

(١) نشرة من اعداد اللواء الركن سالم الترك.

ح - تتعلق بالنواحي التقنية (الفنية) بوسائل إدارة الحرب ودور القوات الرئيسية المسلحة - البرية والبحرية والجوية - أدوار صنوف القوات البرية المقاتلة كالمشاة بأنواعها والدروع وكذلك أدوار صنوف الإسناد المتخصصة كالمدفعية والهندسة والاتصالات والحرب الإلكترونية والكيميائية والتموين والصيانة والطبابة والتوزيع الاستراتيجي والأمثل للقوات، وتقييم دور مبادىء الحرب الأساسية المتبناة، وأخيراً إعداد وتدريب مختلف الصفوف ضمن الخطة الشاملة للإعداد.

٨ - العوامل التي يجب دراستها أثناء تطوير العقيدة القتالية:

نجد بأن العقيدة القتالية تتطور مع كل زمان ومكان وتجاري أحداث العصر فنجد بأنه بعد الحرب العالمية الأولى تم وضع عقائد متتالية لكل من فرنسا وبريطانيا وقد عزا العسكري المشهور ماكس وارنو الهزيمة التي لحقت بكل من بريطانيا وفرنسا في المراحل الأولى للحرب العالمية الثانية إلى عقيدتها الخاطئة [١] وهناك عدة عوامل يجب دراستها أثناء تطوير العقيدة القتالية منها:

أ - العوامل الاقتصادية.
ب - العوامل النفسية.
حـ - العوامل السياسية.
د - العوامل الطبيعية.
هـ - العوامل العسكرية.

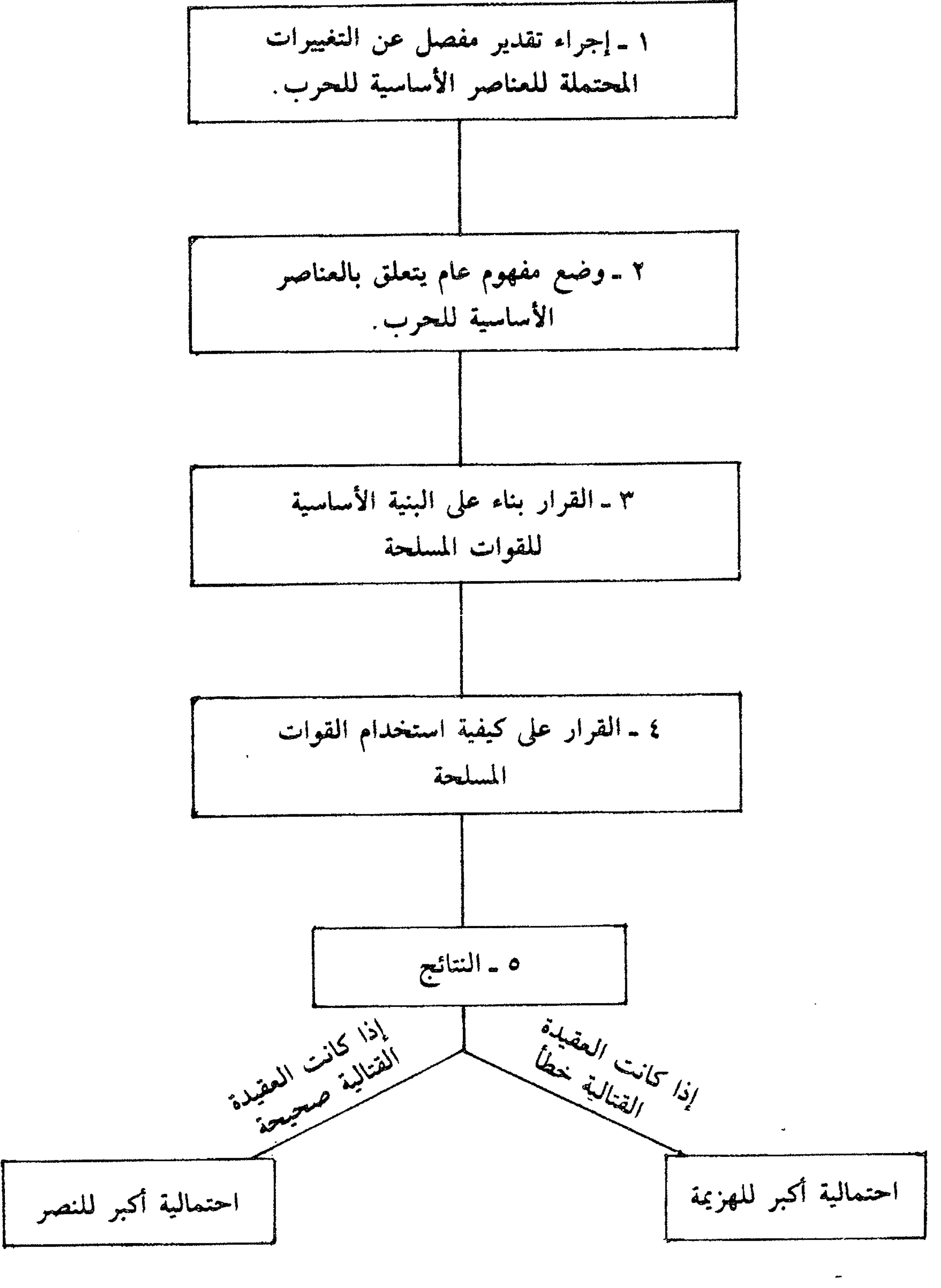
ويظهر في الشكل المرفق خطوات تطوير العقيدة القتالية من إجراء تقدير مفصل إلى وضع مفهوم عام يتعلق بالعناصر الأساسية للحرب ومن ثم قرار على البنية الأساسية للقوات المسلحة وكيفية استخدامها ومن ثم تظهر النتائج فإذا كانت العقيدة القتالية مخطوءة كان هناك احتمالية أكبر للهزيمة. وإذا كانت العقيدة القتالية صحيحة كان هناك احتمالية أكبر للنصر.

---

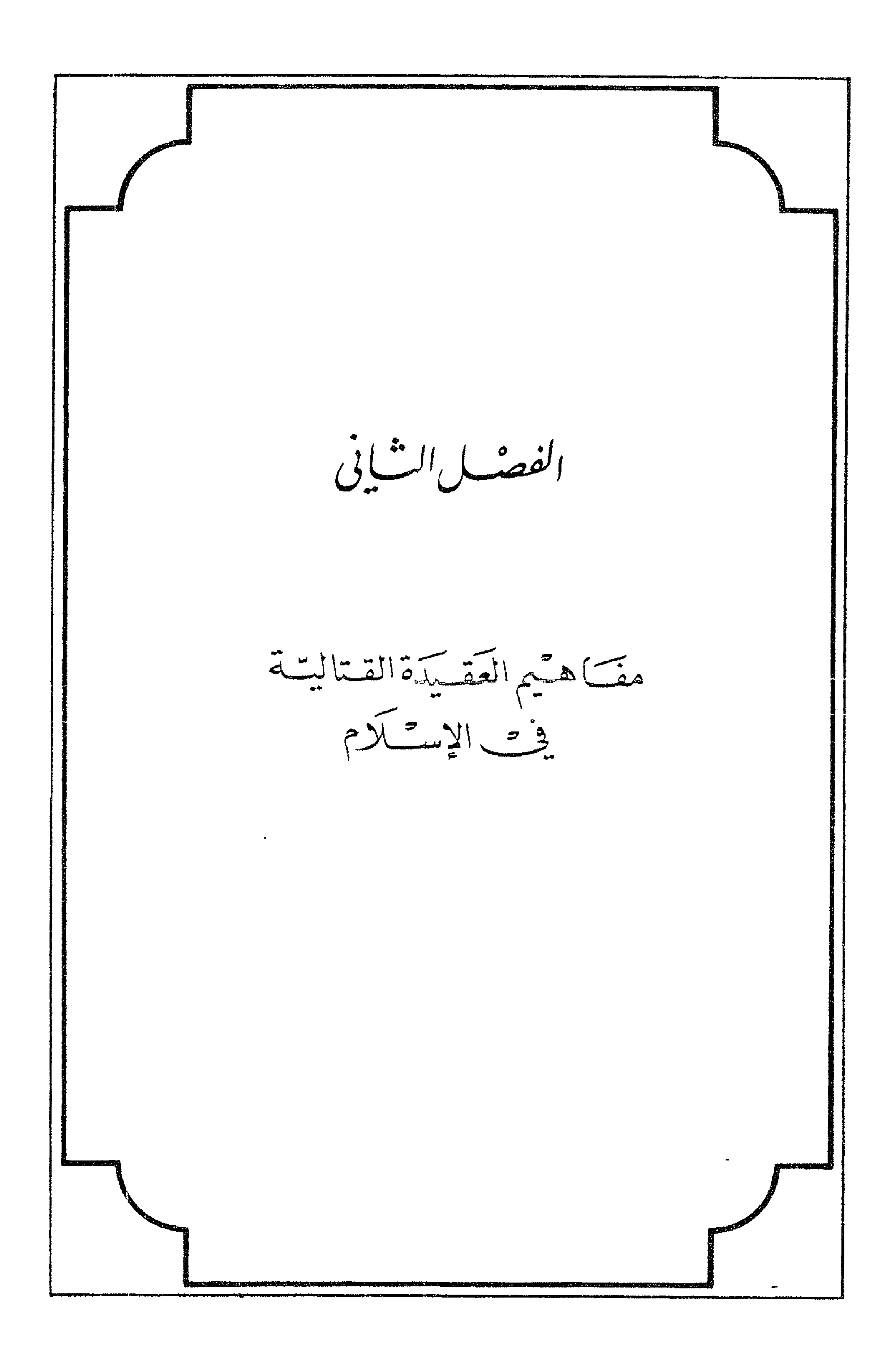
(١) نشرة من إعداد العميد الركن حمزة العزب.

خطوات تطوير العقيدة القتالية

يوضح الشكل أدناه الخطوات المتبعة لتطوير العقيدة القتالية







الفصل الثاني

مفاهيم العقيدة القتالية في الإسلام

مفاهيم العقيدة القتالية في الإسلام

كلمة العقيدة ومفاهيمها المختلفة:

لقد اختلفت التعاريف لهذه الكلمة فمنهم من عرفها (بأنها معتقد حق يصل إلى أعماق النفس ويوجهها التوجيه النافع في الحياة وتعين على السلوك النظيف الذي يمثل الرشد الإنساني والرقي الروحي) وعرفت أيضاً (بأنها التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة. فهي بمعنى الإيمان. يقال: أعتقد في كذا أي آمن به. والإيمان بمعنى التصديق. يقال: آمن بالشيء أي صدق به تصديقاً لا ريب فيه ولا شك معه). وينتظم مفهوم العقيدة والإيمان بعدة أمور منها المعرفة بالله والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا. والمعرفة بدلائل وجوده، ومظاهر عظمته في الكون والطبيعة. والمعرفة بعالم ما وراء الطبيعة أو العالم غير المنظور وما فيه من قوى الخير التي تتمثل في الملائكة وقوى الشر التي تتمثل في إبليس وجنوده من الشياطين. والمعرفة بما في هذا العالم أيضاً من جن وأرواح. والمعرفة بكتب الله التي أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل، والخير والشر والحلال والحرام، والحسن والقبيح. والمعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى، وقادة الخلق إلى الحق. والمعرفة باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء، وثواب وعقاب وجنة ونار. والمعرفة بالقدر الذي يسير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير. وقد ورد في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية أن (العقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده).

مفهوم العقيدة القتالية في الإسلام:

فهي الجهاد لله بكل ما يملك الإنسان من مال ونفس بعقيدة ثابتة وتفاعل روحي وتوجه صادق، وهدف واضح لا يمكن التخلي عنه مع الاستعداد الكامل لحمايته والذود عنه ويحوي هذا الهدف كل القيم النبيلة الهادفة كدفاع الإنسان عن وطنه وأمته دفاع الأبطال الشرفاء. وينطبق هذا التعريف على الأمة كاملة بجهادها بكل ما تملك من إمكانيات ووضعها في فن متكامل لخدمة الأهداف السامية والمقدسة مع استعدادها للبذل والتضحية يقول الله عز وجل: ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾[1] وقال أيضاً: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾[2].

أما الجهاد في سبيل الله فله عدة مفاهيم والجميع يقرنون التعريف ببذل الجهد وكافة الإمكانيات المتوفرة فمنهم من عرفه بأنه (السعي وبذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر الدعوة الإسلامية وقتال الكفار ويشمل قتال العدو الظاهري وجهاد النفس، ويكون باليد والمال واللسان والقلب. وهي من الكلمات التي اصطلح عليها الإسلام لأداء مهمة أعلاء كلمة الله في الأرض وتبين تفاصيل دعوته في نشر العقيدة الإسلامية السمحاء، والإسلام تجنب لفظة الحرب التي تؤدي معنى القتال لذات القتال واستبدل بها كلمة أبلغ منها تأثيراً وأكثر شمولاً وهي كلمة الجهاد)[3] قال تعالى: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) فهي كلمة جامعة تشمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد لإعلاء كلمة لا إله إلا الله ومنهم من عرفه (بأن الجهاد مصدر جاهد يجاهد مجاهدة وجهاداً كقاتل، وهو لغوياً المشقة وبذل ما في الوسع، وجاهدت العدو إذا قاتلته، والجهاد شرعاً هو استفراغ الوسع أي

---

(١) سورة الحج الآية ٧٨.

(٢) سورة التوبة ١١١.

(٣) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد (الرائد جمال يوسف الخلفات).

الطاقة في مدافعة الأعداء وقتالهم) (كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية) قال تعالى: ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾[1] فهو تكليف وتكريم للأمة الإسلامية وتشريف لقدرها أما أنواع الجهاد فهي:

١ - **جهاد النفس قبل جهاد الأعداء:** فجهاد النفس هو تخليصها من الشهوات والأهواء ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ (جاهدوا أهوائكم كما تجاهدون أعدائكم) وجهاد النفس في الإسلام هو الجهاد الأكبر، فقد روي أنه (ﷺ) قال بعد رجوعه من إحدى الغزوات «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». فالجندي غير الصالح في السلم لا يمكن أن يكون صالحاً في القتال فمن يريد إقامة شرع الله ويجاهد بدمه في ميدان القتال يجب أن يصلح نفسه في وقت السلم (فالمجاهد في ميدان القتال لا ينتصر فيه إلاَّ إذا تـم الانتصار في الميدان الأكبر، فلا ينتصر على عدوه الذي يحمل السيف حتى ينتصر على نفسه التي بين جنبيه، وحتى تكون أهواؤه وشهواته خاضعة لأمر الله تعالى ونهيه)[2].

٢ - **الجهاد بالمال والنفس:** يمتد الجهاد ليشمل كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والمعنوية وقدم المال على النفس لأهمية الاقتصاد في الوصول إلى هدف الحرب قال تعالى: ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ وقال أيضاً: ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾[3] والجهاد بالمال يشمل تجهيز المجاهدين ومدهم بالسلاح والعتاد لقول رسول الله ﷺ (من أعان مجاهداً في سبيل الله أظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلاّ ظِلُّه).

٣ - **الجهاد باللسان والقلم والقلب:** فالجهاد فن استخدام جميع الوسائل لمجاهدة العدو ومن هذه الوسائل اللسان والقلم والقلب قال النبي (ﷺ):

---

(١) الحج ٧٨.

(٢) المدخل إلى العقيدة اللواء محمد جمال الدين محفوظ ص ٦٢.

(٣) سورة الأنفال ٧٢.

(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) فكل ما يملك الإنسان وتملك الأمة جميع هذه الوسائل موجهة لإعلاء كلمة الله.
فجهاد اللسان والقلم كلها وسائل يجب أن توجه لمقاتلة العدو والقضاء عليه. وثواب الجهاد الجنة ففي الحديث-الشريف عن أبي هريرة عن الرسول (ﷺ) قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإن أوسط أعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة) قال تعالى: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾[1] وتأكيد رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بقوله: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه» وقد أكد العلماء في الوقت الحاضر على أهمية اللسان والحرب النفسية فيقول تشرشل «كثيراً ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ» وقول الجنرال ديجول «لكي تنتصر دولة ما في حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها».

أحكام الجهاد:

للجهاد وأحكام ومبادىء فهو إما أن يكون فرض عين أو فرض كفاية.

١ ـ فرض عين: مفروض على المسلمين جميعاً في الحالات التالية:

أ ـ فرض عين على أفراد القوات المسلحة جميعهم والذين هم في عداد التجنيد والالتزام بالخدمة ويتقاضون رواتبهم من مال الدولة، فعند قيام أي اعتداء على البلد فالواجب عليهم دفع العدوان حسب تخطيط قيادتهم بتوضيح القوات وتنفيذ الجهاد.

---

(١) سورة التوبة ٨٨/٨٩.

ب ـ إذا توسع العدوان على بلد بالكامل فكل الدولة بكافة منتسبيها ـ جيشاً وشعباً ـ الواجب عليهم دفع العدوان ولا يتخلف منهم أحد.

ج ـ إذا لم يتمكن الجيش والشعب للبلد المعتدى عليها وجب الجهاد على من يليهم من الأمم الإسلامية فجميعها مكلفة بمساعدة الدولة.

د ـ كذلك يجب على المسلمين جميعاً إذا ما وصل العدو ديارهم حتى تسترد الأرض وتصان الحرمات والمقدسات.

٢ ـ **فرض كفاية**: يقوم بعض المسلمين فيسقط عن الآخرين في الحالات التالية:

أ ـ إذا كانت البلد المعتدى عليها قادرة على الدفاع وقتال العدو دون حاجة فبقية البلدان الإسلامية يكون عليها الجهاد فرض كفاية.

ب ـ إذا كان المسلم ممن تنطبق عليه أسباب الإعفاء شرعاً فلا يفرض على الأعمى والأعرج والمريض والشيخ المقعد الهرم والذي لا يجد ما ينفق فيحتاج سعة في الجهد والمال ولياقة بدنية ممتازة لمواجهة الصعوبات في أرض المعركة وساحة القتال. فالأمة الإسلامية اليوم عليها الجهاد فرض عين لاحتلال العدو أرضها ومقدساتها وهي مجندة جميعها بجيشها وشعبها وكل إمكانياتها المحددة بفن متكامل للجهاد في سبيل الله ولإعلاء كلمته لتثبيت الكيان العسكري والقومي للأمة، فأمة الإسلام أمة مجاهدة ومحاربة سواء في السلم أو في الحرب حتى تقوم الساعة ويظهر الله الحق فحديث رسول الله (ﷺ) يقوله (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة) فكل الأمة في القتال سواء من يقاتل في الميدان أو من يقوم بواجبه خلف الجيش لقول رسول الله (ﷺ) (من جهز غازياً فقد غزا) وقوله: (إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، والممسد به).

وهنا تبين خطبة من خطب الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[1] يحث فيها على الجهاد ويؤكد على المعاني والأهداف التي ذكرت عن الجهاد في سبيل الله كما جاءت في نهج البلاغة (أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته[2] الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقماءة[3] وضرب على قلبه بالإسداد[4] وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف[5] ومنع النصف. ألا وأني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد[6] قد وردت خيله الأنهار وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها[7] ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها [8] ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام[9]. ثم انصرفوا وافرين[10] ما نال رجلاً منهم كلم[11] ولا أريق لهم دم. فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا آسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً. فياعجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم

---

(1) من كتاب العسكرية الإسلامية وقادتها العظام.
(2) جنته بالضم وقايته.
(3) أي ذل وصغر.
(4) جمع سد ومعناه الحجب.
(5) الخسف: الذل والمشقة.
(6) أخو غامد سفيان بن عوف من بني غامد قبيلة في اليمن.
(7) جمع مسلحة بالفتح وهو الثغر.
(8) الحجل بالكسر خلخالها، والقلب بالضم سوارها، والرعاث بالفتح عيني القراط.
(9) الاستراجاع: ترديد الصوت بالبقاء والاسترحام أن تناشده الرحم.
(10) وافرين: تأمين على كثرتهم لم ينقص عددهم.
(11) الكلم: الجرح.

وتفرقكم عن حقكم فقبحاً لكم وترحاً[1] حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرون .وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمارة القيظ[2] أمهلنا يسبخ[3] عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه حبّارة القر[4] أمهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فراراً من الحر والقر فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فإذا أنتم من السيف أفرّ .

يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال[5] لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت نوماً وأعقبت سدماً[6] قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً[7] وشحنتم صدري غيظاً. وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً[8] وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش أن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً[9] وأقوم فيها مقاماً مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع).

فهذه الخطبة يحث فيها علي بن أبي طالب الأمة على الجهاد في سبيل الله . ويحذرها من الخذلان إذا تخلفت عن الجهاد في سبيل الله دون أسباب شرعية وقد طلب الدفاع المشروع عند الاعتداء ورده فكل مسلم يجب أن يتأهب بشكل دائم ومستمر للجهاد في سبيل الله (فالجهاد يكفل للأمة الإسلامية بناء كيانها العسكري . لأنه تكليف لها كلها سواء كان الجهاد فرض كفاية أو فرض عين إذ يقتضي من كل مسلم التأهب الدائم والإعداد والتدريب والاستعداد

---

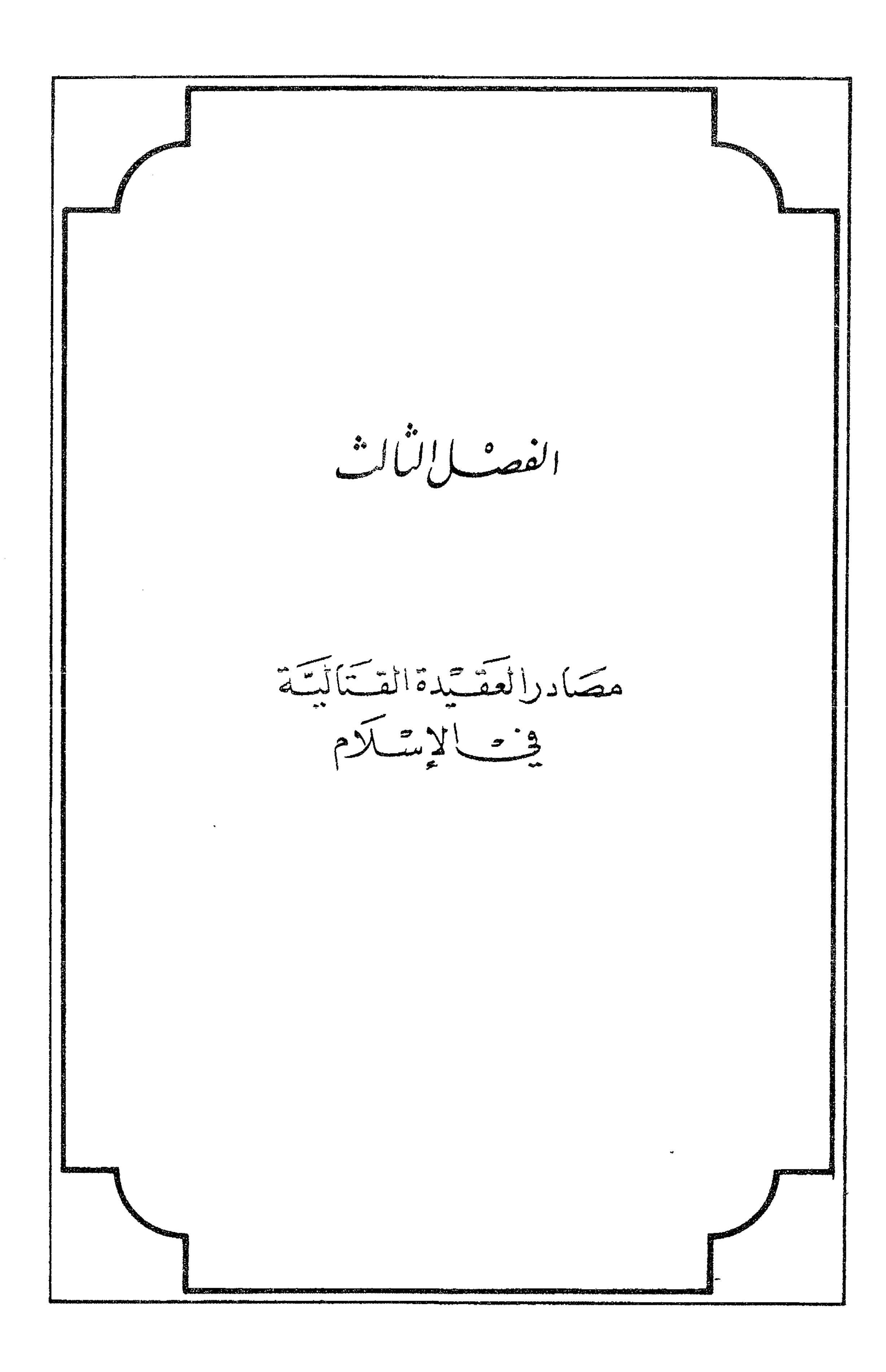
(١) الترح : الهم والحزن .
(٢) حمارة القيظ : أي شدة الحر .
(٣) التسبيخ : التخفيف والتسكين .
(٤) حبارة القر بالضم البرد .
(٥) جمع حجله وهي العقبة موضع يزين بالقد ـ والثياب للعروس وربات الحجال : النساء .
(٦) السدم : الهدم .
(٧) قيحاً : ما في القرحة من صديد .
(٨) النغب : جمع نغبه كجرعة وجرع لفظاً ومعنى والتهام بالفتح الهم ، أنفاساً أي جرعة بعد جرعة .
(٩) مراساً : مصدر مارسه ممارسة بمعنى عالجه وزاوله وعاناه .

بكل ما لديه من قدرات علمية وفنية وبدنية ومعنوية لأداء دوره في دفع العدوان عن أمته فلا فرق بين جيش وشعب بل الجميع مجـاهدون كل منهم يؤدي دوره بالعمل المناسب وفي الموضع المناسب لتحقيق الهدف المشترك)[1].

وقد أوجب الله الأجر للشهيد وأعطاه مكانة مرموقة في الفردوس الأعلى فلقد استشهد حارثة بن سراقة في غزوة بدر، فأتت أمه رسول الله (ﷺ) فقالت: «يا رسول الله الا تحدثني عن حارثة؟ فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان في غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، فقال عليه الصلاة والسلام: يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».والجهاد مستمر في السلم والحرب وفي أي زمان ومكان من ديار المسلمين لقوله عليه الصلاة والسلام «الجهاد ماض إلى يوم القيامة».

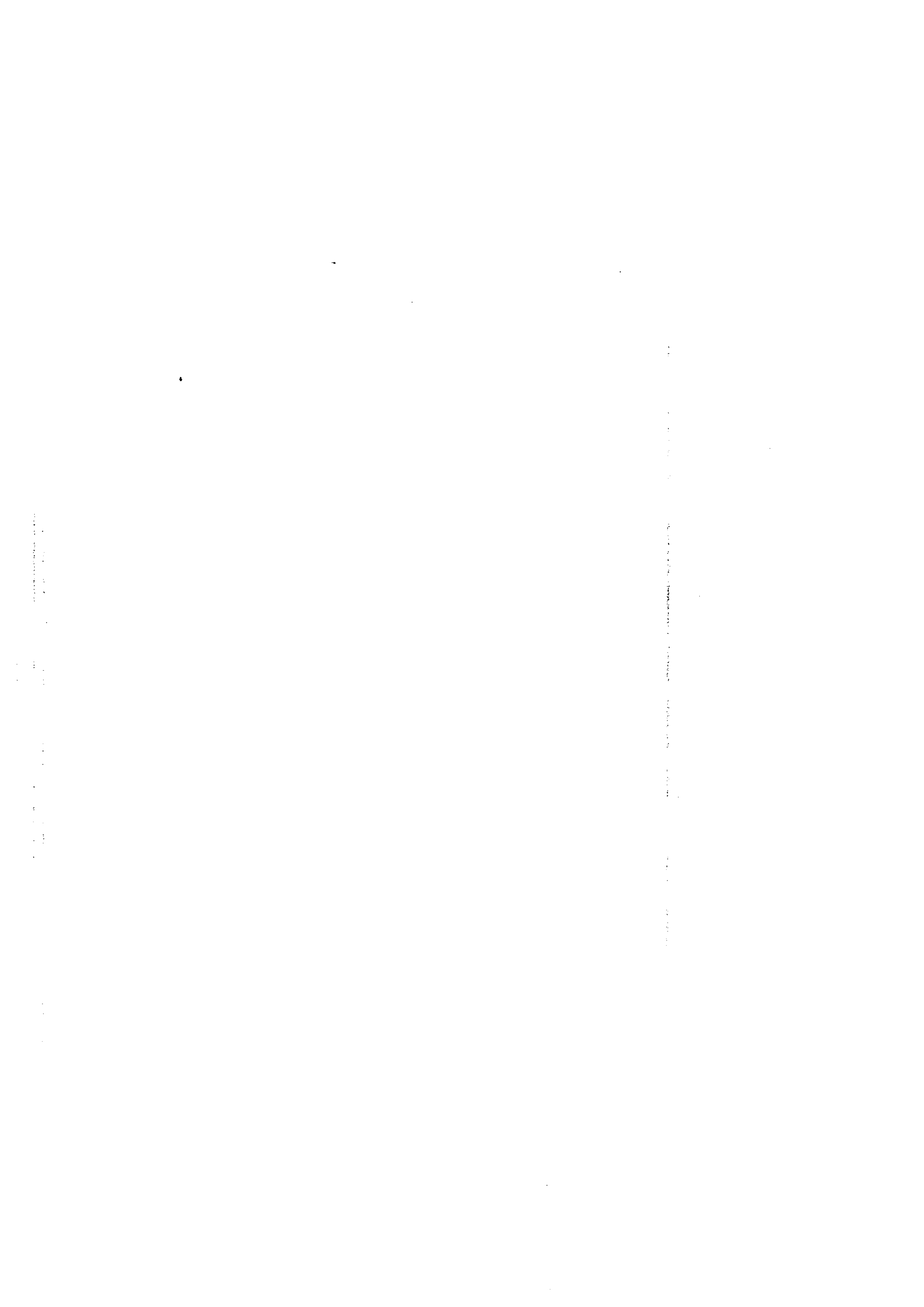
---

(١) المدخل إلى العقيدة الإسلامية: اللواء محمد جمال الدين محفوظ.



الفصل الثالث

مصادر العقيدة القتالية في الإسلام



مصادر العقيدة القتالية في الإسلام

تتميز العقيدة القتالية في الإسلام بأنها من وضع الله عز وجل ومصدرها كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل وهو قرار إلهي خالد على مر الزمن والعصور. وأيضاً من السنة النبوية من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام. وهذه المميزة المتميزة في عقيدة الإسلام بأنها ليست من وضع البشر ولا مستوردة إليه ولا مفروضة عليه، هذه المميزة أعطت عقيدة القتال في الإسلام القوة والخلود فكل كلمة فيها لا تناقش لإنكارها أو للتقليل من وجودها ولنذكر هذه المصادر بشيء من التفصيل.

١ ـ القرآن الكريم:

إن هذا المصدر العظيم قد حدد على المسلم ما يجب عمله وكيف يقف إلى جانب هذه العقيدة العظيمة لقد أكد الله عز وجل بأن عقيدة القتال للمسلم هي الجهاد لله ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾ وهذه المهمة عظيمة في هدفها دقيقة وبعيدة في معانيها فقد أكد الله عز وجل بأنه لا يجوز الاعتداء من قبل المسلمين إلا على من اعتدى عليهم وعلى ديارهم ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[١] وقال أيضاً: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[٢] ولا تشمل الآية الكريمة جميع أهل الكتاب فلم يقاتل النبي ﷺ

(١) آية ١٩٠ من سورة البقرة.

(٢) آية ٢٩ من سورة التوبة.

إلا من بدأ فعلاً بالعدوان وقد بعث رسله إلى ملوكهم يدعوهم إلى الإسلام. فمنهم من استجاب ومنهم من بقي على دينه دون أن يفكر النبي في قتاله. ولمن بغى واعتدى وعد العدة للقضاء على الإسلام والمسلمين ﴿ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمُّوا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أولَ مرة، أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾[1]. ولقد عقد القرآن بين الله سبحانه والمؤمنين مبايعة، اشترى الله فيها أنفسهم وأموالهم بالجنة ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم ﴾[2].

وأكد الله عز وجل في قوله على الثبات عند اللقاء وعدم الفرار من المعركة قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾[3] ﴿ فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾[4].

والسلام الذي توضع له اتفاقيات وبنود محددة كانت أصلاً من قوانين ومبادىء الحرب في الإسلام الذي وضع لها المفاهيم والمبادىء والأسس بقواعد سليمة ومناهج محددة وها هو الله عز وجل في آياته الكريمة يدعو إلى السلم الدائم سلام الأمة لكل أفرادها. والجميع يجب أن يطبق هذه المبادىء وأي بعد وغياب عنها هو ضلال واتباع خطوات الشيطان قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾[5] وأكد أيضاً بالنسبة للسلام عند طلب العدو وجنحه لذلك بأن تجنح له قال تعالى: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾.

---

(١) آية ١٣ من سورة التوبة.
(٢) آية ١١١ من سورة التوبة.
(٣) الأنفال ٤٥.
(٤) الأنفال ١٦.
(٥) البقرة ٢٠٨.

٢ ـ السنة النبوية والأحاديث الشريفة:

لقد أكد رسول الله عليه الصلاة والسلام على المسلم بأن يقف إلى جانب هذه العقيدة العظيمة في أحاديثه وعلى مكانة الجهاد في دولة الإسلام وأهميته سئل رسول الله (ﷺ) «يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد؟ فأجاب «لا أجده» وقال الرسول الكريم «والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل» وقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وقال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، وسأل رجل الرسول «أي النـاس أفضل؟» فأجاب «مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» وأكد في أحاديثه بأن القتال لإعلاء كلمة لا إله إلا الله خالص له عز وجل حتى في الدفاع عن النفس «روي مسلم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله، ارأيت إن عدي على مالي؟ قال: فانشد بالله، قال فإن أبوا علي؟ قال: فانشد بالله قال: فإن أبوا علي؟ قال: فانشد بالله، قال: فإن أبوا علي؟ قال: فقاتل فإن قتلت ففي الجنة، وإن قتلت ففي النار».

وكان النبي ﷺ يعود المسلمين على السلام ودفع العدوان بالحسنى وعدم القتال «لا تتمنوا لـقاء العدو، وسلوا الله العافية». وفي صحيح مسلم عن بريدة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال له: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً».

وقد رفع الإسلام ذكر الجهاد في سبيل الله وعزز شأنه فجعل درجته من أرفع الدرجات، ومنزلته أسمى المنازل «قيل لرسول الله: ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، وهو يقول: لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله» وما إن

لحق النبي (ﷺ) بالرفيق الأعلى حتى سلم الراية للأمة الإسلامية وحملهم التضحية والبذل في سبيل عقيدة القتال في الإسلام (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم الدجال» وقال أيضاً: «الجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل». ولهذا يعتبر القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة الوثيقة الأساسية الهامة التي تؤخذ منها العقيدة القتالية في الإسلام مبادئها وتعليماتها (فالقرآن الكريم ليس كتاب دين يحث على إخلاص العبادة لله والتقرب إليه فحسب وإنما هو إلى جانب هذا وما يتصل به من عقائد وعبادات وأوامر ونواه، دستور من أعظم الدساتير التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنه من القواعد القوية الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم)[1] ووقف النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع قائلاً: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنّة نبيه». فالقرآن والسنّة هما مصدر كل عقيدة إسلامية قال تعالى: ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ ﴿ أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون ﴾ فالعقيدة الإسلامية هي من هدى الدين وليس ميراثاً لحروب البشر وهذا ما أكده اللواء محمد جمال الدين محفوظ بقوله: «وإذا كانت العقائد العسكرية لدول العالم تصوغها وتضع مبادئها القيادات السياسية والعسكرية العليا في ضوء غاياتها القومية، وتقديرها لطبيعة الحرب، ولقدراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فإن شأن هذه العقائد شأن القوانين الوضعية التي تنتجها عقول المشرعين من البشر، وتخضع للظروف، وتنطوي على الصواب والخطأ معاً، وهذا ما أثبتته أحداث التاريخ على مر العصور، فإنها تؤثر وتغير في المبادىء والقواعد التي تقوم عليها العقائد العسكرية، بحكم تأثرها نفسها وتغيرها من وقت لآخر، ومن عصر إلى عصر، وفي الظروف والأحوال المختلفة التي تتقلب فيها الدولة أو تتطور. أما العقيدة العسكرية الإسلامية، فإنها بحكم انبثاقها من القرآن والسنّة ـ تتبوأ مكانة عالية وتتميز بالاستقرار والثبوت، لأنها من هدى الدين،

---

(١) المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الإسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

وليست ميراثاً لحروب البشر. فالرسالة الإسلامية ليست من صنع إنسان يخطىء ويصيب، وإنما هي من الله عز وجل أنزلها على رسوله بالتعبير الإلهي نفسه، أي إنها في غاية الدقة والأحكام جملة وتفصيلاً لأنها من لدن حكيم خبير، لا يخطىء ولا يخفى عليه شيء».

٣ ـ إن مصادر العقيدة القتالية متعددة جداً وتتفاعل تفاعلاً أكيداً ومستمراً مع عوامل بناء العقيدة القتالية. وعندما يتم تبنيها تصبح عقيدة ثابتة ونهجاً ملزماً تلتزم به القوات المسلحة للعمل بموجبه للوصول إلى الهدف بأقل وقت وأعلى كفاءة وأقل التكاليف. والأمم في الحاضر والماضي تبني عقيدتها القتالية على عدة مصادر لا بد من توضيحها حتى نؤكد موقف الإسلام بالنسبة لها.

أ ـ **دراسة التاريخ العسكري وفن الحرب أو تاريخ الحروب**: لا شك بأن هنالك دروساً مستفادة سلباً أو إيجاباً من الحروب السابقة ولا شك بأن استنباط العبر من التاريخ العسكري يؤدي إلى التوصل لدقة القواعد والنهج والأساليب، وكشف معالم طريق النصر في المعركة وتعتبر الدراسة بموضوعية وتعمق لأي حرب مصدر هام وفعال على وضع العقيدة القتالية للأمة وبالتالي سيكون هناك توقع أكيد للمستقبل حتى ولو إلى فترات محدودة يقول ماوتسي تونج في كتابات حربية مختارة «إن القوانين والنظريات العسكرية ما هي إلا حصيلة وخلاصة الحروب الماضية والتي وضعها الأقدمون أو المعاصرون وهذه الخلاصة يجب علينا دراستها دراسة عميقة واختبار نتائجها على ضوء ما اكتسبناه نحن من تجاربنا ثم استيعاب الجوانب القيمة لهذه النتائج مع رفض الضار منها وإضافة ما يمكن إضافته إليها من خبراتنا، وهذه الإضافة هامة جداً، إذ بدونها لن نتمكن من تطوير وتوجيه الحرب» ويقول الفيلد مارشال مونتجمري في كتابه الحرب عبر التاريخ«إن القيمة الحقيقية للحرب الطويلة في الماضي هو الخروج بالحقائق .واستخلاص العبر والدروس المفيدة. وهناك قدر كبير من الخبرة العظيمة والتجارب الكثيرة مدفون تحت أنقاض الماضي السحيق والعصور المتعاقبة للحروب، ولن يستطيع القادة الاستفادة منها إلا بوجود المؤرخين

العسكريين الذين يخرجونها من تحت أنقاض الماضي» وقد حث الإسلام بدراسة التاريخ العسكري واستخلاص الدروس المفيدة منه، والله عز وجل يسمى دراسة التاريخ العسكري وعلمه (بأيام الله) ويجب دراستها بموضوعية وحذر يقول الله تعالى: ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾[1].

﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ﴾[3].

ـ ﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾[4] وفي الإسلام عندما يكون المصدر الله عز وجل الذي وضع تاريخ الحروب من أول يوم خلق فيه آدم على وجه الأرض، ومع أول نزاع دموي بين إخوة في الحياة هم قابيل وهابيل. لا شك بأنه يعطي للإسلام المعالم الواضحة والممتازة وبنهج قويم وسليم لا يخضع لمجرد الشك لأن بيده الماضي والحاضر ويعرف بوضوح وفهم مدرك المستقبل بكل ابعاده.

ب ـ طموحات المستقبل أو المهام المتوقعة: كما أكد بعض القادة في كتاباتهم بأن الطموح هو حصيلة إبداع وتصور يبدأ بالخيال، ثم يتحول إلى فكرة فمناقشته، فقبول وتصميم ثم إلى تنفيذ ولقد ضرب مثال على هذا الطموح فقبل الحرب العالمية الثانية كانت القيادة الألمانية قد حددت أهدافها الاستراتيجية بإزالة الذل والهوان الذي لحقها نتيجة الحرب العالمية الأولى. فإزاء هذا الموقف أخذت الأفكار وعملت الأمة كلها جيشاً وشعباً وقيادةً ففكروا بتطوير المشاة من راجلة إلى راكبة ثم

---

(١) طه الآية ٩٩.

(٢) آل عمران الآية ١٣٧.

(٣) النساء ٢٦.

(٤) الأعراف ١١.

تسليح هذه المركبات مما أدى إلى تطور فكرة المشاة الآلية حتى يخدم هذا التطور والغرض طموحات ألمانيا ومهامها المتوقعة للدفاع عن نفسها وهذا كله أدى إلى تطور عقيدة قتالية جديدة في ألمانيا خاصة باستخدام القوات الآلية والمدرعة وتطبيق حرب الصاعقة لمهمات أخرى بأعلى كفاءة وبسرعة عالية وأداء وإنجاز ملائم. والدولة الإسلامية دولة الطموح للمستقبل ودينها دين البشرية كانت تهتم بهذه الطموحات وتعمل لأشرف مهمة وهدف فاستراتيجية المسلم في القتال أما شهيد عن الواجب المقدس أو يحقق النصر فهو لا يقهر ولا يغلب، ولا يكف عن القتال حتى يكتب له النصر، وإذا لم يتحقق فقتاله مستمر ما لم يستشهد وموقف النبي (ﷺ) في غزوة أحد يثبت ذلك ففي صبيحة اليوم التالي أمر أصحابه بمطاردة قريش حتى بلغت قواتها حمراء الأسد (يبعد ثمانية أميال عن المدينة) وبهذا أعاد الروح المعنوية وحافظ على إرادة القتال عند المسلمين التي ارتفعت فوق الآلام والأحداث فنجد أنه عندما انصرف أبو سفيان ومن معه بعد معركة أحد نادى «وإن موعدكم بدر للعام القادم» فقال الرسول ﷺ لرجل من أصحابه «قل نعم» هو بيننا وبينكم موعد». ولا شك بأنها لا توجد مهمة أكبر من دولة مخطط لها القيام بحدود من بلاد الصين إلى المحيط الأطلسي يعرف ذلك رب البشر هذه الأبعاد والطموحات. وإنني أقول بكل ثقة لكي يعرف الجميع بأنه لا توجد أمة وجدت في الماضي أو الحاضر أو يخطط لها المستقبل وجدت مهام وطموحات تزيد عن الدولة الإسلامية الأمة المجاهدة في سبيل الله بالتكليف والتشريف فقد حمل رسول الله ﷺ الأمة كلها أمانة الدعوة بقوله «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم الدجال» وقوله: «الجهاد ماضٍ مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل».

فهكذا حدد الإسلام الأهداف الاستراتيجية وطلب العمل لها من القيادة والجيش والشعب وركز كافة الجهود نحو هذه الرؤية والهدف، ووضع كل

الأفكار لتحقيق طموحات المستقبل والمهام المتوقعة وهذا في علم الإدارة «تنبؤ بما يكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل».

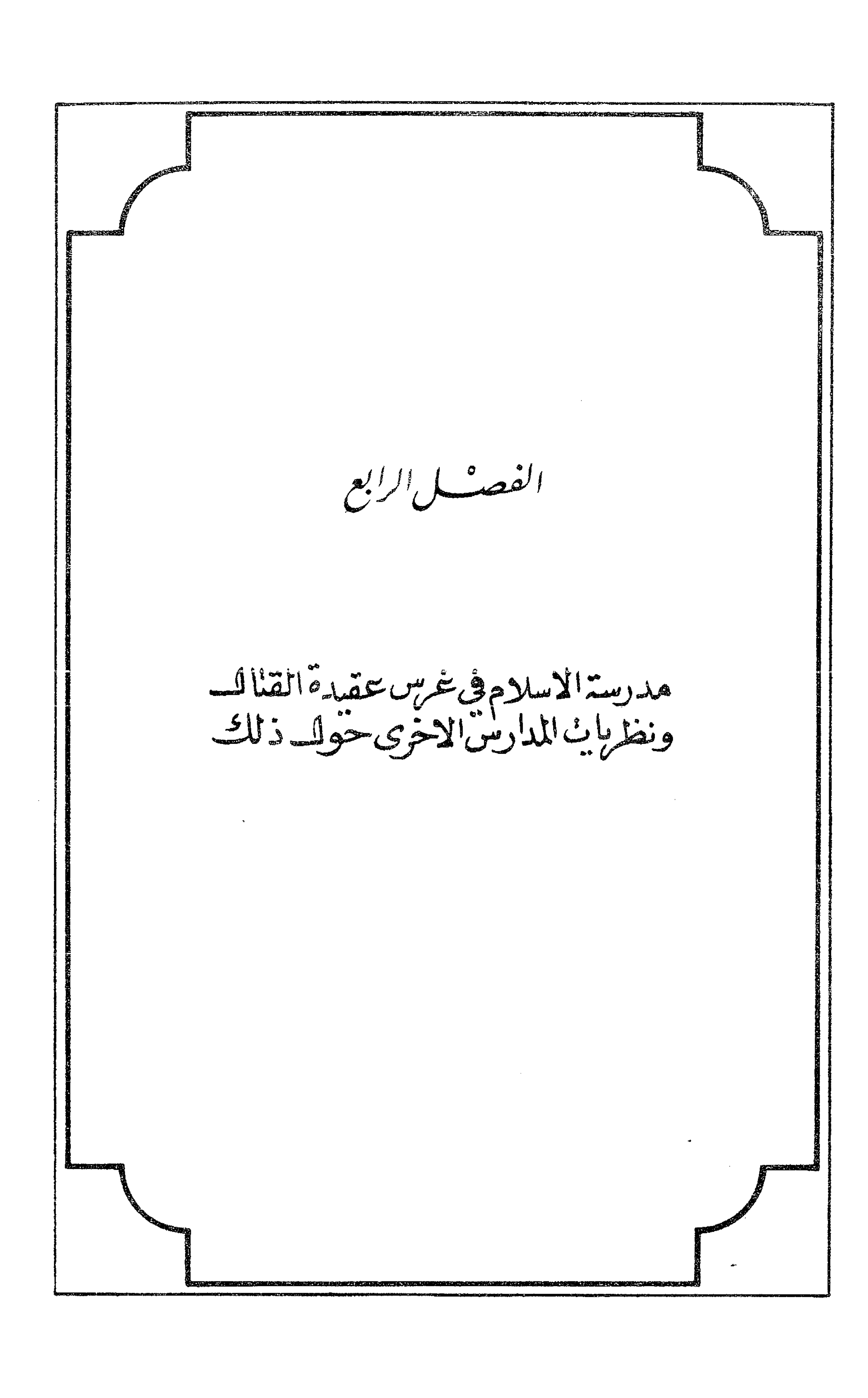
جـ ـ التطور العلمي والصناعات الحربية: ـفالتطور العلمي في كافة المجالات ينعكس على الجانب العسكري ويؤدي إلى تغيير بعض المفاهيم التعبوية ويدخل تغييرات متعددة على المفاهيم العسكرية. فلو أخذنا مثال دخول الدبابة عام ١٩١٦ حيث كان له الأثر الكبير على المفاهيم التعبوية وأيضاً تطور الدبابة نفسها يؤخذ تطور في المفاهيم التعبوية لاستخدامها وهذا ينطبق على الطائرة والمدفع والحرب الإلكترونية فنجد أن هذا الأساس هو التطور المستمر للأسلحة والمعدات الذي يشكل مصدراً أساسياً للعقيدة القتالية نظراً لأن هذه التطورات تغير باستمرار بأساليب العقيدة القتالية. والإسلام الذي أوجب العلم وأكد على ارتباط العقيدة القتالية والاستراتيجية العسكرية ارتباط وثيق بالتطور المستمر. فقد أمر الله عز وجل بقوله: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ولا شك بأن القوة حسب تطورها تحتاج إلى مصانع وأيدي عاملة لعملها وهي واجب المسلمين حتى قيام الساعة. ويتم تطويرها حسب العصر الذي يعيشون فيه، وقد أكد رسول الله بقوله على طلب العلم «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى، أو يرده عن ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عقله» وقوله: «يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل، خير لك في أن تصلي ألف ركعة» وقد كلف الله عز وجل داود بأحكام النسج للدروع السوابغ قال تعالى: ﴿ والناله الحديد أن أعمل سابغات وقدر في السرد ﴾ وقد أكد عليه بإجادة المعدات والصناعات الحربية ﴿ وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾ وقد أكد الله عز وجل بقوله: ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أن الله قويّ عزيز ﴾.

وقد اهتم العرب بالصناعات الحربية وكيف أنهم وقفوا أمام أعدائهم الروم الذين كانوا مهرة في ركوب البحر يقول ابن خلدون «كان الروم مهرة في ركوب البحر والحرب في أساطيله، ولم يكن العرب أول الأمر مهرة في ركوبه فلما استقر الملك لهم وشمخ سلطانهم صارت أمم العجم تحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته فاستخدموا في حاجتهم البحرية كثيراً من هؤلاء وأنشأوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأسسوا داراً لصناعة الآلات البحرية بتونس ومنها كانت فتح صقلية أيام زيادة الله ابن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا.

ويضيف ابن خلدون قائلاً إن المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم (يعني البحر الأبيض المتوسط) وأن أساطيلهم سارت في جائية وذاهبة من صقلية إلى تونس والرومان والصقالية والفرنجة جميعاً تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التي ضريت عليهم كضراء الأسد عل فريسته». وأيضاً نرى اهتمام رسول الله عليه الصلاة والسلام بالرماية عندما رأى أعداءه مهتمين بها وهم الفرس ويؤكد لذلك قول الطبري (بلغ من مهارة الفرس في الرماية أن أحدهم كانت ترفع له الكرة فيرميها ويشكها بالسهم» ورسول الله (ﷺ) يعرف عدوه جيداً فقد درب المسلم على الرمي بقوله: «إلا أن القوة الرمي، إلا أن القوة الرمي، إلا أن القوة الرمي» وقد أكد على أصحابه لتفوق عددهم عليه في هذا المجال بقوله: «هم أقوى منكم رمية» فهذا كله ملاحقة لمستويات العدو المعاصر للمسلمين حسب التطور العلمي للسلاح فقد اهتم بالتدريب على الخيل لأن الفرس والروم كانوا يهتمون بذلك والدلالة على اهتمامه في غزوة بدر كانت قوة المسلمين ٣٠٥ رجلاً ومعهم فرسان اثنتان فقط أما في غزوة تبوك فقد كانت قوة المسلمين ٣٠,٠٠٠ رجلاً منها ١٠,٠٠٠ فارس خلال سبع سنوات فقد روى ابن خلدون «إن الرسول هم بنصب المنجنيق على خيبر فلما أيقنوا بالهلكة سألوه الصلح. .»وقد استخدموها المسلمون بعد ذلك في حروب العراق والشام وفتح مصر وكانت لها الكفاءة والفعالية العالية وقد أكد أحد القادة العسكريين بقوله: (وقد أصبحت قوة أية دولة وقدرتها على تحقيق

أهدافها الاستراتيجية لا تقاس بمدى قوتها العسكرية أو قوة جيشها فحسب، بل بمتانة اقتصادها، وقوة معنويات شعبها وتقدمها العلمي والفني، إلى غير ذلك من عناصر القوة المادية والمعنوية للجبهة الداخلية التي تشكل الدعامات الأساسية والسند الحقيقي لجيشها المحارب).

والإسلام الدين العظيم الصالح لكل زمان ومكان يجاري التطور العلمي ويهتم بالعلم وإعداد القوة كسلاح ضد العدو حتى يحقق أهدافه بأعلى كفاءة وأقل وقت وأقل التكاليف والمحصلة النهائية النصر على العدو والوصول إلى المهمة المقدسة.



الفصل الرابع

مدرسة الاسلام في غرس عقيدة القتال ونظريات المدارس الاخرى حول ذلك



مدرسة الاسلام في غرس عقيدة القتال ونظريات المدارس الاخرى حول ذلك

لقد ظهرت عدة نظريات ومدارس فكرية عن عقيدة القتال وغرسها في نفوس الجنود لتصبح عقيدة ثابتة يضحي الإنسان من أجلها بماله ونفسه، وهي أغلى من المال والنفس نوضح أهمها كما يلي:

١ ـ مدرسة العقيدة الجبرية:

لا تدعو هذه المدرسة في نظرياتها إلى ضرورة تفهم الجندي للهدف والغاية الذي يحارب من أجلها، وبذلك يجب أن ينفذ الجندي الأوامر بدون مناقشة وبدون معرفة إلى أين هوذاهب ومن أجل من هو يقاتل. وإسرائيل التي تعتمد في نظرياتها على مدرسة العقيدة المحددة اعتمدت في حروبها مع العرب أحياناً على مدرسة العقيدة الجبرية ففي معارك حزيران ومعركة الكرامة الأردنية بين عامي ١٩٦٧ و١٩٦٨ قيدت جنودها بالسلاسل وساقتهم إلى ميدان القتال عنوة. لأن الجندي المرتزق مفروض عليه القتال فهو يجهل مهمته وغرض القتال، كل ما يعرف هناك عدد في مكان محدد أذهب لقتاله دون مناقشة ودون قناعة مقابل الإغراءات والنواحي المادية.وقد جاء في كتاب الدخل إلى العقيدة الإسلامية للواء محمد جمال الدين محفوظ بأنه كان فريدريك الأكبر يعتنق هذه النظرية ويقول عن رجاله أنهم «متى اجتمعوا في صفوفهم وعلموا أن الضابط وراءهم بالسوط فهم يضطربون خوفاً ويكفي أن آمرهم حتى يلقوا بأنفسهم في النار دون تفكير، لأنهم يجهلون كل شيء حتى الغرض الذي يقاتلون من أجله». ويضيف قائلاً: (وواضح أن المدرسة الجبرية قد أصبحت غير ذات

موضوع إزاء التطور الذي حدث في شكل الحرب وأسلحتها بحيث أصبح كل شبر من أرض المعركة يحتاج إلى تصرف وابتكار من الجندي الذي يعمل ـ بسبب ما اقتضته الحرب الحديثة من انتشار ـ بعيداً عن قائده وحتى عن زملائه). وقد استخدم هتلر النازي المعروف مبادىء هذه المدرسة في حروبه العالمية والذي كان شعاره فيها القوة والتسلط والعنف وأن تبقى ألمانيا سيدة العالم وتحترم مبادئها بالقوة العسكرية وأن يذهب الجندي إلى الميدان دون مناقشة قائدة. وكان هتلر يقتل العالم بدون هوادة وأدنى شفقة ولكنه في النهاية لم يحقق أهدافه وقد سارت على نهجه الفاشية في إيطاليا بنفس الأسلوب والنهج وكانت النتيجة خسارة وفشلاً.

٢ ـ مدرسة تنمية الاتجاهات:

لا تتقيد هذه المدرسة بعقيدة محددة ثابتة تقاتل من أجلها بل تخضع هذه العقيدة للمتغيرات والعوامل العسكرية والطبيعية والنفسية والاقتصادية والسياسية. وهي متفقة مع مدرسة العقيدة المحددة بأن المقاتل لا يعمل دون دوافع وأهداف. ولهذا فهي تنادي بتنمية الاتجاهات حسب قضايا الوطن وما يحيط به من أعداء وأخطار تمليها المواقف المتغيرة (فلكل زمان ومكان اتجاه وموقف ودولة ورجال) وهي تؤكد بأن العقيدة القتالية ليست هي الدافع الوحيد بل هناك دوافع مختلفة كحب الظهور والشهرة وحمل الألقاب والأوسمة والمكافآت وحتى يوصف المقاتل بالشجاعة والإقدام. فليس الهدف لمصلحة الوطن العليا فقط بل مصلحة المقاتل في السمعة والحصول على الثناء. وتؤكد هذه المدرسة بأن الحرب قتال من أجل أهداف ومصالح لا من أجل مبادىء. والأهداف والمصالح متغيرة ومختلفة من زمان إلى آخر كما جاء في كتاب المدخل إلى العقيدة العسكرية الإسلامية للواء محمد جمال الدين محفوظ إذ يقول عن هذه المدرسة: (إن الحرب ليست قتالاً بين العقائد أو المذاهب بقدر ما هي قتال من أجل أهداف تخضع لظروف واتجاهات متغيرة فالشيوعية والرأسمالية مثلاً اللتين حاربتا جنباً إلى جنب ضد النازية في الحرب العالمية الثانية أصبحتا اليوم خصمين. وواضح أن معتنقي هذه النظرية يريدون أن يختاروا لأنفسهم

الأهداف التي يقاتلون من أجلها بحسب الأحوال والظروف المتغيرة، ولذلك يمكن أن يقال إنهم يضعون المصالح فوق المبادىء). . ونورد هنا أمثلة حول ذلك وبإيجاز وبعرض مختصر.

أ ـ **الولايات المتحدة الأمريكية**: تعد أمريكا جنودها معنوياً للدفاع من أجل أمريكا والتحفز من أجلها والاعتزاز الكامل بذلك. وبذل الغالي والنفيس في سبيل هذا المفهوم فهم في عقيدتهم الجديدة يعتمدون على مبدأ (نتدرب لنقاتل ونقاتل لكي نفوز)(We train to fight We fight to win)ولكن متى فازت أمريكا ومتى كانت صادقة مع هذا المفهوم فمغامراتها في حرب فيتنام معروفة ولا تحتاج إلى تأكيد أو تذكير. وحتى في مواجهتها للمواقف البسيطة نجد بأنها قد انهزمت. وتعتمد على مبدأ آخر باسم المعركة المشتركة أو المزدوجة أو معركة الأرض والجو (TheAirland Battle) وكلها مبادىء عقيدة قتالية جديدة.

ب ـ **العقيدة القتالية الفرنسية**: لقد تم وضعها بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة وقبل الحرب العالمية الثانية ولكنها لم تحقق أي نجاح في هذه العقيدة ولحقت بها هزائم في المراحل الأولى للحرب العالمية الثانية وقد بنيت على الأسس التالية:

١ ـ الجبهة المستمرة هي الأساس في الحرب.
٢ ـ التحصينات هي الأساس في الدفاع.
٣ ـ الحماية والتستر مبدأ أساسي في استخدام الجيش.
٤ ـ كتل المشاة هي العامود الفقري للقوات المسلحة.
٥ ـ المناورة الدفاعية هي الأساس في الإستراتيجية.

أما عيوب هذه العقيدة فهو اعتمادها الكلي على الدفاع مما أفقدهم المبادأة فالهجوم أفضل لأن المهاجم يتمتع بحرية العمل، حيث يقرر متى وأين يهاجم بينما يعمل المدافع من ناحية أخرى على نقل مركز ثقله للمكان المناسب وليس بالضرورة الانتظار لتلقي الصدمة فقط. ومن العيوب أيضاً عدم استغلال ميزات أسلحة الهجوم الحديثة.

ج ـ **العقيدة القتالية البريطانية**: تم وضعها قبل الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة. وهي كالعقيدة الفرنسية لم تحقق نجاحاً ولحقت بها هزائم في مراحلها الأولى للحرب العالمية الثانية وقد بنيت عقيدتها على الأسس التالية أهمها ما يلي:

١ ـ الأهمية الحاسمة للحرب الاقتصادية.
٢ ـ أولوية القوة البحرية والجوية على القوة البرية.
٣ ـ أولوية الدفاع عن الوطن الأم ثم انحاء الإمبراطورية الأخرى.
٤ ـ الحرب الدفاعية هي الأساس.
٥ ـ الاشتراك المحدود في الحرب على الأرض الأوروبية.
٦ ـ الإكتفاء بقوة برية محدودة الحجم.

يمكن إيجاز عيوب العقيدة البريطانية بكونها اعتمدت أكثر من اللازم على جدوى الحصار الاقتصادي بسبب وجودها على البحار وما يعطيها الموقع من أهمية بحرية، وعدم اهتمامها بالقوة البرية التي كانت تعتمد عليها ألمانيا (خصمها في تبني هذه العقيدة). وعدم اتباعها استراتيجية متوازنة مع فرنسا لأن النواحي الأمنية لفرنسا وبريطانيا تكملان بعضها البعض ضد عدو مشترك.

د ـ **العقيدة القتالية لألمانيا الاتحادية في الدفاع ضد غزو قوات حلف وارسو لها**:

١ ـ الاعتماد على الدفاع لتحطيم قدرة العدو على التعرض مع انتخاب الأرض المناسبة لذلك والتحضير بعناية كاملة وشاملة مع التخطيط بدقة والتنفيذ للعمليات الدفاعية بفعالية وإقدام.

٢ ـ الاهتمام بالهجمات المعاكسة بأقل التكاليف وبأعلى كفاءة في المواقف المناسبة لذلك مع الاهتمام بعمليات الإعاقة أمام المواقع الدفاعية الرئيسية.

٣ ـ الاعتماد على وحدات القتال المدرعة واستخدامها في المكان المتوقع أن يستخدم العدو جهده الرئيسي.

٤ ـ الاعتماد على الاحتياط وحسب طبيعة الأرض أما بمجموعات صغيرة أحياناً أو احتياط جاهز في العمق وبشكل محتشد. جاهز لإسناد المواقف المختلفة.

٥ ـ الاعتماد على الإسناد الجوي والطائرات العامودية المضادة للدبابات ونيران مقاومة الدبابات والأسلحة الكيماوية والجرثومية والنووية واستخدامها في الأمكنة المناسبة لذلك.

٣ ـ مدرسة العقيدة المحددة:

تنادي بضرورة اعتناق الجنود عقيدة أو مذهباً محدداً (سياسي أو ديني). وسواء كانت العقيدة صحيحة أم خاطئة فيجب أن يدافع الجندي ويضحي من أجلها. وهذه تعتمد في نظراتها على الأحزاب التي هي من صنع بشر فيأتي حزب ليصلح والأخر يصحح وكل قائد جديد يحاول أن يثبت أن القائد القديم على خطأ. وهذه العقيدة معرضة للأخطاء لأن مبادئها من صنع البشر ومعرضة للأهواء والميول والرغبات الشخصية. ومبادؤها تقوم على العنصرية والحزبية البغيضة ومنهم من يسميها (الأحزاب العقائدية) فهي (لا مبدأ خالداً ولا دستوراً عظيماً ولا منهج متكافئاً ولا عقيدة ثابتة). ومع هذا فهذه النظرية تؤمن بشخصية المقاتل وبالهدف الذي يقاتل من أجله مهما كان أبعاده ومضمونه ومن الأمثلة عليها.

أ ـ **الاتحاد السوفياتي**: هي من الدول الاشتراكية التي تخلت رسمياً عن دين الله، وتتمسك بعقيدتها الماركسية وتحث الناس على التمسك بالعقيدة الشيوعية والتضحية بالأموال والأنفس في سبيلها وقد جاء في كتاب (الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفياتية) ما نصه: «إن أفراد القوات المسلحة في الدول الاشتراكية على درجة عالية من الوعي السياسي، ويتمتعون بحب عظيم لوطنهم والكراهية المقدسة لأعدائه والولاء العظيم للشعب، والتضحية في تنفيذ الواجب العسكري، والإنسانية الحقة غير المصطنعة والإخوة في التعاون وفي العلاقات مع المدنيين، والضبط والربط العالي النابع من الفهم، والشجاعة الوطنية

واحترام الكرامة الإنسانية، وحقوق وعادات الدول، التي تجد قوات الدول الاشتراكية نفسها مضطرة إلى دخولها خلال الحروب أو في أوقات السلم، بعرض ما يتطلبه التحالف من مهام..) ويضيف قائلاً: «إن الخصائص الإنسانية التي يتميز بها الفرد السوفياتي والفرد عامة في الدول الاشتراكية، تعتبر لازمة لجميع أفراد القوات المسلحة، وهذه الخصائص تربي في الجنود والضباط بوساطة كل نظام التعليم المدني والعسكري».

وجاء في كتاب (نظام قتال المدرعات) ما نصه: «تفرض القيادة على القائد واجبات جمة أهمها المحافظة على الروح المعنوية العالية وعلى استعداد القوات الدائم للقتال».

وتعتمد روسيا في قتالها على الأنساق في الحرب بحشدها بالتناوب وهي في الأساس تعتمد على الكتل البشرية الكثيفة.

أما بالنسبة إلى العقيدة القتالية الروسية في مراحل الحرب فيتم تدريب القوات الروسية على نوعين من العمليات القتالية، العمليات الهجومية والعمليات الدفاعية ونوضح هذين النوعين فيما يلي[1]:

العقيدة الهجومية للقوات الروسية:

١ - توضح العقيدة القتالية الروسية أن النتائج الحاسمة في المعارك لا يتم إنجازها إلا من خلال العمليات الهجومية فقط. ولهذا السبب فإن القوات الروسية قد تم تنظيمها وتدريبها للمحافظة على إدامة الزخم بقوة ونشاط من خلال العمليات الهجومية. إن التعبية الهجومية الروسية تتميز بالعمل السريع والحصول على زمام المبادرة باستمرار وذلك من خلال تنفيذ العمليات الهجومية أثناء حركة القطاعات.

٢ - يتم تدريب القوات الروسية على نوعين من العمليات القتالية، العمليات الهجومية والعمليات الدفاعية، حيث تبرز من خلال ذلك عملية اشتباك المواجهة والتي ينظر إليها المحللون العسكريون على أنه الشكل السائد للعمليات في ميدان المعركة القادم.

(١) ترجمة المقدم الركن محمود فارس ملاوي.

٣ ـ يعرّف اشتباك المواجهة أنه الإجراء الذي تقابل من خلاله وحدة متحركة ومستعدة للقتال وحدة أخرى معادية بطريقة غير متوقعة وبدون تحذير مسبق تقوم القوات الروسية بهذه العمليات من خلال حركة قواتها وقد تكون القوات المقابلة لها بحالة حركة أو ثبات. وينفذ اشتباك المواجهة على مرحلتين، مرحلة التقدم ومرحلة الهجوم من التقدم حيث تقوم الوحدات الآلية والمدرعة بتنفيذ ذلك معتمدة على الموقف التعبوي.

٤ ـ وخلال أوقات الحروب فإن التقدم يخطط له ويتم تنفيذه مع توقع القتال الذي سيحدث خلال أي مرحلة من مراحله. ولهذا يقوم قائد الفرقة المتقدمة بتعيين أحد الألوية للعمل كحرس مقدمة للفرقة ويقوم قائد اللواء بدوره بتعيين إحدى الكتائب للعمل كحرس مقدمة للواء، حيث يتم تعزيز قائد حرس المقدمة سواء على مستوى اللواء أو الكتيبة بعناصر الإسناد الكافية من الدبابات والمدفعية وأسلحة مقاومة الدبابات الموجهة وأية عناصر إسناد أخرى ترى القيادة الأعلى ضرورة تواجدها. وبالإضافة إلى حرس المقدمة فإن كل من قائد الفرقة وقائد اللواء سوف يقوم بدفع عناصر استطلاع تكون أمام حرس المقدمة.

العقيدة القتالية الروسية في الدفاع:

١ ـ الدفاع عملية قتالية صمم ليسمح باستئناف الهجوم في الفرصة المناسبة. يصمم التنظيم للقتال والمواضع والمواقع ليسمح بسرعة امتصاص الحركة. إن الأسباب التي دعت القوات الروسية لاتخاذ وضعية الدفاع ما يلي:

أ ـ كسب الوقت.

ب ـ الاقتصاد بالقوات.

ج ـ كسب دمج أو توحيد أو تقوية الدفاع.

د ـ صد الهجوم للقوة العظمى.

هـ ـ تقوية الأهداف المحتلة بنقل قواته.

و ـ تغطية القوات المنسحبة.

٢ ـ تأخذ القوات الروسية في الدفاع دعمها القتالي كما في الهجوم حيث توضع جيداً في الأمام فالمدفعية العضوية للواء توضع على بعد ٣ ـ ٥ كم من الوحدات الأمامية وعلى طول أخطر مقتربات العدو تعين سرية دبابات عادة لتدعم كتيبة مشاة آلية. كما أن جزءاً من بطاريات أسلحة م/د تلحق كذلك إلى الكتيبة في الدفاع.

إن الغرض من الدفاع هو إيقاع أكبر الخسائر كما هو موضح من وكالة الاستخبارات الدفاعية ومسك المنطقة الدفاعية وخلق ظروف ملائمة لافتراض الهجوم ويشمل مفهوم الدفاع ما يلي:

أ ـ **الثبات**: ينجز هذا بالدفاع في العمق، تنسيق النيران وخطة المانع وقوة احتياط متحركة.

ب ـ **الأمن**: ويتم ذلك بواسطة قوات أمن والتي تعطي إنذاراً مبكراً حيث تمنع قوات استطلاع العدو من كشف الموقع الدفاعي الرئيسي كما تجبر قوات العدو على الانتشار وإيقاع أكبر خسائر به بالإضافة إلى تنسيق أطول مدى للنيران على تشكيلات العدو.

جـ ـ **استخدام الأرض التعبوية**: ويشمل خطة النار والمانع التي تحدد من حرية مناورة قوات العدو كما تجره إلى منطقة التقتيل المناسبة.

د ـ **الانتشار**: وذلك بوضع السرايا على واجهة واسعة وفي أكبر عمق وذلك لإعطاء أكبر درجة من الحماية ضد الضربات النووية والكيماوية.

هـ ـ **الدفاع الدائري**: وذلك بإعداد مواقع بديلة وإضافية لتعطي ٣٦٠ للقدرة الدفاعية توضع النقاط الحصينة في العمق بعوائق وخطة نيران لدعم دفاع اللواء.

و ـ **الدفاع في العمق**: تمتص النقاط الحصينة للكتيبة رغم الهجوم كما توفر الوقت للقوات المتحركة للقيام بالهجمات المعاكسة.

ز ـ **دفاع أسلحة م/د**: يوفر بواسطة توضيع أسلحة م/د نزولاً لكافة المستويات.

ح ـ **تنسيق النيران**: تخطط لتدمير المهاجم المقترب من المنطقة الدفاعية على الحافة الأمامية للمنطقة الدفاعية على الأجنحة. وفي مناطق التقتيل، تخطط الضربات النووية من مستوى فرقة أعلى وضد أسلحة العدو النووية واحتياطه وقياداته وأماكن السيطرة.

ط ـ **قوات الهجوم المعاكس المتحركة**: يطلب منها شن الهجمات المعاكسة ويحتفظ قادة الروس من مستوى كتيبة وأعلى باحتياط لهذا الغرض.

ب ـ العقيدة القتالية الإسرائيلية ومدرستها العقيدة المحددة: استمدت إسرائيل عقيدتها القتالية في الأساس من قوانين الحرب في التوراة المحرفة التي قاموا بتحريفها حتى تتناسب مع مواقفهم وعقيدتهم وميولهم، فالتوراة تأمر بقتل الأطفال والشيوخ والنساء وحتى البهائم ونجد بأن في التعاليم الخاصة بحرب الموسويين مع أهل فلسطين وردت الوصايا التالية والتي جاءت في كتاب الدكتور أحمد سوسة (العرب واليهود في التاريخ).

أ ـ اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيات.

ب ـ احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصير فخاً في وسطك.

ج ـ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والعززيين والحوريين والبيوسيين كما أمرك الرب إلهك».

وفي غزو إسرائيل لمدينة أريحا دمر الموسويون المدينة وأحرقوها بالنار وقتلوا جميع المخلوقات الكائنة فيها حتى الأطفال والشيوخ والغنم والبقر «وهذه أوامر وقرارات لا تناقش صادرة عن إلههم «يهوه» الذي أصدر قراراً حاسماً إلى الملك شاؤول بضرب العمالقة العرب وهذا نص الأمر كما في ورد في سفر صموئيل الأول «فالان اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تقف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً» والذي جعل أعمالهم هذه

تنزل فيها الآية الكريمة من عند الله عز وجل ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾[1].

وقد جاء في التوراة أيضاً (إن نساء بني إسرائيل (أتباع موسى) حينما عزمن على الخروج من مصر استعرن حلي جاراتهن المصريات ليتجملن بها وقد زعمن أنهن ورجالهن سيحتفلون بالعيد في الصحراء فهربن بالحلي إلى سيناء وكان هذا السلب أيضاً بأمر إلههم «يهوه» أيضاً، وهذا نص الوحية: فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين.. وفعل بنو إسرائيل أتباع موسى بحسب قول موسى وطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين)[2].

ومستمدة أيضاً من بروتوكلات حكماء صهيون مقررات سنة ١٨٩٧ وقد كتبت لتمكين اليهود من السيطرة على العالم أجمع ولتأسيس حكومة ملكية يهودية مقرها أورشليم أولاً ثم تستقر إلى الأبد في روما وهي تتمسك بعقيدة الشعب المختار وقد كتب في البروتوكول الحادي عشر (بأن غير اليهود كقطيع من الأغنام ـ أما نحن فإننا الذئاب. وهل تعلمون ماذا تفعل الأغنام إذا ما اقتحم الذئاب حظيرتها؟ إنها تغمض عينيها. وسندفعهم إلى ذلك لأننا سنعدهم بجميع الحريات بعد أن نكون قد استعبدنا جميع الأعداء في العالم وحصلنا على خضوع جميع الأحزاب. وأكاد لا أكون في حاجة إلى أن أقول لكم كم من الوقت سينتظرون حرياتهم).

كلها نزعات متطرقة وعقلية بالية غير متزنة وهادفة ولننظر لهم ماذا يقولون في البروتوكول الأول (بأنه لا أخلاق في النضال، وإذا قال قائل مدفوعاً بنزعة

---

(١) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

(٢) العرب واليهود في التاريخ الدكتور أحمد سوسة.

من التحرر أن مثل هذه المناقشات لا تتحقق والأخلاق فإنني خليق بأن أطرح عليه السؤال التالي؟ لماذا لا يعتبر عملاً غير أخلاقي ذلك الذي تعمد إليه دولة يناوئها عدوان من الخارج ومن الداخل فتستخدم كافة السبل للقضاء عليها كأن تلجأ إلى خطط الدفاع السرية، أو الهجمات الليلية بقوات متفرقة. .؟ لماذا يعد هذا في الحقيقة عملاً يجافي الأخلاق إذا عمدت الدولة إليه ضد الذي يعمل على تقويض أركانها والقضاء على رخائها). وإنه لإسلام عندهم ولا مبادىء سامية فقولهم إن حقنا كامن في القوة، وكلمة «حق» فكرة مجردة لا تعتمد على شيء وهي لا تنطوي على أي معنى سوى هذا المبدأ.

«أعطني ما أنا في حاجة إليه كي أثبت لك أنني أفوقك قوة» ومعنى السلام عندهم مفترق في العبودية والتسلط والتعطش للسلطة وضروب من الآلام كلها تقع على كاهل الشعوب وهذا ما جاء في البروتوكول الرابع عشر» (سننشر في كل مناسبة مقالات نقارن فيها بين سلطتنا المتفوقة وسلطتنا الماضية ونبرز حالة السلام المباركة التي تعتبر حينئذٍ من محاسن حكومتنا وإن كانت تلك الحالة هي ثمرة أجيال طويلة من الاضطرابات. وسنكشف بجلاء براق الأخطاء التي ارتكبها غير اليهود في حكومتهم. ونثير حول العهد القديم من الاشمئزاز ما يدفع الأمم إلى تفضيل السلام في العبودية عن الحقوق التي تمنحها لهم حرية طالما أشادوا بها مع أنها سببت لهم أقسى ضروب الآلام وأمحلت الكيان البشري، تلك الحقوق التي كانت تدفعها إليها والحق يقال جماعة من المغامرين الذين كانوا لا يفقهون ما هم صانعون.

وترهق تغييرات الحكومة التي تكون قد دفعنا إليها غير اليهود لهدم الجهاز الحكومي، كاهل الشعوب فيبلغ بها الأمر حد تفضيل تحمل كل شيء على يدنا خوفاً من أن يتعرضوا من جديد للآلام والمصائب التي مرت بهم. وسنلفت النظر بصفة خاصة إلى الأخطاء التاريخية التي ارتكبتها حكومات غير اليهود، تلك الأخطاء التي أدت بها إلى تعذيب الإنسانية أجيالاً طوالاً، لأنها كانت لا تفقه معنى السعادة الحقة للحياة الإنسانية بسعيها الدائب وراء المشروعات الخيالية للرفاهية الاجتماعية. ذلك أن غير اليهود لم يتنبهوا إلى أن مشروعاتهم. بدلاً

من أن تحسن علاقات الإنسان بأخيه الإنسان، لم تسفر إلا عن زيادة مساوئه. ومع ذلك فإن تلك العلاقات المشتركة أساس الكيان البشري. وتقوم قوة مبادئنا والتدابير التي سنتخذها لتطبيقها على أننا سنفسرها بإظهار تباينها مع العهد البائد وأوضاعه الاجتماعية القديمة) ويظهر في مبادئهم الحربية الذعر والقتل وسفك الدماء وعدم الالتزام بالأخلاقيات فهم وحوش جائعة لا ضمير لهم ولا مبدء وجاء في البروتوكول الأول (يحق لدولتنا كي تمضي في طريق الانتصارات السليمة أن تستعيض عن أهوال الحرب بأعمال أقل ظهوراً وأكثر سرعة في نتائجها بالاستمرار في إشاعة الرعب وتحقيق المطلق. والصرامة الحقة التي لا تلين هي العامل الرئيسي الذي تقوم عليه قوة الدولة. على أننا لا نلتزم خطة البطش والنفاق حرصاً على المصالح التي يمكن تحقيقها فحسب، وإنما أيضاً تمسكاً بالواجب والنصر. إن مبادئنا لا تقل قوة عن الوسائل التي نلجأ إليها لتنفيذها. ومن هنا سوف ننتصر دون ريب ليس فقط بواسطة تلك الوسائل، وإنما أيضاً بفضل صراحة مبادئنا وسوف تجعل جميع الحكومات تخضع لحكومتنا «المتفوقة» وحسب هذه الحكومات أن تدرك أننا لا تلين لنا قناة عندما يغدو الأمر متعلقاً بالقضاء على المقاومة). أما سفك الدماء وقتل البشر فهي عقيدة مثالية غرستها البروتوكولات في قلوب مقاتليها منذ نشأت دولة إسرائيل، وليس ما حصل أو يحصل نتيجة ذلك إلا تأكيداً على تمسكهم بمبادىء قادتهم فقد جاء في البروتوكول الخامس عشر في مذابح من أجل القضية قولهم: (ثم كان حكماؤنا القداما نابهين عندما كانوا يعلموننا أنه لبلوغ هدف كبير حقاً يجب ألا تقف في وجهنا السبل وألا نحسب حساب عدد الضحاياالذي تجب التضحية به لتحقيق القضية؟ إننا لم نحفل يوماً بعدد ضحايا الجنس غير اليهودي البهيم ومع إننا اضطررنا إلى تضحية عدد كبير من أمتنا فإننا قد وهبنا شعبنا مركزاً في العالم لم يكن يحكم به. لقد أنقذ عدد ضئيل نسبياً من ضحايا أمتنا من الديار). والنظر في اقتصاد الحرب وضرورة الحروب الاقتصادية كان لها النصيب في البروتوكول الثاني من بروتوكولات حكماء صهيون ولكن بمعالجة خاطئة وبتصور ساذج غير فعال لهذه الحروب الاقتصادية وإلى أقوالهم (إنه من الأهمية بمكان في سبيل تحقيق أهدافنا، أن نعتبر أن الحروب لا تؤدي إلى تغيير إقليمي وأمام هذه

الاعتبارات، سوف تتحول كل حرب إلى الميدان الاقتصادي. وحينئذٍ تعترف الشعوب بتفوقنا حين ترى الخدمات التي نقدمها إليها. فالحروب من شأنها أن تدفع كلا الخصمين إلى محاولة استغلال الموارد غير المحدودة موضوع النزاع. فإن حالنا من حقوق في أنحاء العالم سوف يطغي على القوانين العالمية كلها، كما أنها سوف تحكم الدول كما تحكم الحكومات رعاياها).

وإسرائيل تربط عقيدتها العسكرية بعقيدتها السياسية وتمسح عليها بطابع ديني فاليهودية أنشأت على التعصب الديني ضد الديانات الأخرى، أما الصهيونية فترتبط بالقومية المزينة فقد صدر عن المؤتمر الذي عقده الحاخاموت في أميركا في مدينة بيتر بورج عام ١٨٨٥ قرار يقول: (لم تعد نعتبر أنفسنا أمة وإنما نحن طائفة دينية ولذا فنحن لا نتوقع أية عودة إلى فلسطين).

وكتب الحاخام سيجال عام ١٩٠٢ بنفس المعنى (لم يكن هناك قط وجود لما يسمى بالشعب اليهودي، إذا أن اليهود لم يهتموا في أي نوع من الأيام بالتسلسل الحياتي والعضوي ولا بالأرض أو اللغة أو التاريخ ولا بالتنظيم السياسي أو غير ذلك من المقدمات المعترف بها للقومية)(١) وقد جاءت تأكيد لذلك في كتاب الدكتور أحمد سوسة (العرب واليهود في التاريخ) عن توراتهم المزيفة (لم يمارس اليهود في أي دور من أدوار التاريخ حكماً زمنياً قائماً على جنس معين أو قومية ثابتة. فقد كانوا منذ عهد النبي موسى ومازالوا حتى يومنا هذا يمثلون جماعة يرتكز كيانها على الدين والدين وحدة إذا لم يألفوا غير السلطة الروحانية ولم يتقبلوا سواها. فكان حكامهم كهنة في أكثر الحالات، وفي عهد القضاة كان الحكام كهنة وأنبياء وكذلك كان الوضع في عهد الملوك فكان الملوك خاضعين للسلطة الدينية التي يمليها الكهنة أو الأنبياء. ومما يذكر في هذا الصدد أن اليهود لم يظهروا في جميع أدوارهم بأي مظهر من مظاهر البطولة فقد جبلوا على الجبن والخوف حتى جعلوا إلههم وقفاً لنزعاتهم فهو الذي يحارب عنهم ويقهر أعدائهم نيابة عنهم: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» وقولهم «الرب يحارب عن إسرائيل».

(١) خيري حماد «الصهيونية» ص ١٠٤.

ولقد استطاعت خلال وجودها التمسك والتعصب للنواحي الدينية وقد جعلها تستمر وتبقى على الرغم من جميع التقلبات (ويكمن السر في استمرار اليهودية طوال عشرات القرون حتى يومنا هذا في كونها غير مرتبطة باعتبارات جغرافية، وجنس أو لغة قومية أو سياسية، لأن الكيان الزمني والسياسي عرضة لتقلبات الدهر والزوال بينما استطاعت اليهودية كدين أن تستمر وتبقى على الرغم من جميع التقلبات. وخير مثال لذلك هو فشل الكنيسة المسيحية في محاولتها أن تجعل من كيانها سلطة زمنية وذلك بشن حروبها الصليبية على الشرق فرجعت إلى نطاق عملها الديني البحت وزالت الدولة الصليبية وكذلك ستلقي دولة إسرائيل بوضعها الشاذ الحالي نفس المصير عاجلاً أو آجلاً).

أما الأسس التي بنيت عليها القوات الإسرائيلية في وقتنا الحاضر والذي يتناسب وواقعها واستراتيجيتها فهي:

أ ـ **العوامل الطبيعية**: وذلك في صغر مساحة إسرائيل وشكلها غير المنتظم كدولة (طول الحدود ٩٥١ كم ـ أقصر طول ٤٥١ كم ـ أقصر عرض ١١٥ كم ـ أقل عرض ١٦ كم ـ المساحة حوالي ٢١ ألف كيلومتر مربع ـ حوالي ٦٠٪ من مساحتها مناطق جبلية وصحراوية) ولهذا فهي تحتاج لقوات كبيرة لحماية حدودها والدفاع عنها وعدم قبول الدفاع داخل أراضيها.

ب ـ **القوة البشرية**: يدرك قادة إسرائيل بأن التفوق العددي دائماً لجانب العرب، وأي قتال مسلح ومعارك مستقبلية سيجعل القلة الإسرائيلية تقف أمام الكثرة العربية.

حـ ـ **التقدم التكنولوجي**: بما يتوفر لها من قواعد علمية واسعة لوجود العلماء اليهود في داخل البلاد وخارجها واهتمامها بالتقدم التكنولوجي في مجالات بناء قواتها المسلحة وتسليحها، ومحاولاتها الدخول في مصاف الدول النووية.

د ـ **الوضع الاقتصادي**: إن اعتماد إسرائيل على المنح والمساعدات والقروض

الخارجية من الدول الصديقة ومن اليهود في جميع أنحاء العالم جعلها تسعى إلى التعاون مع الدول النامية. ولكن وبالرغم من الصعوبات الاقتصادية فموازنة الدفاع لم تتأثر بشكل كبير ولم يشكل عائقاً في سبيل تلبية احتياجاتها الدفاعية. وفي نفس الوقت فإن الصعوبات الاقتصادية جعلت إسرائيل لا تتحمل الدخول في حرب طويلة.

هـ ـ **الموقف المحلي في المنطقة**: تحيط الدول العربية بإسرائيل ولا تعترف بوجودها ولذلك فهي تخطط استراتيجيتها على أساس احتمال مواجهتها بعمل عربي موحد.

ولهذا بنت إسرائيل عقيدتها القتالية على تهيئة قوات مسلحة مدعمة من الشعب على اختلاف أعمارهم وأجناسهم من أجل إقامة وطن قومي يهودي والتوسع على حساب الدول العربية المجاورة. وإسرائيل تغير باستمرار عقيدتها القتالية إلا أن أكثرها عمقاً كانت بعد الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة عام ١٩٧٣. ويبقى الجانب الخفي للعقيدة القتالية الإسرائيلية في طي الكتمان إلا أن العسكري يستطيع من تنظيم القوات الإسرائيلية وأسلوب استخدامها ومنهجها السياسي أن يضع تصوراً عاماً لمنهج العقيدة العسكرية الإسرائيلية المرتكز على الأسس والمبادىء التالية:

أ ـ **استراتيجية الردع**: وذلك بدحر وإحباط أي هجوم عربي واحتلال مزيد من الأراضي العربية لتحقيق الهدف الأساسي للضهيونية بإقامة دولة إسرائيل الموعودة حسب ادعائها بحدودها من النيل إلى الفرات وقد تبنت إسرائيل في سبيل ذلك ما يلي:

١ ـ التفوق الكمي المحلي. وذلك بحشد القوات المناسبة لمعالجة أي موقف بسرعة، بحيث تتناسب القوة مع الموقف وذلك بتحديد أولويات جهدها ومثال على ذلك التركيز على الجبهة السورية في حرب ٧٣.

٢ ـ اتخاذ زمام المبادرة في جميع حروبها ـ ما عدا حرب ٧٣ الذي انتزع منها زمام المبادرة للعرب.

٣ ـ تحقيق التفوق النوعي بالإنسان والسلاح، الإنسان المدرب تدريب

عالي وذات كفاءة قتالية ممتازة مع تسليحه بالسلاح المعاصر وحتى لو وصل هذا التسليح إلى أسلحة التدمير الشامل.

٤ ـ محاولة إحباط أي تهديد تتوقعه ومن الأمثلة على ذلك قصفها للمفاعل النووي العراقي.

ب ـ **تبني الحرب الخاطفة**: والأسباب تعود حول الوضع الاقتصادي الذي لا يتحمل حروب طويلة وأيضاً إلى الطاقة البشرية المحدودة ومتى تحبط أي موقف سياسي قد يعيق أطماعها.

جـ ـ **التعرض المعاكس داخل أراضي الخصم**: وتعلل الأسباب بمحدودية العمق كما أوضحنا بالعوامل الطبيعية وشكل الدولة غير الطبيعي والسبب الرئيسي للتعرض المعاكس احتلال المزيد من المناطق لزيادة مساحة الدولة وحتى تستطيع استيعاب يهود العالم (ولتحقيق مقومات إقامة دولتها المتكاملة بشراً وأرضاً ومصادراً).

د ـ **الحرب النفسية**: فهناك توجيه إعلامي مركز ضد الحرب والأجهزة موضوعة في خدمة أهدافها السياسية والعسكرية وتحاول إفشال أي اتحاد ووحدة عربية قبل قيامها مع التركيز على معرفة نوايا الدول العربية والتأثير على الموقف الدولي لصالحها.

هـ ـ **الاعتماد على الاحتياط**: تبقي إسرائيل القوات النظامية إلى الحد الأدنى المعقول حتى تتمكن من تشغيل الصانع وإدارة الزراعة وبقية مرافق الدولة والاعتماد الرئيسي على الاحتياط والذي يشكل ٨٠٪ من الجيش ضمن برنامج واعٍ وحقيقي وذلك بعمله ودعوته في الخطر بأقل وقت وأعلى كفاءة وبسرعة متناهية واستعداد قتالي جيد.

و ـ **الدبابات وسلاح الجو العامود الفقري للقوات المسلحة**: تعتبر منطقة الشرق الأوسط مسرح عمليات مثالياً للقوة الجوية وتشكيلات الدروع ولذلك فهي تركز على هذه الأسلحة لتحقيق التفوق على الدول العربية المجاورة وذلك بالاستغلال الأمثل للقدرات والانطلاق نحو الجبهات

المحيطة بها باتباع اسيراتيجية الخطوط الداخلية نحو تلك الجبهات وليبقى سلاح الجو بذراع طويلة وقبضة متينة على كل الدول العربية يحقق أهداف إسرائيل بوصولها إلى أي هدف ومشاغلته بصمت العدو. ولهذا نجد أنه مهما اتخذت إسرائيل من أسس وقواعد لعقيدتها القتالية فإنّ شرعها في القتال متمرد بعنجهية ودون مبادىء ثابتة وأسس قوية. وها هي ذي إسرائيل وما زالت على نهج الأجداد (فالطبع غلب التطبع) تعتمد على شريعة الغاب لا أخلاق ولا غايات سامية نبيلة في القتال، لا أنظمة ولا قوانين ولا أعراف إنسانية أو مبادىء تحتدم وتقدس وفوق كل ذلك فهم يستخدمون جميع وسائل القوة والنفاق لتحقيق أهدافهم المزعومة.

ز ـ أما نظرة المسيحية إلى الحرب فقد أقرت بتحريم الحرب بتاتاً لقول السيد المسيح في إنجيل متي «أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر».

وقول السيد المسيح: «أعد سيفك إلى مكانه لأن كل الذي يأخذون السيف بالسيف يهلكون» فهي تحرم صناعة الجندية والحرب المباغتة والممنوعة ولكن مع ضرورات الدولة والدفاع عنها وضع الاعتداء على الأمة والشعب، باحت الحرب بشرط أن تكون عادلة ويعلنها الوالي والأمير بصفاء النية وصدق التوجه وأن تكون الحرب عادلة بلا طمع ووحشية.

٤ ـ مدرسة الإسلام في غرس عقيدة القتال:

تنادي مدرسة الإسلام في غرس عقيدة القتال بفلسفة «الجهاد في سبيل الله» فالمقاتل جندي من جنود الله للحق والواجب مهيأ نفسياً ووجدانياً وسلوكياً لهذه المهمة المقدسة ويسعى إلى النصر أو الشهادة ويحقق نتيجة مشرفة ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾[١] ويتحفز إلى لقاء ربه ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾[٢] فالدافع إلى القتال عن إيمان واقتناع ودوافع دينيه مبادئه وأصوله حقه يكسب في دنياه ويكسب في أخرته، فهي تربط عقيدة القتال بالعقيدة الدينية. وفي هذا يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ في كتابه العقيدة

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة.

(٢) سورة طه.

العسكرية في الإسلام (تتميز عقيدة الجهاد في سبيل الله التي هي جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية بأنها كما ذكرنا ـ مادة وروح أي تجمع بين الجانب العسكري المتعلق بإدارة الحرب وبين الجانب المعنوي المتعلق بالتعريف بأسباب الحرب ودوافعها وأهدافها) وتتميز عقيدة القتال في الإسلام بالخصائص التالية:

أ ـ **عقيدة ثابتة**: لأنها من صنع رب البشر وشتان ما بين ما يضعه ويضعه البشر، فرب البشر لا أهواء لا ميول، لا رغبات شخصية. مبدأ خالد ودستور عظيم ومواقف عظيمة ونهج قويم متكافىء. وبالتالي فإنها ستبقى عقيدة ثابتة ومحصلتها النهائية لكل هذه الأسس إحدى الحسنيين أما الشهادة وإما النصر المؤكدة والوصول إليه بأعلى كفاءة وبأقل وقت وبأقل التكاليف وبأقل جهد ممكن.

ب ـ **الهدف الواضح بالجهاد لله**: لا مفاخرة ولا حب ظهور ولا قتالاً من أجل أن يزين الصدر بالأوسمة والمداليات المختلفة فهو خالص لوجه الله عز وجل دون ريب أو سمعة ورياء جاءوا إلى النبي (ﷺ) فقالوا: (إن فلاناً يقاتل للمغنم ويقاتل للسمعة ويقاتل حمية ويقاتل غضباً فمن في سبيل الله؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). ونرى أن الولايات المتحدة تحث وتشجع الجنود على التحفز لأمريكا، تحفز للوطن والقتال من أجله بدعوة إلى الوطنية ولكن ما الوطنية إلى جانب إعلاء كلمة الله، فإعلاء كلمة الله فوق كل معنى وهي تشمل كل مبدأ سامي فمن قاتل من أجلها فهو مع الإسلام على طول الطريق، ومن وقف ضدها فهو ضد الإسلام.

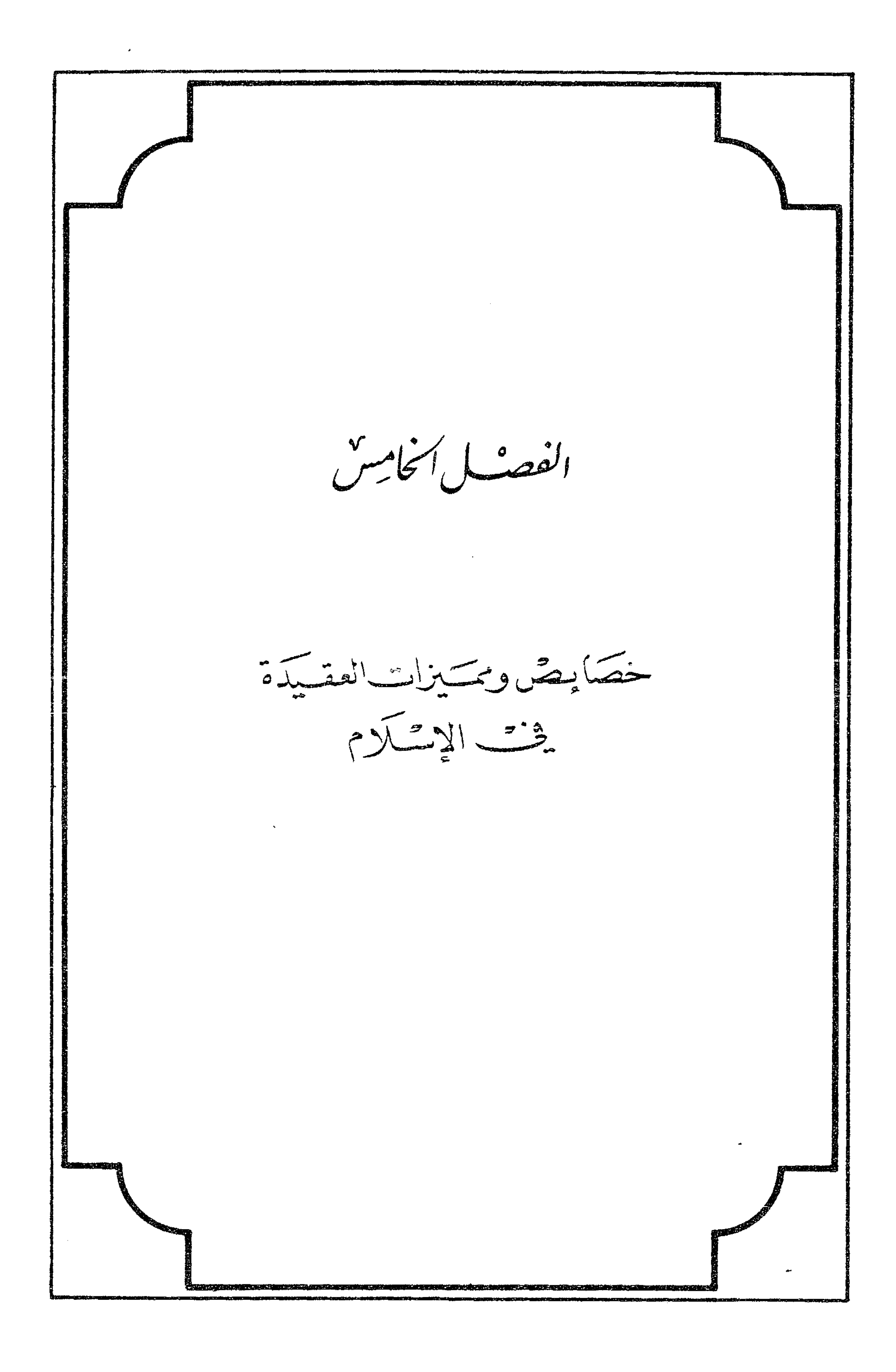
حـ ـ **دور القوة الإلهية في إظهارها وإنجاحها**: فقد ضمن الله لهذه الدعوة العظيمة النجاح بدعمه التواصل المستمر لها وتقديمه كل عون ومساعدة لجنود الإسلام.

د ـ **عقيدة صالحة لكل زمان ومكان**: فالإسلام دين الله الخالد على مرور الزمن: شريعته خالدة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، فهو دستور الله الخالد.

هـ ـ **الارتباط بتعاليم الإسلام وبالشريعة الإسلامية**: فالإسلام متكامل بأصوله وفروعه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا من أي مكان فهو شرع الله الخالد الدائم.

و ـ **عقيدة عادلة لا شرف مهمة وهدف**: في الغاية والوسيلة لأن السياسة غالباً ما تخضع للأهواء والأطماع والمصالح، أما شرع الله دون أهواء وأطماع ومصالح فهو دين مبادىء لا دين مصالح.

ولهذا فنجد أن الإسلام ضد دوافع الظهور فقد هذب عقيدة القتال وجعلها تسمو فوق الأعراض الزائلة، قدم الإنسان وروحه لها ثمن في نظر الإسلام فلا يجوز بذلها لأشياء تافهة بل لمعانٍ وأهداف وغايات سامية ونبيلة وستذكر خصائص عقيدة القتال في الإسلام بالتفصيل في الفصل الخامس.



الفصل الخامس

خصائص ومميزات العقيدة في الإسلام

خصائص ومميزات العقيدة في الإسلام

هناك خصائص ومميزات للعقيدة القتالية في الإسلام تميزها عن كافة العقائد الأجنبية وهي مميزات فريدة نذكرها بما يلي:

١ ـ الهدف الواضح:

لا شك بأن للعقيدة القتالية في الإسلام هدفاً واضحاً يحوي كل قيمة إنسانية سامية ونبيلة قال تعالى: ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾ وهذا الهدف الواضح يتميز عن كافة العقائد التي هي من صنع البشر. فهي لا تدعو ولا تطلب حماية شخص معين والإنتماء إلى حزب أو طائفة معينة، بل الجهاد كله لله عز وجل الذي بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير، ولا تطالب بإعلاء كلمة بلد وقوة بلد على الآخر بالاعتداء ولكنها تطالب بإعلاء كلمة الله وما تحوي من القيم الإنسانية الرفيعة تلزمه بالدفاع عن وطنه وكرامته وتحقيق السلام والعدل ومن أجل الصالح العام خالصاً لوجه الله عز وجل دون ريب أو سمعة ورياء فقد سألوا النبي (ﷺ) قائلين: (إن فلاناً يقاتل للمغنم ويقاتل للسمعة ويقاتل ليرى مكانه وفلان يقاتل حمية ويقاتل غضباً فمن في سبيل الله؟ فقال النبي (ﷺ) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). وموقف النبي (ﷺ) بعد أن كان يمنع أصحابه بالكف عن القتال قائلاً (لقد أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى) فهذا تأكيد على هذا الهدف الواضح وبذل الغالي والرخيص في سبيله.

بعكس العقائد الأجنبية ولتأخذ اليهودية العالمية لنرى ماذا يقول أحد قادتها (أقتل كل البشر إلّا اليهودي) إنها عقلية شاذة منفرة لا ترتكز على هدف واضح وأن مقومات أمة وركائز شعب بهذا المفهوم ستبنى على أهداف حاقدة وعقلية بغيضة وستكون النتيجة الضياع والخسارة.

٢ ـ عقيدة ثابتة ومستقرة وليست قانوناً وضعياً:

لأنها ليست من وضع بشر يخطىء ويصيب وإنما مصدرها كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله فالعقائد لدول العالم تحدد مبادئها وأهدافها القيادات السياسية والعسكرية في ظل الظروف المتغيرة المختلفة بينما شريعة الله عقيدة راسخة محكمة وخالدة وصفة الثبات تعطيها ميزة القوة فهي لا تتغير بتغيير الأشخاص فيأتي أحدهم ليصلح ويلغي مفاهيم ومبادىء غيره باجتهادات وآراء مختلفة خاضعة للخطأ والصواب. ولا يعني الثبات للعقيدة القتالية في الإسلام بأنها تصلح إلى زمن معين بل هي صالحة لكل زمان ومكان (إن الاستراتيجية الإسلامية لم تكن نمطاً أو نموذجاً جامداً محدداً. فهي عبارة عن مجموعة من المفاهيم والأساليب الفكرية القادرة على استيعاب الأحداث والأوضاع ثابتها ومتغيرها وجدولتها ووضعها في إطارها الصحيح والتعامل معها ومعالجتها بإحدى السبل وأكثرها من فاعلية تبعاً لخصائص ومتطلبات كل وضع خاص)[١].

فرب البشر يعرف ما ينفعهم ويضرهم على مرور الأزمان والعصور وفي الظروف والأحوال المختلفة فهو مطلع وعالم بالأمور يعرف بأن رسالة الإسلام لكل البشر (أما العقيدة العسكرية الإسلامية فإنها بحكم انبثاقها من القرآن والسنة ـ تتبوأ مكانة وتتميز بالاستقرار والثبوت لأنها من هدى الدين وليست ميراثاً لحروب البشر، كما أنها في غاية الإحكام والدقة جملة وتفصيلاً لأنها من لدن حكيم خبير)[٢].

---

(١) استراتيجية الفتوحات الإسلامية ص ١٨ الرائد وليد جرادات.

(٢) المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الإسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

٣ ـ الدور الإلهي في إظهارها وإنجاحها:

فنجد أن هدف العقيدة القتالية هو الجهاد في سبيل الله والله عز وجل ضمن لهذه الدعوة العظيمة النجاح بدعمه المتواصل المستمر لها وتقديم كل عون ومساعدة لجنود الإسلام الذين صانوها وضحوا من أجلها. ففي معركة بدر تولى الله عز وجل المعركة فأنزل السكينة على جنوده مع النعاس والمطر لقوله تعالى: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الإقدام * إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾[١].

ويأتي الدور الإلهي أيضاً في معركة حنين فلقد كان الجيش الإسلامي كامل العدة والعدد حوالي عشرة آلاف وانضم إليه ألفان من أهل مكة ممن أسلموا حديثاً وكان عدد عدوهم ثلاثين ألفاً فداخلهم الغرور وأعجبتهم قوتهم وكثرتهم وقد باغتهم العدو وأخذهم على غره فولى جيش المسلمين هارباً وأنزل الله قوله تعالى: ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة، ويوم حنين إذاأعجبتكم كثرتكم فلن تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا، وذلك جزاء الكافرين ﴾[٢] وفي معارك الإسلام أكد الله عز وجل بأن النصر من عنده وليس بالعدد والعدة لقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون. ألئن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾[٣] لقد وصف

(١) الآيات ٩، ١٠، ١٢، من سورة الأنفال.

(٢) الآيات ٢٥، ٢٩ من سورة التوبة.

(٣) الآيات ٦٥، ٦٦ من سورة الأنفال.

بعض القادة ومنهم نابليون هذا الإلهام حسب مفهومهم بقوله (على أي شخص عند القرار من عمل ما أن يبني ٢/٣ (ثلثي) تبريرة على الحكم السليم وأن يدع الثلث الباقي للحظ.

وقد بين القادة في كتاباتهم بأن عملية اتخاذ القرار تمر بالحقائق ثم التحليل ووضع الإمكانيات والاحتمالات، ومن ثم اختيارات وكل هذا أسموه حسب مفهومهم (الاستدلال من المعلوم وأعطوه في مجال الحرب ثلثي القرار وتركوا الثلث الباقي أسموه (قفزة في الظلام) وهو عالم المجهول وقد أكد هتلر على هذا المفهوم قائلاً (لو ملكتُ رجالاً لا يصدرون في قراراتهم بناءً على المعرفة الفلسفية فحسب بل على ما يوحي به الإلهام الفطري والغريزة الإنسانية السليمة لتغيرت مجريات الحرب ونتيجتها لأن الحياة تتطلب المجازفة والمغامرة) أما الله عز وجل الذي بيده الحقائق وكل الإمكانيات والاحتمالات والاختيارات هي ملكه فهو يعرف المستقبل بكل أبعاده والمؤمن كيس فطن فهو يرى ويشاهد ما قد يحدث له مصداقاً لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام (المؤمن يرى بنور الله). فهذا التوقع للاحتمالات توقع محسوب بدقة واتقان (لقد كانت حروب الفتح الإسلامي بمجملها حرب مغامرة لو قيست بمقدار ما توفر لها من قوى ووسائل مقارنة بما توفر لسواها ولكنها كانت حرب مغامرة محسوبة ولكنها جريئة لحمتها معنويات عالية وروحها توكل على الله واستعانة به)[1].

٤ ـ عقيدة صالحة لكل زمان ومكان:

فرسالة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان وعقيدته القتالية تطبق بمختلف الظروف والأحوال قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[2] وما دام الهدف الواضح هو «لله» وهذا الهدف يحوي كل القيم النبيلة والتي لها عدة معاني متعددة كدفاع الإنسان عن أرضه وعرضه وعن مواطنيه وكرامتهم. قال تعالى: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾[3]

---

(١) استراتيجية الفتوحات الإسلامية الرائد وليد محمد جرادات.
(٢) سبأ الآية ٢٨.
(٣) الحج الآية ٣٩.

فهذه المعاني والمفاهيم صالحة للدفاع عنها في كل الأوقات وهي معاني سامية وخالدة على مر الزمن. لقد جعل الإسلام من عقيدته القتالية مبادىء دائمة ومستقرة على مرور الأزمان والعصور تعالج الحرب بمختلف ظروفها ومستجداتها وتطوراتها.

قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأوَنُه جهنم وبئس المصير ﴾[1].

فالثبات في الحرب وطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، وعدم النزاع والاختلاف والصبر عند اللقاء كلها مبادىء تطلب من المقاتلين في أي زمان ومكان قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[2].

ولا شك بأن الله الذي خلق البشر يعرف أين تكمن سعادتهم وأين سيكون شفاؤهم وحدد المبادىء والأسس وعرف الناس لكل معنى ومبدأ فمن الواجب أن تكون عقيدته العظيمة صالحة لكل زمان ومكان لأنها عقيدة واحدة لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك. وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾[3].

٥ ـ الارتباط بتعاليم الإسلام وبالشريعة الإسلامية:

وهذا الارتباط جعل العقيدة القتالية في الإسلام خط الدفاع عن الأمة الإسلامية لخدمة هذه التعاليم وهي قوة فعالة وعظيمة تخدم تعاليم الإسلام ومبادئه العظيمة ﴿ وإن بينها وبين الرسالة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، فتعاليم الإسلام هي مصدر قوتها وفاعليتها، والعقيدة العسكرية هي الدرع التي تحمي

(١) الأنفال الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) الأنفال الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة الشورى آية ١٣.

الرسالة وتدافع عن امة الإسلامية ﴾[1]. وكما نعرف بأن العقائد للأمم والدول ترتبط بأهدافها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية. وتتدخل الأفكار الخاصة والمعتقدات في رسم اتجاه لهذه العقيدة ولذلك فإنها معرضة للخطأ والصواب لأنها من وضع البشر. أما لارتباط العقائد بتعاليم الإسلام ضمن مبادىء واضحة ومميزة وثابتة من وضع رب البشر العالم بكل شيء والمدرك للأمور قبل وقوعها فلذلك فهي مثالية صادقة مرتبطة بتعاليم الإسلام وبالشريعة الإسلامية (ولما كانت العقيدة الإسلامية ربانية المصدر منزلة غير موضوعة فقد تميزت بالثبات والديمومة والأحكام وعدم التعرض لاحتمالات الخطأ وانعكس ذلك كله على الاستراتيجية الإسلامية التي تميزت كثير من مفاهيمها ومبادئها وأهدافها بالاستقرار والديمومة والصحة المطلقة. فارتبطت مبادؤها بمعاني العدل والمساواة والرحمة وابتعدت عن الطمع والجشع والقهر والابتزاز وتنزه مقاتلوها عن دوافع المفاخرة وحب الظهور وتحصنوا حصانة معنوية ضد شدائد الحرب وانعكاساتها)[2]. ووصلت الأمة الإسلامية نتيجة هذا الارتباط الوثيق حدودها من الصين إلى المحيط الأطلسي وكانت أمة ذات سيادة ومكانة عالية مهابة ومحترمة مما جعل قادة العالم ومنهم مونتجمري يقول تحت عنوان الإسلام محرر الشعوب من العبودية (إن أهم مميزات الجيوش الإسلامية لم تكن في المعدات أو التسليح أو التنظيم بل كانت في الروح المعنوية العالية النابعة من قوة إيمانهم بالدعوة الإسلامية وفي خفة الحركة التي ترجع إلى مهارتهم في سرعة التحرك بالجمال والخيل وأيضاً في قوة احتمالهم وجلدهم نتيجة لحياتهم الصعبة في الصحراء التي تعودوا عليها على أن هناك عوامل أخرى شاركت في نجاح زحفهم غير العادي ذلك الزحف الذي كان عبارة عن نجاح تلو النجاح، فقد كان العرب يندفعون نحو القتال ويحركهم أقوى دوافع الحرب إلا وهو الإيمان والعقيدة، ومثل هذه النبضات المتلاحقة لم يكن من السهل أن تخبو سريعاً، فالكثيرون منهم وخاصة في المراحل الأولى للفتوحات الإسلامية. كانوا يؤمنون إيماناً راسخاً بالدعوة الإسلامية ويتحمسون لها

---

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

(٢) استراتيجية الفتوحات الإسلامية ص ١١٢ الرائد وليد جرادات.

ويغارون عليها. وأدى هذا إلى اعتناقهم مبدأ صلباً هو «الجهاد في سبيل الله» وقد تغلغل هذا المبدأ في قلوب أتباع الرسول)[1] وقال أيضاً في كتابه «الحرب عبر التاريخ» ما يلي: «في غضون مائة سنة امتدت الإمبراطورية الإسلامية من بحر الأورال إلى أعالي النيل ومن تخوم الصين إلى خليج بسكاي ولم تكن هناك سوى قوة واحدة لديها القدرة على مقاومة المسلمين في ذلك الوقت وهي الإمبراطورية البيزنطية بالرغم من فقدها الجزء الجنوبي الشرقي من إمبراطوريتها».

٦ ـ توليد أقوى الدوافع على الإطلاق:

لأن الدين أثبت من السياسة والسياسة معرضة للمطامع والمصالح والأهواء والعقائد السياسية مهما عظمت وكبرت أهدافها فلا يمكن أن تصل إلى أهداف عقيدة الجهاد لإعلاء كلمة (لا إله إلا الله)، لأن لهذه الكلمة مدلولاً كبيراً وعظيماً ومعاني واسعة ومختلفة وتحوي كل القيم الإنسانية النبيلة الهادفة السامية في معانيها وغاياتها. فمثلاً نجد أن بعض الدول توجه عقيدتها القتالية بالتحفز للوطن وحب التضحية من أجله فالولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على تحفز جنودها لأمريكا وتشبعه بهذه العاطفة حب الاستعداد من أجل الوطن (لكن ما الوطنية إلى جانب إعلاء كلمة الله؟ فإذا كانت النفس تزيدها حب الوطن بمقدار ما في الوطن كله من قوة، فما أكثر ما يزيدها الإيمان بالوجود كله وبخالق الوجود كله من قوة)[2] وبذلك يشعر المسلم بأنه جندي من جنود الله يدافع عن أرضه وعرضه ويقاتل أعداء الله في أي زمان ومكان مما تعظم التضحية ويهون بذل الأرواح رخيصة من أجل هذا الدافع العظيم وبالتالي فهو واثق من نصر الله عز وجل وهذه نتيجة حتمية لقوله تعالى: ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ فكل هذه الضمانات والنتائج يعرفها من يكون هدفه العظيم إعلاء كلمة الله ويكون مستعداً للتضحية في سبيلها. وبالتالي فهو ينظر إلى مهمته

---

(١) الحرب عبر التاريخ ـ للفيلد مارشال مونتجمري ـ تعريب العميد فتحي عبدالله النمر.

(٢) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

المقدسة التي أعطاها ومنحها له الله عـز وجل صـاحب النفوذ والسلطان ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾ وبالإضافة إلى إعطاء المهمة اختار المسلم لتنفيذها وعملها ومنحه كامل ثقته ومحبته.

٧ ـ عقيدة عادلة لأشرف مهمة وهدف:

مبنية على الحق والعدل والسلام لا على العدوان والظلم وبذلك ينتج عنها حربٌ عادلة[١] قال تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[٢]. إذا لم يبح الإسلام الاعتداء على الآخرين واحتلال أرضهم بل أباح الجهاد دفاعاً عن العرض الكرامة والشرف فالهدف الفتح لا التوسع (لم يكن هدف الاستراتيجية الإسلامية احتلال الأرض وتوسيع المجال الإقليمي للدولة الإسـلامية. لأن الأرض من وجهـة نظر العقيـدة الإسلامية ليست أمراً ذا أهمية كبرى وتقتصر أهميتها على كونها المكان الذي يمارس الإنسان فيه نشاطه. ويكمل مفهوم الفتح ويدعمه إطلاق كلمة الجهاد وليس القتال أو الصراع على وسيلة الفتح لأن معنى الجهاد معنى خاص يتلائم تماماً مع مضمونه وغايته)[٣] وعندما تكون الحرب التي يقاتل فيها الجندي حرباً عادلة يكون صادق العزم، قادراً على مواجهة التحديات فهو يقاتل لأنبل وأشرف مهمة وهدف يقول مونتجمري (إن التعب والخوف والرعب والحرمان وتحمل الموت، سوف يواجهها الجندي المقاتل بقلب جسور إذا كان على علم وإيمان بالغرض الذي يقاتل من أجله، ويثق في ضباطه ورفاقه وفي نفس الوقت يعلم أنه لن يطلب منه تحقيق ما لا يكون في استطاعته). ولتلبية هذا المتطلب وتحقيق العدل وضع الإسلام أنظمة للحرب والقتال لا يجوز تجاوزها بل التقيد بها من حيث.

أ ـ **معاملة الأسرى**: معاملة حسنة وممتازة قال عليـه الصلاة والسـلام:

---

(١) الحرب العادلة: هي حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم، ووجوب احترام حياة وإملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن.

(٢) سورة البقرة الاية ١٩٠.

(٣) الاستراتيجية الإسلامية ص ١١٢ الرائد وليد جرادات.

(واستوصوا بالأسرى خيراً) والإسلام بهذا سبق كل المواثيق واتفاقيات جنيف حول ذلك، فقد حدد هذه المعاملة بمفهوم صحيح ويجب تقيد المسلمين بهذه المعاملة للأسرى وبمعالجة جرحاهم ومنع التمثيل بجثث القتلى أو تعذيب الأسرى والجرحى.

ب ـ الحفاظ على المدنيين غير المشتركين فعلاً في القتال وعدم مهاجمة منشآتهم وسكنهم.

جـ ـ المحافظة على رسل العدو وعدم القيام بأذاهم.

د ـ فرض السلام الدائم والميل نحوه على شرط أن يلتزم به العدو قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾[1] وقال أيضاً: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾[2].

هـ ـ القبول بشروط الهدنة (راجع صلح الحديبية).

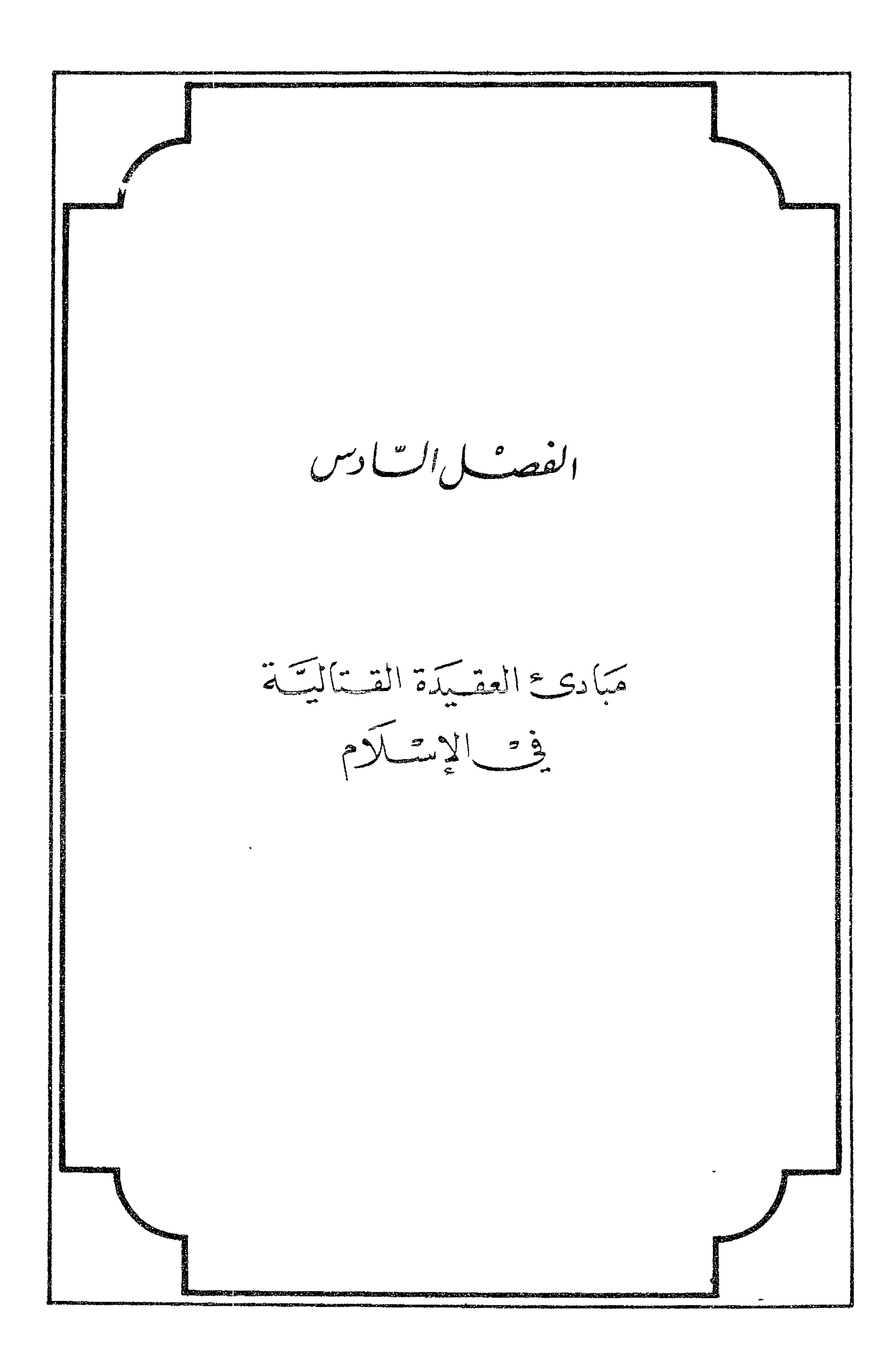
والهدف من إعداد القوة في الإسلام إرهاب الأعداء وردعهم وعدم قيامهم بمهاجمة الأمة المسلمة قال تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾. ويجب أن يفهم الجندي المهمة التي يقاتل من أجلها ويؤمن بالهدف الذي يقاتل من أجله فانهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية سببه أن الجندي الفرنسي لم يكن يؤمن بالهدف الذي يقاتل ويناضل ويكافح من أجله، فالأغلبية، كانوا يعتقدون أنهم يقاتلون من أجل بولندا، لا إيماناً بهدف ولا معرفة بمهمة (أما المجاهد في الإسلام فهو يقاتل وهو مدرك تمام الإدراك أنه يخوض حرباً عادلة وشريفة المقاصد والوسائل، وبذلك تتوافر له جميع الظروف الموضوعية لبعث الروح المعنوية العالية وهو ما يستفاد من دراستنا لموضوع الجهاد في سبيل الله)[3] فلا توجد عقيدة قتالية عادلة تؤمن بشرف المهمة والهدف كعقيدة الإسلام العادلة سواء في الغاية والوسيلة لأن دين الإسلام هو دين الله لكافة البشر فمبادؤه خالدة وعظيمة.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦١.

(٣) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ.



الفصل السادس

مبادئ العقيدة القتالية في الإسلام

مبادئ العقيدة القتالية في الإسلام

تمهيد:

لكل أمة عقيدة قتال متميزة تخضع لمبادىء وأصول متعددة والإسلام الدين العظيم الصالح لكل زمان ومكان، مبادؤه خالدة وصالحة على مر الزمن ولهذا فإننا نجد أن مواثيق واتفاقيات الحروب الدولية إذا أخضعناها للبحث والتحليل مأخوذة من دين الإسلام وتُجمل هذه المبادىء فيما يلي:

١ - حرب عقيدة عادلة:

فالحرب في الإسلام هدفها حماية حرية العقيدة ودفع العدوان والاعتداء. لا من أجل أغراض شخصية. ونجد بأن قريشاً أرسلت عتبة بن ربيعة إلى رسول الله (ﷺ) يقول له: «يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من المكان والنسب وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها. إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا تقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا» ولكن الرسول (ﷺ) لم يكترث بكل هذا واشتدت عداوة قريش، وقد عظم على أبي طالب عداوة قومه له فقال لمحمد (ﷺ) «ابق على نفسك وعلي، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق» قال الرسول: يا عماه. والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» ولم تكن من أجل أغراض عنصرية لأن الإسلام دين للناس جميعاً وليس إلى انتماء معين أو أمة

معينة أو للعرب دون العجم قال تعالى: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ وقول رسول الله (ﷺ) «وليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى».

فمثلاً الولايات المتحدة الأمريكية تغرس في عقيدة الجنود «الاعتزاز بأمريكا» وأيضاً الألمان «العنصرية الجرمانية» ومعظم الحروب الحالية ترتكز على العنصرية. ولم تكن حرب الإسلام حرباً مادية والأمثلة شاهدة على صدق ذلك ففي غزوة بدر خرج المسلمون للتصدي إلى قافلة أبي سفيان العائدة من الشام وذلك حتى يحرموا قريشاً من طريق مكة ـ الشام التجارية حتى يضعف اقتصاد عدوهم، ونحن ضد من يقول بأن خروجهم من أجل القافلة فقط وعندما تجاوزتهم القافلة قاتلوا للأسباب والدوافع التي ذكرت وغزوة حنين شاهد آخر فالنبي (ﷺ) كان يريد توزيع ما غنمه المسلمون من أموالهم وانتظر مدة طويلة ولكنه وزعها فيما بعد لعدم حضورهم. ورسول الله (ﷺ) لم يأخذ نصيبه الذي منحه الله إياه في توزيع الغنائم ألا وهو الخمس لأنه صرفه في المصلحة العامة وبناء الجيش. قال تعالى: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خُمُسَهُ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، إن كنتم أمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ﴾[1] وقول عائشة يدل على أن قائد الإسلام محمد رسول الله (ﷺ) كان لا يهتم بالنواحي المادية ولم يشبع نفسه منها قالت (ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين، حتى قبض رسول الله (ﷺ) (وإذا كانت الأهداف رفيعة، تعبت في الحصول عليها الأجساد وقد أتعب الرسول نفسه وأهله وأصحابه في سبيل أهداف الإسلام، ليكونوا أسوة حسنة للمسلمين في كل زمان ومكان[2].

وبهذا يمكن أن نقول بأن الحرب في الإسلام هدفها حماية حرية العقيدة ودفع العدوان والاعتداء. لا من أجل دوافع شخصية أو عنصرية، أو اقتصادية أو توسع على حساب دول أخرى، لأن الإسلام في دعوته للصالح العام

(١) آية ٤١ من سورة الأنفال.

(٢) الرسول القائد محمود شيت حطاب.

وللبشرية كافة لا لمصلحة المسمين بشكل خاص بعكس العقائد القتالية الباطلة والتي من مبادئها ودوافعها أسباب شخصية وعنصرية وتوسع على حساب الدول الأخرى.

٢ ـ المبدأ الثاني: البعد عن الخدعة والغدر والقيام بمباغته العدو بعد عقد المعاهدات للصداقة:

والتي يفترض أن تحترم بعدم الاعتداء ولذلك لم يضمر الإسلام نوايا ضد أي خصم بعد عقد المعاهدات ومن ثم تظهر هذه النوايا بالاعتداء والهجوم لتدمير العدو، فإعلان الحرب مناسب جداً في نظر الإسلام لأنه قد يطلب العدو نتيجة ذلك السلم وينتهي النزاع دون احتدام مسلح وهذا قول الله عز وجل: ﴿ وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين ﴾[1] وهناك مشاهد خالدة طبقها المسلمون في قتالهم في المحافظة على العهد والمواثيق وعدم اللجوء إلى الغدر والخيانة فعن الإمام أحمد بن حنبل أن معاوية بن أبي سفيان كان يزحف بجيشه في بلاد الروم وكان بينهم عهد لعدم الاعتداء لمدة معينة فبدأ يتقرب من عدوه حتى يهاجمه قبل أن ينتهي العهد الذي بينهم فنادى أحد الجنود من جيش معاوية قائلاً (وفاء لا غدر يا معاوية) إن رسول الله (ﷺ) قال: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقض أمرها، أو ينبذ إليهم على سواء). فلما سمع معاوية النداء تروى في الأمر ولم يهاجم الروم.

وأيضاً مشهد آخر من سلمان الفارسي حين وصل إلى بلاد الفرس، أمر أصحابه بقوله: (دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله (ﷺ) يدعوهم، فقال لهم: إنما كنت رجلاً منكم فهداني الله عز وجل للإسلام، فإن أسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فانبذناكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين) فأنذرهم لمدة ثلاثة أيام ولما لم يعلنوا شيئاً هاجمهم باليوم الرابع وفتح بلادهم، وبهذا يكون موقف الإسلام عكس مبادىء الدول التي تخفي ما تعلن،

---

(١) الآية ٥٨ من سورة الأنفال.

ولا تحترم مواثيقها. فلو طبقت مبادىء الإسلام في العالم لساد السلام والتفاهم واحترام المواثيق والمعاهدات. فالإسلام يعاهد وهو قوي ويهاجم بإقدام ويحصل على أهدافه بعزة وكبرياء.

المبدأ الثالث: القدرة على حل النزاعات الداخلية بين المسلمين

لقد وضع الإسلام حدوداً معينة ضمن منهاج محدد وموضوع، حتى عندما يقاتل المسلم أخاه المسلم لأي سبب من الأسباب وعند هذا يجب على المسلمين عند حصول أي خلاف أو نزاع مسلح بين إخوة مسلمين أو طوائف مسلمة أن يحتكموا إلى قول الله عز وجل: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾.

﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون[1]﴾.

فما أعظمها من حلول منطقية لأي قتال داخل أرض الإسلام لأن الإسلام يحرم الظلم ويأمر بمقاومته وقتال أهله في أي مكان وزمان.

المبدأ الرابع: تحريم قتل المدنيين وعدم القيام بالتخريب والتلف:

فالحرب تبقى في ميدان المعركة وتأثيرها ضمن ساحة القتال وبتدمير المنشآت العسكرية ضمن حدود الدولة، لأن المعني بالحرب هو الجندي المسلح الذي يقاتل ويقاتل الخصم في أي مكان بحدود الدولة. فلا يجوز ولا بأي حال من الأحوال الاعتداء على المدنيين الآمنين العزل من العدة والتسليح وتخريب مدنهم الآمنة والاعتداء عليهم وقتلهم تحت أي ظرف من الظروف وهناك عدة مواقف ومشاهد خالدة طبقها القادة المسلمون ففي صحيح مسلم عن بريدة قال (كان رسول الله (ﷺ) إذا أمَّرَ الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل وبمن معه من المسلمين خيراً ثم قال له: اغزو باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً».

---

(١) الآيتان ٩، ١٠ من سورة الحجرات.

وقد وقف النبي (ﷺ) على امرأة مقتولة ثم قال: (ما كانت هذه لتقاتل! ثم قال لأحد أصحابه: الحق بخالد بن الوليد، فلا يقتلن ذرية ولا أجيراً ولا امرأة). وقد التزم بهذا بعد رسول الله (ﷺ) خلفاؤه وكانت مواقفهم خالدة ومشهورة فوداع جيش أسامة من قبل أبي بكر الصديق قبل مسيره إلى الشام كانت وصية خالدة صالحة لكل زمان ومكان فأوصى جنده قائلاً: (لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد حبسوا أنفسهم في الصوامع للعبادة، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له).

ومواقف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بوصاياه للجند (لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً، واتقوا الله في الفلاحين) ومن وصاياه الأخرى (لا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعان وعند شن الغارات). أما عقائد الأمم الباطلة في القتال فهم يقتلون المدنيين ويهلكون الحرث والنسل ويدمرون العالم بآلات الفتك والدمار ظلماً وعدواناً، فآثار الدمار في الحروب العالمية شاهد على عدم احترامهم للمبادىء والمحافظة على أرواح الأبرياء الآمنين.

المبدأ الخامس احترام العهود والمواثيق:

فالعهد في الإسلام هو عهد الله والوفاء به ملزم ولقد فرض الله عز وجل الوفاء به ولا يجوز نقض العهد والميثاق إلا بعد المدة التي حددت فيه واعتبرها الإسلام خيانة وكذب وعدم احترام إلى أمانة الكلمة وعهد الوفاء بالالتزام وقد أمر الله عز وجل بالوفاء بالعهد والميثاق وقال: ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون ﴾[1].

وفي آية أخرى نسب الله عز وجل العهد له وقد عظم المؤمنين به ﴿ إنما

---

(١) الآية ٩١ من سورة النحل.

يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾[1] وقد هدد الله عز وجل باللعنة وسوء العاقبة من لا يوفون بالعهود والمواثيق ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾[2].

وهناك مشاهد خالدة في عهد النبي عليه السلام حافظ فيها على العهد والميثاق قال حذيفة بن اليمان: (ما منعني من حضور معركة بدر. أخذني المشركون مع صاحب لي وقالوا لنا: إنكما تريدان محمداً فقلنا لهم ما نريد إلا المدينة، فتركونا بعد أن أخذوا علينا العهد إلا نقاتل مع النبي فجئت المدينة وهو منصرف إلى بدر، فأخبرته الخبر فقال لي: انصرف أوفي لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم.

وشروط الحديبية شاهد آخر ونذكر نص وثيقة الهدنة والتي التزم بها الطرفان بوقف القتال ويلزم بها جميع القوات المتحاربة في جميع مناطق القتال.

«باسمك اللهم. هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريش ممن مع محمد لم يردّوه إليه وإن بيتنا عيبة مكفوفة[3] وإنه لا أسلال[4] ولا أغلال[5]، وإنه من أراد أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه. وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت به ثلاثاً: معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها). ومع أن من هذه الشروط كان قاس والتي فيها (من جاء قريشاً من المسلمين قبلته، ومن جاء محمداً من أتباع قريش لم يقبله).

(١) الآيتان ١٩، ٢٠ من سورة الرعد.
(٢) آية ٢٥ من سورة الرعد.
(٣) المراد أننا نكف عنك وتكف عنا.
(٤) السرقة الخفية.
(٥) الخيانة.

ومع هذا نفذه النبي (ﷺ) وهناك دليل واضح على ذلك وذلك عندما تمكن أبو بصير أن يخرج من محبسه ووفد من مكة إلى المدينة مسلماً بغير رأي مولاة، فكتب أزهر بن عوف والأخنس بن شريف إلى النبي (ﷺ) كي يرده؛ وبعثا بكتابهما مع رجل من بني عامر ومعه مولى لهما لتنفيذ ما جاء بعهد الحديبية؛ فأمر النبي (ﷺ) أبا بصير ليعود معهما إلى مكة فانطلق مع الرجلين حتى إذا كان بذي الحليفة، سأل حارسه العامري أن يريه سيفه، وما إن استوت قبضته في يده حتى علا به العامري فقتله، فعاد المولى يعدو ناحية المدينة، حتى أتى النبي (ﷺ) فلما رآه قال: (قتل صاحبي) ثم توشح أبو بصير السيف مخاطباً الرسول (ﷺ) (يا رسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك. أسلمتني إلى القوم وقد امتنعت بديني إن افتن فيه أو يعبث بي).

فقال له النبي (ﷺ) يا أبا بصير إن أعطينا القوم ما تعلم وإننا لا يصلح لنا في ديننا الغدر، فانطلق معهما، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجاً).

وخاطب النبي (ﷺ) أصحابه عن أبي بصير «ويل أمة مسّعرحرب لو كان معه رجال». ومع ذلك حافظ الرسول على عهده الذي التزم به ومشاهد أخرى زمن خلفاء رسول الله (ﷺ) عن كيفية تطبيق أوامر الله عز وجل بالمحافظة على العهود والمواثيق. ففي عهد عمر بن الخطاب حاصر أبو عبيدة بن الجراح مع المسلمين حصناً من حصون الشام حتى استمر الحصار وأوشك أن يفتح الحصن ولكن عبداً مسلماً من الجنود كتب عهداً وأماناً لأهل الحصن دون علم أحد فقال المسلمون: إنه عبد وليس أمانه بشيء. والتزم أهل الحصن بالأمان وقالوا: لسنا نعرف الحر من العبد. فهنا كتب قائد الجيش أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يسأله قراره في هذا الشأن فكان جواب عمر (أن العبد من المسلمين، ذمته كذمتكم، وإن الله عظم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا فوفوا لهم وانصرفوا عنهم). وفي عهد بني أمية عندما فتح القائد قتيبة بن مسلم بلاد سمرقند أرسل أهلها شكوى إلى عمر بن عبد العزيز مضمونها بأن قتيبة بن مسلم استولى على بلدهم بمكر وخديعة فأرسل عمر

قاضيه (جميع ابن حافر) ليتأكد من الشكوى فحكم القاضي بانسحاب جيش القائد المسلم قتيبة، وقد نفذ القائد الأمر فوراً. وبهذا تمسكوا بالمسلمين وكرهوا قتالهم ونزالهم نتيجة هذا الاحترام للمواثيق والعهود.

٦ ـ المبدأ السادس: تنظيم الإسلام العلاقة بغير المسلمين على أسس ومبادىء محددة:

إن الإسلام دين لكل البشرية لأنه ينظر إلى الديانات الأخرى نظرة التزام وتعامل قائم على أصول ومبادىء. فالرسل والرسالات البشرية يحترمها الإسلام ولا يفرق بينها بأي شكل من الأشكال وهذا قول الله عز وجل ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[١] وهناك مشاهد وأدلة ثابتة عن كيفية تنظيم النبي عليه السلام علاقاته مع غير المسلمين. فمع اليهود نظم عهوداً ومواثيق نصت على ما يلي: (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم).

ونصوص أخرى (على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم). وأيضاً في مواثيق نصت على ما يلي (ينفق اليهود مع المؤمنين ماداموا محاربين). وقد نظم العلاقات أيضاً مع قريش وقد حددت هذه العلاقات بنصوص مختلفة منها (المؤمنون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس) وأيضاً (لا يحل المؤمن أن ينصر محدثاً أو يوؤيه) وأيضاً (لا يجبر مشرك ما لا لقريش ولا نفساً) (ويثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن النصر للمظلوم وإن الجار كالنفس غير ضار ولا آثم). وقد ارتفع الوفاء بالعهد لغير المسلمين بأسمى معانيه وذلك بأن حرم على الدولة الإسلامية أن تنقض العهود والمواثيق لتنصر مسلمين وقع عليهم الاعتداء عن أمة معاهدة قوله تعالى: ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر الاعلى

---

(١) آية ٢٨٥ من سورة البقرة.

قوم بينكم وبينهم ميثاق، والله بما تعملون بصير﴾[1] بهذا التنظيم في العلاقات ضمنت حرية الاعتقاد والعبادة لكل الأديان، في ظل دولة الإسلام والدليل على ذلك واضح هو أنه حيث فتح المسلمون أرضاً فيها دين وجدت بقايا أهل الدين موجودين لهم حقوقهم وواجباتهم فنجد أنه بقي النصارى في بلاد الشام حتى الآن بعد الفتوحات الإسلامية ونجد اليهود موجودين ومتوزعين في مناطق مختلفة، ولا يزال أعداد غير المسلمين في الهند حوالي ٦٠٠ مليون وعدد المسلمين لا يزيد عن مائة وخمسين مليون مع أن المسلمين حكموا الهند حوالي ٨٠٠ عام وقد عقد الإسلام معاهدات مع أهل الأرض المفتوحة وهنا نشير إلى نص معاهدة من معاهدات مع أهل الأرض كتبت بين نصارى الشام وبين عمر وهي كما يلي (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الامان أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبرها، وسائر ملتها أنها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من صلبانهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن إيلياء أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن عل نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على إيلياء من الجزية، ومن أحب من إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصليبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء رجع إلى أرضه وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله (ﷺ) وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية أشهد على ذلك من الصحابة رضي الله عنهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، ومن قرأ شهادة السكان غير المسلمين رأى مصداق ذلك). مقابل ذلك هناك شهادة من قبل البطريرك (عمشويابه) عام ٦٥٦ هـ «إن العرب الذين

(١) آية ٧٢ من سورة الأنفال.

مكنهم الزمن من السيطرة على العالم يعاملوننا بعدالة كما تعرفون». وحتى الجزية التي هي من جانب رمز لسيطرة دولة الإسلام تفرض وتؤخذ من رعايا الدولة غير المسلمين هي مقابل حمايتهم والدفاع عنهم لأن القتال بالإسلام قتال عقيدة وإيمان فلو طالبنا الرعايا من غير الإسلام وطلبنا منهم القتال لكان ذلك إجباراً لهم فالجزية لصالحهم مقابل الدفاع عنهم. ولو نقارن مقابل ذلك أعمال غير المسلمين في رعاياهم ولنستشهد بعدة أقوال تثبت ذلك حيث يذكر صاحب كتاب كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل وهو كتاب صاحبه نصراني.

١ ـ أمر قسطنطين الأعظم (بقطع آذان اليهود وإجلائهم إلى أقاليم مختلفة ثم أمر إمبراطور الروم في القرن الخامس أن يخرج اليهود من الإسكندرية التي كانت مأمنهم. وأمر بهدم كنائسهم، ومنع عبادتهم وعدم قبول شهادتهم وعدم نفاذ الوصية إن أوصى أحد منهم لأحد في ماله، ولما احتجوا على ذلك نهب جميع أموالهم وقتل كثيراً منهم)[١].

٢ ـ إن يهود بلدة أنطيوح لما أسروا بعدما صاروا مغلوبين، قطع أعضاء البعض وقتل البعض، وأجلى الباقين كلهم، وظلم الإمبراطور الروماني اليهود الموجودين في المملكة كلها، وأجلاهم وهيج الدول الأخرى على هذه المعاملة ونتيجة لهذا الظلم رحلوا من آسيا إلى أقصى حد في أوروبا، ثم بعد مدة كلفوا في إسبانيا أن يقبلوا شرطاً من شروط ثلاثة. أن يقبلوا المسيحية فإن أبوا قبولها يكونون مجوسيين، وإن أبوا كليهما يجلون من أوطانهم ومثل ذلك حدث في فرنسا)[٢].

٣ ـ ومن القوانين التي أصدرها الكاثوليكيون. ولا يجوز الأكل مع اليهودي ويجب نزع أولادهم منهم لتربيتهم تربية مسيحية)[٣].

٤ ـ وحدث لهم في النمسا وإسبانيا وبريطانيا من القتل والطرد والإكراه الكثير،

---

(١) صفحة ٢٧ كشف الآثار في قصص أنبياء إسرائيل.
(٢) صفحة ٢٨ كشف الآثار في قصص أنبياء إسرائيل.
(٣) صفحة ٢٩ كشف الآثار في قصص أنبياء إسرائيل.

وقد أجلى إدوارد الأول ملك بريطانيا أكثر من خمسة عشر ألفاً من اليهود (بعد أن نهب أموالهم)[1].

والقانون الذي أصدره لويس الحادي عشر سنة ١٧٢٤ قال فيه (إن الكاثوليكية وحدها مأذون بها وأما أصحاب الديانات الأخرى فجزاؤهم الأشغال المؤبدة، وكل واعظ يدعو إلى ملّة غير الكاثوليكية جزاؤه الموت). وما عمل محاكم التفتيش الذين حرقوا بالنار مائتين وثلاثين ألفاً ويزيد وفي إسبانيا لم يبق من الثلاثين مليوناً من المسلمين مسلم واحد كلهم غدر بهم فمن قتيل أو طريد. فالإسلام دين الله الخالد سما بكرامة وعزة منتسبية وأهله وأعطى الحرية والكرامة لرعاياه، وجعل مبادئه خالدة ويعترف بها الجميع.

المبدأ السابع تحريم الإسلام للمثلة والنهبة والغلول:

أما المثلة فهي التمثيل بالقتلى بعد قتالهم وقتلهم في المعارك، وبهذا يكفل الإسلام كرامة الميت حتى لو كان عدو فالحد الفاصل هو قتله والقضاء عليه فقط وهناك أمثلة على زمن الرسول (ﷺ) نذكر منها ما يلي: كان هبار بن الأسود قد ضرب بالرمح زينب بنت رسول الله (ﷺ) حين هاجرت من مكة إلى المدينة ونتيجة لذلك سقطت من ظهر الجمل وأجهضت ونزفت ثم ماتت فغضب النبي (ﷺ) وأهدر دمه وقال: (إذا لقيتم هباراً فأحرقوه بالنار، ثم قال بعد ذلك لا تحرقوه، إنما يعذب بالنار رب النار، إذ لقيتموه فاقتلوه ولكن هباراً أسلم بعد فتح مكة فقال له النبي (ﷺ) يا هبار عفوت عنك وقد أحسن الله بك حيث هداك إلى الإسلام، والإسلام يجبُّ ما كان قبله). فتطبيق القائد الرسول (ﷺ) لهذا القرار العظيم الذي تمسك به من تعاليم الله عز وجل، حتى ابنته أعز ما يملك قتلها رجل مشرك ولما أسلم انتهى كل شيء. فما أعظم الإسلام ديناً ورسالة خالدة فكيف لو حصلت الحادثة هذه الآن فماذا يتصرف أصحاب العقائد الباطلة إزاء هذا الحدث والجواب الأكيد سيقيمون الدنيا ويقعدونها لكن العقيدة القتالية في الإسلام تحدد كل مسلم كيف يتصرف ضمن الحدود الصحيحة. وشاهد آخر في معركة أحد عندما قتل حمزة بن عبد المطلب

---

(١) صفحة ٣٢ كشف الآثار في قصص أنبياء إسرائيل.

في معركة أحد ومثل به من قبل المشركين فلما رآه النبي (ﷺ) حزن حزناً شديداً وقال: (رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك إلا وصولاً للرحم فعولاً للخيرات، أما والله لأمثلن بسبعين كمثلتك، وقال المسلمون: لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم وأنزل الله على نبيه قوله عز وجل: ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر وما صبرك الله بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ فهنا قال النبي (ﷺ): (نصبر ولا نعاقب وكفر عن يمينه). أما النهبة فهي أخذ أي حاجة نهباً دون حق مهما كان نوع هذه الحاجة وموقف النبي (ﷺ) واضح من ذلك فقد قال: من انتهب نهبة فليس منا وهناك رواية عن أبي داود عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله في سفر فأصاب حاجة شديدة وجهد. وأصابوا غنماً فانتهبوها وإن قدورنا تغلي، إذا جاء رسول الله يمشي على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه، ثم جعل يدمل اللحم بالتراب، ثم قال: إن النهبة ليست بأقل من الميتة. أما الغلول فهو اغتصاب شيء من الغنائم مهما كان نوع وقيمة هذا الشيء، والإسلام حدد الغنائم بكل ما حصل عليه المسلمون نتيجة القتال والقرآن الكريم سمى الغنائم أنفالاً ليذكر فضل الله عليهم في بدر وفي خيبر سميت أنفالاً لأن اليهود استسلموا دون حرب. ويذكر أن أول غنيمة ظفر بها المسلمون في سرية عبدالله بن جحش فقد أخذوا بعير عمرو بن الحضرمي وفي عهد الخلفاء الراشدين غنم المسلمون بفتح بلاد الشام والعراق وأفريقيا الكثير من الغنائم. وفي بدر اختلف الناس بالنسبة للأنفال فمجموعة تقول إنها لمن قاتل في المعركة أو لم يقاتل، ورأي آخر لمن جمعها أثناء المعركة، وآخرين لمن قاتل والتحم بالعدو، وقائل إنها للمسلمين داخل المدينة. وكان قول الله عز وجل الفصل «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾[1]. وهنا وزعها الرسول بالتساوي بين المهاجرين والأنصار إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وإن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا

---

(١) الأنفال الآية ١.

على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ﴾[1] وهنا يكون التوزيع على الشكل التالي.

أ ـ خمس لله ورسوله يوزع هذا الخمس خمسة أقسام فقسم لله ورسوله، وقسم لذوي القربى من رسول الله من بني هاشم وبني عبد المطلب، وثلاثة أقسام للفقراء والمساكين وأبناء السبيل.

ب ـ أربعة أخماس للمقاتلين في نفس المعركة التي حصلوا فيها على الغنائم وتوزع بينهم بالتساوي ضعيفهم وقويهم، فقيرهم وغنيهم ولقد اشتكى على ذلك سعد بن أبي وقاص لرسول الله (ﷺ) وقال: «يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم سهمة وسهم غيرْ سواء؟ فقال الرسول (ثكلتك أمك ابن أمّ سعد! وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم).

وقد ضم النبي (ﷺ) الخمس الذي له إلى بيت المال بعد وفاته واعتبر أبو بكر خمس ذوي القربى ميراثاً وحرمه على المسلمين وكان هناك ثلاثة أنواع أخرى من الغنائم وهي النفل والسلب والرضخ أما النفل فهو يخصص زيادة لبعض المقاتلين فوق نصيبهم في القتال فقط أما السلب فهو كل ما يرتديه المقتول مع سلاحه وما يركبه قال رسول الله (ﷺ) (من قتل قتيلاً فله سلبه) وهناك دليل من قول سعد بن أبي وقاص لهلال بن علقمة سلب رستم قال له: «جرده إلا ما شئت، ولم يبقى هلال على رستم شيء إلا أخذه وبلغ ذلك سبعين ألفاً، ولولا أن قلنسوته سقطت في النهر لضاعف ذلك حظ هلال). أما الرضخ فهو حصة من لا حصة ولا سهم له في الغنائم، وقد قدموا معونة ومساعدة وهناك دليل على ذلك عندما أرسل المثنى بن حارثة بعد انتصاره في البويب إلى النساء والأطفال إلى مكان تجمعهم في القوادس).

وبهذا يكون الغلول محرماً ويذكر أنه توفي رجل مسلم في غزوة خيبر فذكروا ذلك لرسول الله فقال: صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال: (إن صاحبكم قد غل. ففتشوا متاعه فوجدوا خرزاً من غرز يهود لا يساوي درهمين).

---

(١) الأنفال الآية ٤١.

المبدأ الثامن معاملة الأسرى:

مشكلة الأسرى ظهرت على أثر سرية عبدالله بن جحش، حيث أسرت قريش اثنين من المسلمين هما سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان، مقابل أسر المسلمين اثنين أيضاً من قريش هما الحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله بن المغيرة، وجرى بينهما تبادل الأسرى. وبعد ذلك في غزوة بدر وكما نعرف بأن عدد الأسرى سبعون من قريش وقد قتل النبي (ﷺ) اثنين هما النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وقد كان باعهم طويل في أذى المسلمين، وجلب لهم الشر وقت تواجدهم في مكة فنذكر بأنه عندما قتل عقبة بن أبي معيط صاح بقوله: «فمن للصبية يا محمد» فقال الرسول (ﷺ) مخاطبة «النار» ومن ثم قتل من قبل علي بن أبي طالب، وفي رواية أخرى من قبل عاصم بن ثابت. وعندما وصل باقي الأسرى إلى المدينة وزعهم رسول الله (ﷺ) على أصحابه وقال لهم (استوصوا بالأسرى خيراً) وكان هناك عدة خيارات أمام النبي (ﷺ) إما أن يأمر بفداهم أو يقتلهم والنتيجة استشارته لأصحابه بأمرهم وقد بعثوا الأسرى إلى أبي بكر وقد قال بعضهم: «لو بعثنا إلى أبي بكر فإنه أوصل قريش لأرحامنا، وأكثرهم رحمة وعطفاً ولا نعلم أحداً آثر عند محمد منه» وقابلوه وقال له: «يا أبا بكر إن فينا الأباء والإخوان والعمومة وبني العم، وأبعدنا قريب، كلِّم صاحبك يمن علينا أو يفادنا» فوعدهم أبو بكر خيراً، وقد تكلموا بهذا الموضوع أيضاً إلى عمر بن الخطاب واجتمع أبو بكر وعمر عند رسول الله (ﷺ) فكان رأي أبي بكر الذي خاطب الرسول (ﷺ) (يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة وبنو العم والأخوان، وأبعدهم منك قريب، فامنن عليهم منّ الله عليك، أو فادهم يستنقذهم الله بك من النار، فتأخذ منهم ما أخذت قوة للمسلمين، فلعل الله أن يقبل قلوبهم) ولم يجيب النبي (ﷺ) وقال عمر: (يا رسول الله، هم أعداء الله، كذبوك وقاتلوك وأخرجوك اضرب رقابهم، هم رؤوس الكفر أئمة الضلالة، يوطىء الله بهم للإسلام، ويذل بهم أهل الشرك». وانقسم المسلمون باتجاهين إزاء هذه المشكلة فاستشاروا رسول الله (ﷺ) بالفداء وبعد ذلك نزل قوله تعالى محدداً القرار حولهم (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون

عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾[1] وهنا حدد الله عز وجل ليكون هناك فداء مقابل ثمن بخس حتى يكون الإسلام قوياً عزيزاً، وفي هذه الحالة فإنه لا يؤثر عليهم اتخاذهم للأسرى. ونعرف موقف قريش عندما فرض النبي الفداء قولها: «لا تعجلوا في فداء أسراكم». وكان أحد الأسرى واسمه سهيل بن عمرو خطيباً مفوهاً وقد طلب عمر بن الخطاب من الرسول (ﷺ) أن ينزع ثنيتيه حتى لا يقدر على الخطابة ويهاجم النبي (ﷺ) قائلاً عمر: (يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فيدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً) فعارضه رسول الله وقال له: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً» وفيما بعد أسلم عمرو في فتح مكة وقد افتدى العباس بن عبد المطلب نفسه بسبعين أوقية من الذهب، والذي لا يجد الفداء وهم الفقراء عفا عنهم النبي (ﷺ) وأطلق سراحهم دون فداء وأخذ منهم مجموعة ليعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء الأنصار القراءة والكتابة وعندما حارب الرسول (ﷺ) اليهود أصحاب الفتنة والمكر والخداع واستسلم منهم يهود بني قينقاع استشار الرسول (ﷺ) أصحابه في أمرهم وقد قرر قتلهم ولكن رجاء أصحابه عبدالله بن أبي بن سلول وعبادة بن الصامت أمر بعد ذلك رسول الله (ﷺ) أن يعفو عنهم بشرط خروجهم من المدينة جزاء مخالفتهم فتركوها إلى أذرعات على حدود بلاد الشام) ويهود بن النضير خرجوا أيضاً. أما يهود خيبر فقرر النبي (ﷺ) أن يقوموا بالخدمة في الحدائق والمزارع والنخيل. وهناك مشهد خالد بعد أن تم نصر الله ودخل المسلمون مكة، دعا الرسول (ﷺ) عثمان بن طلحة ففتح الكعبة ووقف على بابها واجتمع الناس يسمعون إلى رسول الله (ﷺ) فسألهم (يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا «خيراً أخ كريم وابن أخ كريم) قال: «فاذهبوا فأنتم الطلقاء» فشمل عفو النبي (ﷺ) الجميع ما عدا رجال أربعة قتلهم النبي (ﷺ) لشدة عداوتهم للإسلام وهما (عبدالله ابن فطل من تميم بن غالب وقينتان له كانتا تغنيان بهجاء الرسول (ﷺ) والحويرث بن نقيد بن وهب).

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٧.

وموقف الرسول (ﷺ) من ثمامة بن أثال الحنفي سيد اليمامة إلا دلالة أخرى على معاملته الكريمة لهؤلاء الناس. فقد أسره محمد بن مسلمة وكان ينوي اغتيال النبي (ﷺ) وجاء به إلى النبي (ﷺ) فقال لأصحابه النبي (ﷺ) (أحسنوا أساره وابعثوا إليه بطعامه، وأمر له بناقة يأتيها لبنها مساءً وصباحاً، ثم جاءه وقال له ياثمام هل أمكن الله منك هل عندك من خير؟ فقال ثمامة: يا محمد إن تقتلِ تقتل ذا كرم وأن تعف تعف عن شاكر، وإن كنت تريد المال، فنل منه ما شئت ورفض الإسلام. وفي اليوم الثالث قال له: قد عفوت عنك، وأطلق سراحه فقال: يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان على الأرض من دين أبغض من دينك، فقد أصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك، فقد أصبح بلدك أحب البلاد إلي، ثم شهد شهادة الحق.

وبهذا فقد حدد الإسلام للأسير معاملة إنسانية كريمة وحقوقاً مصونة، فلا يجوز قتله أو تعذيبه إلا لأسباب قاهرة وهامة جداً ويخير بين أمرين إما منّا وإما فداء قوله عز وجل: ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منّا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ﴾[1].

وقد طلب إحسان معاملته بقوله تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾ والخلاصة لمعاملة الأسرى في عهد الرسول (ﷺ) أن عوملوا بالأساليب الآتية: (العفو لفضل سابق أو لحكمة تقتضيها مصلحة المسلمين، الافتداء بالمال كل حسب قدرته، مغادرة الجزيرة نهائياً والجلاء عنها تخلصاً من القوى المضادة، القتل)[3].

---

(١) آية ٤ من سورة محمد.

(٢) الآيات ٨، ٩ من سورة الإنسان.

(٣) المدرسة العسكرية الإسلامية لمؤلفه محمد فرج.

المبدأ التاسع إبلاغ الإسلام بواسطة الرسل ومكاتبة الملوك (لتحقيق أهداف العقيدة القتالية) بعد رجوع المسلمين من صلح الحديبية في أواخر سنة ست للهجرة كاتب رسول الله ﷺ ملوك الأرض في ذلك الحين يدعوهم إلى الإسلام. فقد أرسل دحية الكلبي بكتاب إلى قيصر ملك الروم، وقد كان نص الكتاب ما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من أتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون﴾ ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال لقومه دعونا نسأل عنه من رجاله وكان أبو سفيان بن حرب بالشام في تجارة فجاء رسول قيصر لأبي سفيان داعيه لمقابلة قيصر فأجاب، ولما قدموا عليه في القدس قال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا لأنه لم يكن في الركب من بني عبد مناف غيره فقال قيصر أدن مني ثم أمر بأصحابه فجعلوا ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جعلتم خلفه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه إذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قال هو فينا ذو نسب قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله؟ قال لا: قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال لا: قال فهل كان من آبائه من ملك؟ قال لا، قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال بل ضعفاؤهم قال فهل يزيدون أم ينقصون؟ قال بلى يزيدون، قال هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ قال لا، قال هل يعذر إذا عاهد)؟ قال لا ونحن الآن منه في ذمّة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال فهل قاتلتموه؟ قال نعم. قال فكيف حربكم وحربه؟ قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا. قال يأمركم؟ قال: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهي عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. فقال الملك: إني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول

قبله فزعمت أن لا، فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا، فقلت ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه من ملك فقلت لا، فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك أأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون. وكذلك الإيمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وإن الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك بماذا يأمر فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهود وأداء الأمانة، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، فعلمت أنه نبي وقد علمت أنه مبعوث ولم أظن أنه فيكم، وإن كان ما كلمتني به حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ولو أعلم أني أخلص إليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان فعلت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال: لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر ولما سار قيصر إلى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فأغلقت ثم قال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فصاحوا صيحة حمر الوحوش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة، فلما رأى قيصر نفرتهم قال: ردوهم علي فقال لهم إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فسكتوا له ورضوا عنه، فغلبه حب ملكه على الإسلام فذهب بإثمه وإثم رعيته كما قال عليه الصلاة والسلام ولكنه عامل رسول الله معاملة حسنة.

كما أرسل عليه السلام شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر أمير دمشق من قبل هرقل قائلاً فيها (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق. وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك. فلما قرأ الكتاب رمى

به، وقال من ينزع ملكي مني؟ ثم هدد بإرسال جيشاً لقتال المسلمين ولكن كتب إليه قيصر يثنيه عن ذلك ومن ثم صرف إلى رسول رسول الله عليه السلام نفقة وكسوة وعامله معاملة حسنة.

وقد أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى فلما وصل إلى مؤتة (قرية من عمل البلقاء بالشام) تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وسأله هل أنت من رسل محمد؟ فقال نعم فأمر به فضربت عنقه وهذا أول وآخر رسول يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام وقد غضب رسول الله لهذا العمل المشين بحق رسوله.

كما أرسل عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس أمير مصر من قبل قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإنما عليك إثم القبط (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهد بأنا مسلمون) وسار حاطب حتى وصل إليه بالإسكندرية فلما قرأ الكتاب قال: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟ فقال حاطب ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه؟ قال أحسنت! أنت حكيم جاء من عند حكيم. ثم قال إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة: إخراج الغائب المستور، والأخبار بالنجوى، وسأنظر. ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبثياب، وأهديت إليك بغلة تركبها. والسلام) وإحدى

الجاريتين مارية التي (تسرى) بها عليه الصلاة والسلام وجاء منها بولده إبراهيم والأخرى أعطاها لحسان بن ثابت. ولم يسلم المقوقس.

وأرسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمري بكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة جاء فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام، أما بعد فإني أحمد الله إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده. . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل. وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى).

وقد عامل النجاشي رسول رسول الله عليه السلام معاملة حسنة وقال له أني أعلم أن عيسى بشربه ولكن أعواني بالحبشة قليل فانظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب. وقد طاف عمرو بالحبشة وطلب من مهاجريها بالرجوع إلى المدينة وكان من بينهم أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج عبدالله بن جحش الذي أسلم في البداية ثم تنصر فتزوج عليه السلام أم حبيبة.

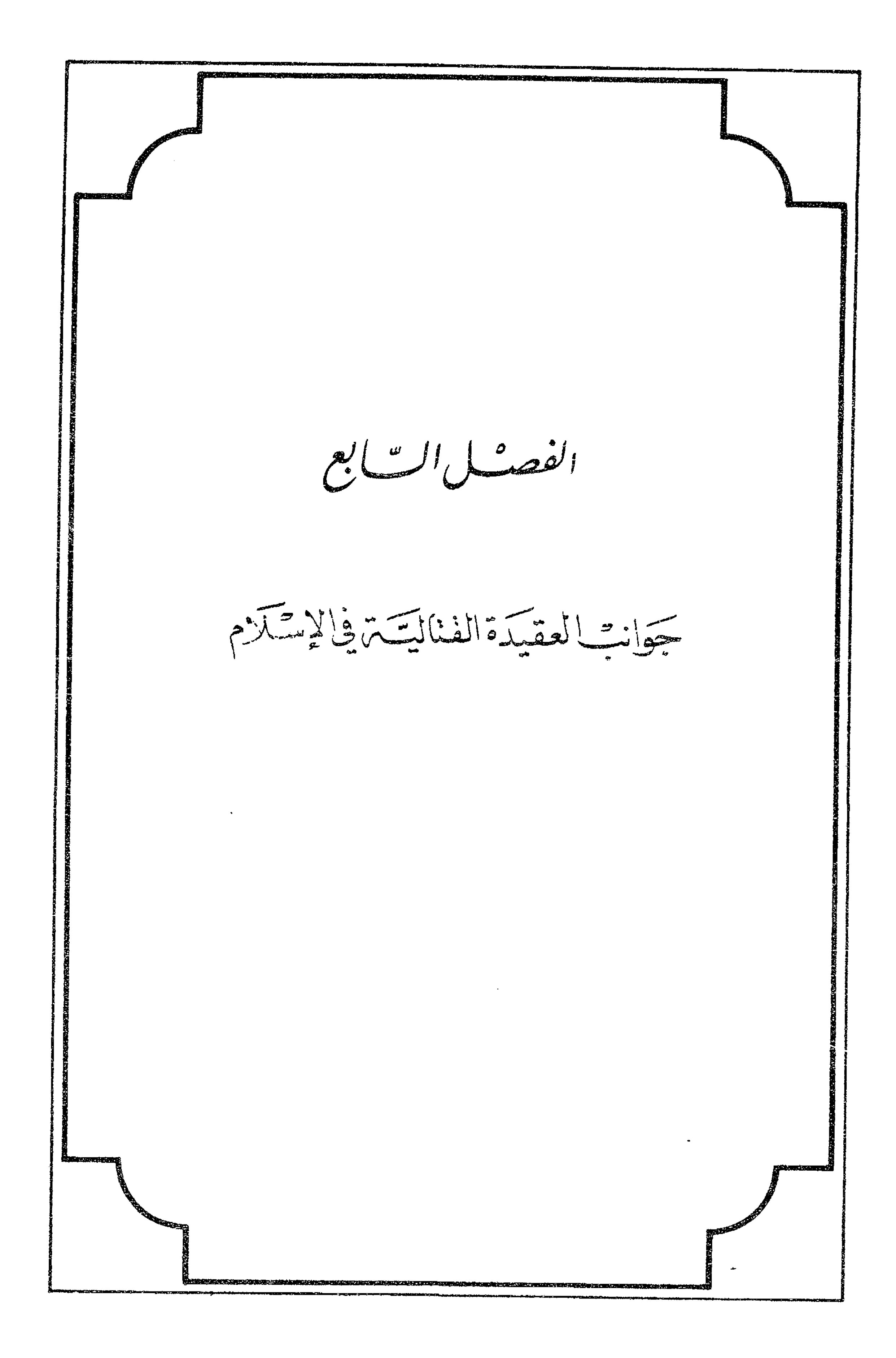
وأرسل عليه السلام عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس وقال في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من مكان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك أثم المجوس) فلما وصل الكتاب مزقة استكباراً وتكبراً ولما بلغ ذلك رسول الله قال: (مزق الله ملكه كل ممزق). وقد كانت النتائج لذلك في المستقبل وقد هدد النبي (ﷺ) وذلك بأن أرسل لعامله باليمن أن يرسل إلى الرسول من يأتي به إليه ولكن الله عز وجل فشل تخطيطه وتهديده وقتله ابنه (شيرويه) ثم أرسل إلى عامل اليمن برسالة ينهاه عن أمر والده وأن لا يلجأ إلى

العدوان كما أرسل عليه السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين يدعوه فيه إلى الدين الإسلامي ويتضمن ما يلي (بسم الله الرحمن الرحيم سلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمّة الله وذمّة الرسول من أحب ذلك من المجوس فإنه آمن ومن أبى فإن عليه الجزية فأسلم) ورده على هذا الكتاب ما يلي (أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرض مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمرك فرد عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النذر بن سادي. سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً وإني شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه. وعفوت عن أهل الذنـوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية).

ووجه عليه الصلاة والسلام سلبط بن عمرو العامري بكتاب إلى هوذة بن علي ملك اليمامة ويتضمن الكتاب ما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي: سلام على من اتبع الهدى. وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك) فلما جاء الكتاب كتب في ردّه (ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك). ولما سمع بذلك رسول الله قال: (لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما بـ يديه! ومن بعد ذلك مات أثناء فتح مكة.

ثم أرسل بكتاب إلى ملكي عمان مع عمرو بن العاص إلى جعفر وعبد ابن الجلندي يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر

وعبد ابن الجلندي. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام. أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما فإن ملككما زائل خيل تحلّ بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما فلما وصلهم عمرو بن العاص سأله عبد ابن الجلندي عما يأمر به الإسلام والرسول وينهى عنه فقال: يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال ما أخس هذا الذي يدعو إليه وكان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمدو نصدّق به ولكن أخي، أضنّ بملكه من أن يدعه ويصير تابعاً. قال عمرو إن أسلم أخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم، فقال عبد إن هذا الخلق حسن وما الصدقة؟ فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الأموال، ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه؟ قال نعم، فقال عبد: والله ما أرى قومي على بعد دراهم وكثرة عددهم يرضون بهذا. ثم إن عبداً أوصل لأخيه جيفر فتكلم معه عمر بهما ألان قلبه حتى أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات. كل هذه الرسل والكتب من قبل رسول الله ومكاتبة الملوك لتحقيق أهداف العقيدة القتالية في الإسلام وقد كان رسول الله عليه السلام يدعو بدعاية الإسلام والإسلام دون الإسلام والاعتراف به فالعبادة لله وحده لا شريك له. وكانت رسله تعامل بالحسنى وتناقش كتب رسول الله بكل دقة وإمعان وهم معترفون بأقواله ومصدقون لها لكن التعصب الأعمى لملكهم أنساهم الإسلام وقد كانت كلمات رسول الله عليه السلام قوية جداً فهي تصدر من دولة الإسلام ذات السيادة والمكانة المرموقة فهي كلمات مسؤول مطمئن إلى النتيجة الحتمية ألا وهي انتصار الإسلام إن عاجلاً وإن آجلاً.



الفصل السابع

جوانب العقيدة القتالية في الإسلام

جوانب العقيدة القتالية في الإسلام

نجد بأن للعقيدة القتالية في الإسلام وجهين يكمل بعضهما البعض، وجهاً معلناً ووجهاً آخر خفيّاً وسنوضح بالتفصيل كل جانب وكيف تتم ممارسته في المجال التطبيقي.

١ ـ الجانب التطبيقي المعلن:

ويشمل هذا الجانب كافة الآراء والتعاليم والدراسات العسكرية لخدمة هذا الجانب والتي على القوات المسلحة ممارستها باستمرار للتغلب والفوز على عدوها بتنمية قدراتها على الصمود ويشمل هذا الجانب في دولة الإسلام ما يلي:

أ ـ **التعليم والتدريب على فنون الحرب:** لقد أوجب الإسلام التعلم والتدريب لمواجهة العدو بالعدة والاستعداد قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾. وقد أمر الإسلام بالتدريب على السلاح والرماية فقد قال رسول الله (ﷺ) «الا أن القوة الرمي» وكررها ثلاثاً وقال أيضاً: (إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه المحتسب في عمله الخير، والرامي به والممسد به، فارموا واركبوا، وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا»، ولقد سمح باتخاذ المسجد ميداناً للتدريب إذ يروى أن بعض الأحباش كانوا يتدربون بحرابهم عند رسول الله عليه السلام في المسجد، فدخل عمر رضي الله عنه فأنكر عليهم لعبهم وتدريبهم في المسجد، فقال النبي له: «دعهم يا عمر». فالسلاح وسيلة لفتح البلاد والوصول إلى الهدف المرسوم

فقد قال رسول الله (بهذا وبرماح القنا تفتحون البلاد) وقوله: «جعل رزقي تحت ظل رمحي». فالجهاد وهو المفتاح الذي فتحنا فيه العالم بكل قوة وشموخ وإزاء ذلك فلا بد من التدريب على الوسائل والأسلحة والمعدات حتى يكسب الجندي النصر، فالتدريب يحقق نتيجة أفضل وبكفاءة عالية ويقلل خسائر الجيش في الأرواح والمعدات (إن العرق في التدريب يوفر الدم في المعركة). كما ينمي التدريب الثقة العالية والكفاءة الممتازة تحت كافة الظروف وفي مواجهة العدو الذي يستغل كافة الفرص للميل على المسلم ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾. وكان يحث أصحابه بالتدريب على الخيل لأن الفرس والروم كانوا يهتمون بذلك فقد قال: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة) وقال: «عاتبوا الخيل فإنها تعتب» أي دربوها واركبوها فإنها تتأدب وتقبل العتاب. وقد انعكس كل هذا على المعارك الإسلامية التي امتازت بحسن التخطيط والأعداد وممارسة فنون القتال.

ب - **إيجاد القيادة المسلمة الناجحة**: لا بد من وجود القائد في الإسلام لقوله عليه الصلاة والسلام «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» وأوجب له الإسلام الطاعة وذلك حتى يتم تحقيق الهدف، فلا يتحقق الهدف دون طاعة القائد ولهذا فرض الله عز وجل طاعة أولى الأمر بقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ فالجندي الذي يعصي قائده يجب أن يعاقب بأشد العقوبات وهو مخالف لتعاليم الإسلام وقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشي) وقال أيضاً: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني). والشروط في الإسلام واضحة لأختيار القائد فالشرط الأول هو التفاني في العقيدة والسبق إلى الإسلام ومن ثم تأتي الخبرة الحربية والكفاءة وحب مرؤوسيه له. فالقائد هو الذي يحافظ على أوامر الإسلام

ويطبقها وإلا فإنه سيكون قائداً غير موزون وغير صالح لمواقف الإسلام العظيمة وقد ضم الرسول عليه الصلاة والسلام الشرطين الرئيسيين للقائد وهما الكفاءة والحب بقوله: (أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين، وأيما رجل أم قوماً وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه)[١] وقال أيضاً: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم)[٢] وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم) وقيادة رسول الله عليه الصلاة والسلام ثابتة على المبدأ مصممة على الهدف وهذا يبدو بمحاولة إقناع عمه له بالرجوع عن قريش وترك الدعوة قائلاً له: «والله يا عم: لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته؟» وقد كان محبوب بين أصحابه فعندما أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي لمفاوضة الرسول ﷺ في الحديبية فعاد إلى قريش يقول: «يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يسقط من شعره شيء ألا أخذوه، وإنهم لن يسلموه لشيء أبداً». وبذلك أوجده الإسلام كامل الخلق والعقل وحسن السياسة ورجل موقف ومبدأ وكلمة.

ويمتاز بالشجاعة وحسن التخطيط ودقته، وشجاعة وإقدام بالتنفيذ وكان عليه الصلاة والسلام يتعامل مع المواقف بحكمة القادة والرجال الأفذاذ فكان النبي يحمل رسالة صالحة ومفيدة لكل زمان ومكان وفي الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ) قال: (اغزوا بسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا: لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً: وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال: فأيتهم ما أجابوك

---

(١) لم تجز: أي لم تتعدّ.

(٢) أي تدعون لهم ويدعون لكم.

فاقبل منهم وكف عنهم فادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين: وأخبرهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فاخبرهم أنهم يكونون كاعراب المسلمين: ويجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين: ولا يكونوا لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين: فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن وارادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه: فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه: ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك: فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله: وإذا حاصرت أهل الحصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله: فلا تنزلهم ولكن أنزلهم على حكمك: فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا)[1] ولنذكر موقف عمر بن الخطاب أحد خلفاء رسول الله العظيم كيف بني على قوة الإيمان والصبر بنته عقيدة الإسلام القتالية العظيمة التي بنتهم على مفاهيم صادقة والاعتبار ليس للقوة والكثرة في مواجهة خصمهم إنما هو أمر الله والله يحب الصابرين وينصرهم. هذا الموقف عندما تكاثر الفرس بعددهم وعدتهم على المؤمنين فأراد عمر أن يخرج معهم إلى ميدان القتال فاستشار أصحاب رسول الله فمنهم من وافق ومنهم من خالفه في الخروج ومنهم علي بن أبي طالب حيث قال له عمر: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خـذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيثما طلع، ونحن على موعد من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكان القيم من الأمر مكان النظام من الخرز، بجمعه وبضمه، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز، ثم لم يجتمع بحذافيره. والعرب وإن كانوا قليلاً هم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً، واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب فإنك إن شخصت من هذه الأرض

---

(١) متفق عليه، عن بريدة.

انقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات، أهم إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: «هذا أصل العرب، فإن قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك، فأما ما ذكرت من سير القوم إلى قتال المسلمين، فإن الله تعالى أكره لمسيرهم فيك وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عدوهم، فإنا لم نقاتل بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة».

هذه دروس خالدة ودساتير صالحة لكل زمان ومكان، لقد أنشأهم الإسلام قادة أكّفاء أصحاب رسالة عظيمة وعقيدة ثابتة فقد ربط الإسلام نجاح القائد بعقيدته سواء في السلم أو الحرب وفي هذا يقال (أن القائد الذي لا عقيدة له، لا يمكن أن ينتصر في الحرب، ولا يمكن أن ينجح في السلام، وليعرف الذين يظنون أن القائد ينبغي أن يكون منحلاً متفسخاً مقدار بعدهم عن الحقيقة، وميلهم مع الهوى، وانحرافهم عن الطريق السوي)[1]. وقد جاء في كتاب «الأحكام السلطانية» للقاضي المسلم أبي يعلي محمد بن الحسين الحنبلي في باب «تقليد الأمارة على الجهاد» ذكر فيه عن القائد المسلم قال: (أن يقصد بقتاله نصرة دين الله تعالى، وإبطال ما خالفه من الأديان، فيكون مطيعاً لله في أوامره، ولا يقصد في جهاده استفادة المغنم، فيصير من المتكسبين لا من المجاهدين. وأن يؤدي الأمانة فيما حازه من المغانم، ولا يغل أحد منهم شيئاً حتى تقسم بين جميع الغانمين ممن شهد الوقعة، وكانوا على العدو يداً واحدة، لأن لكل واحد منهم فيها حقاً)[2].

فالإسلام دستور الله الخالد هذب القيادة وجعلها قيادة مسلمة صالحة نافعة مفيدة، فالقائد هو عنوان قواته فيجب أن يكون مثال الخلق والاستقامة والفضيلة ويجب أن يكون قدوة في قوله وعمله لأنه إذا كان

---

(١) العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب ص ٣٥.

(٢) العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب ص ٤٠.

صاحب عقيدة ومبدأ يقود رجاله إلى النصر وإذا فقدها فسيقودهم حتماً إلى الهزيمة فصاحب الرذيلة لا يستطيع أن يقود الرجال ولا يقاتل كما يقاتل الشرفاء وبالتأكيد بأن الملوّث جبيباً وجنسياً لا يستطيع أن يقف في ميدان المعركة كما يقف الرجال الشرفاء الأبطال الذين يدافعون عن أمانة الكلمة وعظمتها وقد جعل الإسلام من مواقف عمر بن الخطاب وكلماته رجل دولة صاحب حكمة ومنطق قال الأحنف بن قيس «كنا جلوساً بباب عمر، فمرت جارية، فقالوا: سرية أمير المؤمنين! فقال: ما هي لأمير المؤمنين بسرية ولا تحل له، إنها من مال الله! فقلنا: فماذا يحل له من مال الله تعالى؟ فقال: إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حلّتان: حلة للشتاء، وحلة للصيف وما أصبح به واعتمر، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين).

ومع هذه الإباحات فهو متواضع في العيش واللباس، ومنفق على نفسه وآكل بالمعروف والخير حتى يقوى على الحق وكانت له الأمصار وفتح الله به الفتوح.

بهذه المفاهيم كانت القيادة المسلمة نقية طاهرة متمسكة بالفضائل الدينية حياة قادتها فوق الرذيلة والشبهات تحقيقاً لأهداف العقيدة القتالية في الإسلام ومبادئها الخالدة.

حـ - **متابعة كل ما يستجد من الأساليب القتالية والتنظيم والتسليح**: ونجد بأن قوات الإسلام مرنة ومتطورة في خططها وجاهزة لإعداد السلاح المناسب للمواقف المفاجئة والمحتملة، فقد اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام بملاحقة التطور في أسلحة القتال فقد أرسل عليه الصلاة والسلام بعثة من اثنين من المسلمين هما عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش ليتعلما صنع المنجنيق والدبابات وكلها أسلحة جديدة على دولة ومدرسة الإسلام العسكرية.

فقد اهتمت مدرسة الإسلام العسكرية بتحسين الأسلحة باستمرار حتى

اعترف بذلك أعداؤهم من الفرس والروم ومنهم أمبراطور البيزنطي «ليو» حاكم بيزنطة فيها بين عام ٨٨٦ إلى ٩١٢ م فقد نقل عنه (فوق كويمر) في كتابه «الشرق تحت حكم الخلفاء» قال: «إن الجندي العربي ما كان يفترق عن الجندي البيزنطي في المؤن والسلاح، فالأسلحة هي نفس الأسلحة. القوس والسهم والسيف والبلطة والخوذة وقاية للرأس، والدرع وقاية للبدن. والحديد يلبس في الأذرع والسيقان.

وقد وقد استخدم الرسول عليه الصلاة والسلام المنجنيق والدبابات في حصار الطائف وفي حصار خيبر للتهديد فقد روى ابن خلدون «إن الرسول هم بنصب المنجنيق على خيبر فلما أيقنوا بالهلكة سألوه الصلح». فالإسلام يتابع كل ما يستجد من الأساليب القتالية حتى يواجه خصمه ويتفوق عليه فهو دين الله الخالد الصالح لكل زمان ومكان ويعالج كل موقف مفاجىء أو محتمل ويستعد له بحذر ووضعت المدرسة العسكرية الإسلامية نظام تشكيلات القتال حيث كان الجيش مقسماً إلى خمسة أقسام (المقدمة ـ القلب ـ الميمنة ـ الميسرة ـ المؤخرة) والتسميات الحالية (القوات الساترة (قوات التغطية وحرس الأجنحة) وحرس المقدمة، والجسم الرئيسي) في التقدم للتماس (التقدم للاشتباك). وفي عمليات الهجوم سرايا الاقتحام[١]، سرايا لاحقة[٢]، سرايا احتياط على المستويات الدنيا وكلها أسماء مشابهة للتشكيلات الإسلامية.

وقد استخدموا في قتالهم ببدر أسلوب الصفوف [٣] بعد أن استخدموا الكرَّ والفر [٤] حتى يستنزف جهد العدو وقواته ويتوفر

---

(١) سرايا الاقتحام: هي السرايا التي تخصص لاحتلال، هداف في كل مرحلة من مراحل الهجوم.

(٢) السريا اللاحقة: هي السرايا التي تتبع سرايا الاقتحام للمحافظة على زخم الهجوم وتكون مستعدة لمعالجة أي موقف خلال عملية الاقتحام وعملية التطهير.

(٣) أسلوب الصف: ترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة أو أكثر على حسب عددهم فتكون الصفوف الأمامية من المسلمين بالرماح والصفوف المتعاقبة من المسلمين بالنبال.

(٤) أسلوب الكر والفر: يهجم المحاربون بكل قوتهم على العدو فإن أحسوا بالضعف نكصوا ثم أعادوا تنظيمهم وكروا، وهكذا يكـرون ويفرون حتى النصر والاندحار.

الاحتياط لمعالجة المواقف الطارئة قال تعالى: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ ويوضح علي بن أبي طالب أسلوب قتال الأعداء وتنظيم الجيش الإسلامي في وصية لجيش بعثه للعدو ما يلي: (فإذ نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الإشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كي يكون لكم رداً ودونكم مرداً ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رقيباً في حياصي الجبال ومناكب الهضاب، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن، واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم، وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً وإذا غشيكم الليل فاجمعوا الرماح كفه، ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضةً). هذه الوصية درس من دروس التعبية يدرس لأعلى الكليات العسكرية لما فيه من توجيهات حكيمة فقد بدء بتوضيح القوات وحشدها الأمثل مقابل العدو مع الأخذ بعين الاعتبار المواقع المناسبة لذلك في السفوح الخلفية لمراقبة العدو بحذر. وبين أيضاً أسلوب القتال من أمكنة مختلفة كمواقع احتياطية من عدة اتجاهات لمفاجئته. وأسلوب الدفاع لجميع الجهات مع وضع المراقبة بحذر لذلك.

واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم (حرس المقدمة ومقدمة الحرس والحرس الرئيسي) حالياً. ومن ثم بين أسلوب المبيت الليلي مع الاحتراس من العدو ووضع إجراءات مبيت حازمة مع أخذ الحيطة والحذر. في قوله: ﴿ وإذا غشيكم الليل فاجمعوا الرماح كفه ﴾.

كل ما ذكر يدل على حسن التنظيم بأحدث الأساليب والنظريات الحالية (إن الجيش الإسلامي لم يبلغ إلى ما وصل إليه من أمجاد بقوة السلاح فحسب بل لأنه كان جيشاً منظماً وفق أحدث الأسس والأساليب التعبوية، ولم يحقق الجيش الإسلامي انتصارات عشوائية بل كانت وفق تقديرات دقيقة محكمة وصفها القادة المسلمون وقام بتنفيذها الجنود الشجعان المسلمون بسلاح الإيمان والإرادة القتالية)[1] بهذا تمكنت

(١) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد، الرائد جمال يوسف الخلفات.

المدرسة العسكرية الإسلامية من متابعة كل ما يستجد من الأساليب القتالية والتنظيم والتسليح بحيث أصبحت تعاليمها صالحة لكل زمان ومكان مع تحسين القوة وأسلوب الاستخدام حسب تطور العصر بما يكفل التفوق على الخصم والوصول إلى الهدف بأقل التكاليف. فالتأسس كان قوياً ومنظماً من جيوش الإسلام بمعرفة ودراية كاملة ودقيقة والانصار كان بسبب التمسك بعقيدتهم القتالية (ومما لا شك فيه أن المسلمين أسسوا مجدهم الحربي عن جدارة حربية ومعرفة فنية وأصولية في النواحي التعبوية والاستراتيجية وليس بمجرد الحظ والصدفة ولكن بالصبر والتصميم على الشدائد. وقد اشتهر المسلمون بانتصاراتهم المجيدة بسبب العقيدة الإسلامية المتأصلة في نفوسهم ونتيجة لذلك قضوا على أعظم امبراطوريتين في ذلك الزمان. والحقيقة أن جميع الأساليب الحربية الحديثة قد نقلت عن المسلمين وكانت وما زالت هذه الأساليب نبراساً يضيء الطريق أمام القادة في مختلف العصور)[1].

د ـ **تهيئة القوات المسلحة للقتال وذلك بواسطة إصدار الكتب والنشرات وإعداد الكليات والمعاهد العسكرية**: وواضح كل الوضوح بأن الإسلام وتراثه من الناحية العسكرية يملأ مكتبات العالم كلها ومنها أوروبا وفهرست ابن النديم شاهد على ذلك الذي عدد فيه عدة كتب إسلامية في الفروسية وحمل السلاح) وهذا التراث مقدم إلى جميع الأمم ويظهر (ابن النديم ـ الفهرست (٣١٤ ـ ٣١٥) وهذا يدل على مهارتهم في فنون الحروب واهتمامهم بالكتب والنشرات حول ذلك. وكما يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ في كتابه المدخل إلى العقيدة العسكرية قوله (لا يمكن حل مشلكة واحدة من مشاكل البناء العسكري دون السيطرة على الطرق العلمية للعمل في القوات المسلحة وقيادتها، وإن جوهر القيادة العلمية للقوات المسلحة في هذا العصر ـ بكل خصائصه المعروفة ـ يحتم على

---

(١) العسكرية الإسلامية وقادتها النظام الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد، الرائد جمال يوسف الخلفات.

القيادات العسكرية أن تكون على مستوى عال من المعرفة، ليس في المجال العسكري الخالص فحسب بل في مجالات كثيرة للعلوم الطبيعية (مثل الرياضيات والفيزياء والإحصاء) والعلوم الاجتماعية مثل (علم النفس وعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ)[1] ونشأ علماء في هذا المجال في العلوم الطبيعية والاجتماعية مثل ابن الهيثم في الطبيعيات، وجابر بن حيان في الكيمياء، وابن سيناء في الطب وابن رشد في الفلسفة العقلية، وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ والخوارزمي في الرياضيات.

فمدرسة الإسلام العسكرية تملأ مكتبات العالم بالكتب والنشرات ومواضيعها ثمينة وهامة صالحة لكل زمان ومكان وتعالج بفن متكامل فن الحرب ومبادئه، والجهاد في سبيل الله فكل ما في عقول المسلمين من مبادىء ونظريات أودعت الكتب والنشرات لتكون دليل مكتوب ووثيقة هامة للتاريخ.

٢ ـ الجانب الاستراتيجي الخفي:

وهذا يتعلق بفكر القادة أصحاب القرار والذين يحددون الأهداف للأمة أمام أعدائها سواء في الحاضر أم المستقبل. وهذا الجانب يبقى من الأمور السرية والمكتومة ويصعب الوصول إليه وقد لا يعلن من قبل الدولة، ولا يعطى عادة إلا إلى الدول الحليفة والصديقة أحياناً إذا كانت ضمن أحلاف كحلف شمال الأطلسي وحلف شمال وارسو فلها نظرة واحدة وسياسة منشأة لتحقيق النصر. ولكن تبقى هناك أمور لسيادة الدولة لا يطلع عليها أحد. إن بعض الدول التي لا تمتلك عقيدة قتالية خاصة تعتبر العقائد الأجنبية مصدراً أساسياً لعقيدتها العسكرية بالرغم من أن هناك أموراً سرية لا يطلع عليها أحد تخص الدول في سيادتها. وهذا المصدر يتعلق (بمجال الاستراتيجية والعقيدة والتنظيم والتسليح وأساليب الاستخدام). وتسعى الدول للحصول على المعلومات التي تتعلق بالمسائل الكبرى مثل المعلومات عن نوايا الدولة وإمكانياتها المختلفة ومواطن الضعف والقوة لديها وتسمى المخابرات الاستراتيجية. أما بالنسبة إلى

(١) مأخوذ هذا القول عن مارشال زاخاروف في كتابه (حول الطريقة العلمية لقيادة القوات».

الأمور السرية الخاصة فتبقى الدولة محافظة عليها (لأن الواقع هو أن معظم الدول الأجنبية تحرص ـ بطبيعة الحال ـ على أن تكون لها أسرارها الخاصة بها في كافة المجالات العسكرية النظرية والتطبيقية، فلا تقدم للدارسين من غير أبنائها إلا ما يكون العلم به أو العمل به لا يضر بمصالحها الاستراتيجية أو ما يكون قد تقادم به العهد، أو أصبح متخلفاً عن مقتضيات العصر)[1] (من المبادىء المعروفة أن الأمة التي تكتم أسرارها الحربية هي الأمة التي يمكن أن تنتصر، والأمة التي لا تكتم أسرارها الحربية هي الأمة التي لا يمكن أن تنتصر، وما يقال عن الأمة يقال عن الأفراد لأن الأمة تتكون من أفراد)[2] وتعتبر كتمان الأسرار خط الدفاع الأول عن الأمة من أعدائها المتربصين ويجب المحافظة عليها مهما كلف ذلك من ثمن وجهد حتى تفوز على عدوها بأعلى كفاءة وأقل التكاليف وأقل وقت وجهد ممكن. ونجد بأن لكل دولة الحق في أسرارها الخاصة وهذا الجانب يتعلق بمستقبل الدولة وحفظها من الأعداء ويزيد من منعتها وقوتها يقول فرانزفون رانتلن الجاسوس الألماني الشهير أثناء الحرب العالمية الأولى: «إن لكل دولة الحق في أسرارها الخاصة وهي في نفس الوقت ملتزمة بالمحافظة عليها، ولكن هذا المعنى نفسه يعطي كل دولة الحق في أن تكتشف أسرار الدول الأخرى».

وقد أوجب الإسلام أن يكون هناك أمور سرية في حياة الدولة والحذر من نشر هذه الأمور لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ وقال: ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾ ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾. وقد أكد رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن الكلمة أمانة ويجب المحافظة على هذه الأمانة وكتمان أسرار دون ثرثرة أو التكلم بفضول الكلام قال عليه الصلاة والسلام (إنما يتجالس المتحابان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره) وقال أيضاً: (إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة) وقال أيضاً؛ (امسك عليك لسانك) «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله» وللمحافظة على أسرار الدولة وكشف

---

(١) (٢) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

أسرار العدو بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام دورية للحصول على المعلومات عن قريش، وكانت الدورية من علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص ومجموعة من أصحابه. وعند بدر وجدت غلامين لقريش يستقيان فأتت الدورية بهما إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فتولى استجوابهم فسألهم عن عددهم وقد أجابا بأنهم لا يعرفان وسالهما «كم ينحرون من الجزر (الإبل) كل يوم: فقالا: يوماً تسعة ويوما عشرة فاستنبط الرسول (ﷺ) من ذلك بأنهم بين التسعمائة والألف (لأن العرب على عادتهم يخصصون بعيراً لكل مائة) كذلك عرف الرسول من الفلاحين إن أشراف قريش جميعاً خرجوا للقتال. وقد أمر أصحابه بقطع الأجراس عن أعناق الإبل حتى لا يعلم بهم أحد. وفي غزوة الخندق مثال آخر عندما حشد فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود لمهاجمة المدينة وعلم النبي بنوايا أعدائه من خلال رجاله في مكة، حفر المسلمون خندقاً حول المدينة مما أدى إلى مفاجأة أعدائهم حتى قالوا: «والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها» وهذا مما عبر عنه خبير المخابرات والجاسوسية العالمي لأديسلاس (عندما قرر المكيون (قريش) أن يتخلصوا من محمد (عليه الصلاة والسلام) نهائياً عبأوا ضده قوة تتكون من عشرة آلاف مقاتل، ولم ينزعج النبي لأنه كان قد ترك في مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه، أما خصومه فلم يكن لهم عملاء عنده، ولذلك فعندما وصل المكيون إلى المدينة أذهلهم أن يجدوا خندقاً وجداراً يحيطان بالمدينة تماماً إحاطة السوار بالمعصم حميا محمداً عليه الصلاة والسلام وأتباعه من العدوان)[1].

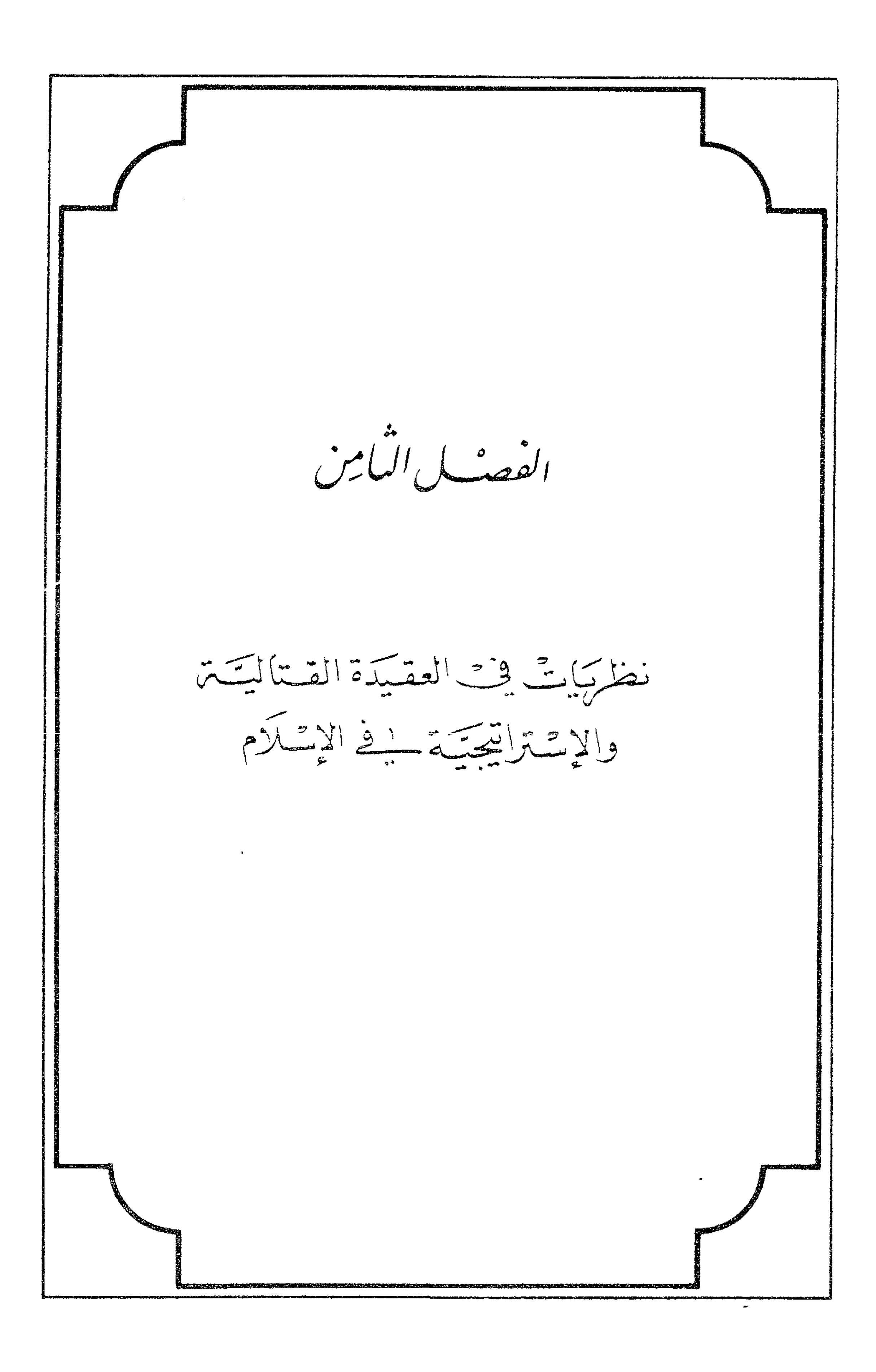
والعقيدة القتالية في الإسلام كما عرفناها بأنها (الجهاد لله). فصاحب القرار هو الله عز وجل الذي بيده الخفايا والنوايا والذي كان يعرف بأن حدود هذه الدولة العظيمة بالفتح الإسلامي ستصل من سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً ومن الصين شرقاً إلى قلب فرنسا والمحيط الأطلسي غرباً بجهد متواضع في أقلّ من مائة عام، لكنه عالم الأسرار والنوايا يعرف متى تكتم الأسرار ومتى تباح وكيفية التعامل مع المواقف والأشياء والأحداث سبحانك ربنا

(١) الجاسوسية بين الوقاية والعلاج - أحمد هاني.

عز جلالك وعظمت إرادتك أردت الإسلام فكانت إرادتك عظيمة.

والمنفذ لأوامر الله عز وجلّ وقراره هو رسوله محمد (ﷺ) الذي يطلع على الخفايا والأسرار حسب الحاجة وما يبنى به استراتيجية دولة الإسلام العظيمة وما يكفل لها الأمن والبقاء، فالمنفذ عظيم وصاحب القرار والخطة أعظم.





الفصل الثامن

نظريات في العقيدة القتالية والإستراتيجية في الإسلام

نظريات في العقيدة القتالية والإستراتيجية في الإسلام

١ ـ استراتيجية الردع (Strategie demenace Potentielle)

أ ـ مفاهيم استراتيجية الردع:

يهدف الردع إلى منع العدو من اتخاذ قرار بمهاجمة قواتنا واتخاذ كافة الإجراءات المطلوبة بفن متكامل وبكافة الوسائل التي تمتلكها الأمة من ضغوط نفسية ومعنوية، وتجميع قوى كافية لقهر الخصم ومنعه من التفكير والتخطيط وذلك بالتهديد بالقوة الكامنة الموجودة. وقد عرفت بعدة مفاهيم نذكر منها ما يلي: (تهدف استراتيجية الردع إلى الحيلولة بين الخصم وبين اتخاذ إجراء أو موقف معين يؤثر على خططنا أو الرد على إجراء أو موقف معين نتخذه ونتوصل لذلك بوضع ذلك الخصم تحت طائلة ضغوط نفسية كبيرة لا عن طريق استعمال فعلي للقوة ضده ولكن عن طريق تهديده بالقوة الكامنة)[١] ومفهوم آخر للردع (يهدف الردع إلى منع دولة معادية في اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها، أو منعها من العمل أو الرد إزاء عمل معين، وذلك باتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات التي تشكل تهديداً كافياً يحقق الردع)[٢].

يمكن أن يقال إن استراتيجية الردع (عدم استخدام السلاح بفضل الاستخدام الحاذق لوجود الأسلحة»[٣] ومفهوم آخر (تمارس استراتيجية الردع

(١) استراتيجية الفتوحات الإسلامية الرائد وليد جرادات.

(٢) العسكرية الإسلامية الرائد بهاء الدين محمد أسعد، جمال خلفات.

(٣) الردع والاستراتيجية الجنرال أندريه بوفر ص ٢١٩.

قبل استراتيجية الحرب)[1] ويضيف قائلاً[2]:(إن روح الاستراتيجية العسكرية هي الوصول إلى نتيجة مؤداها قبول الخصم للشروط المفروضة عليه، والنتيجة الحاسمة في حوار الإرادات هي حدث نفسي نريد وقوعه عند العدو ليدفعه إلى الاقتناع بأن الاشتباك أو متابعة الصراع أمر غير مجد، وهي بذلك تخالف ما ذهب إليه كلاوز فيتز في تحقيق الحل الحاسم «عن طريق الأنتصار في المعركة»، ولو أنه يمكن الوصول إلى هذه النتيجة بالنصر العسكري إلا أن هذا النصر بهذا الأسلوب ليس ضرورياً دائماً، وهو في بعض الحالات صعب أو غير ممكن. من أجل ذلك كانت العبرة بروح النتيجة التي نبحث عنها بصرف النظر عن تعيين الوسيلة اللازمة للوصول إلى هذه النتيجة إننا نريد التأثير على الخصم حتى نمنعه من استخدام قوته الضارية، فلكي يتحقق ذلك ينبغي أولاً أن يكون لدينا طاقة تدمير من القوة بحيث يخشاها خصمنا ثم نجبره على الاعتقاد بأننا قادرون على الانتقام منه كرد عليه أو في ضربة أولى).

وكما يقول الفيلد مارشال مونتجمري في شرحه لمفهوم الردع «هي القدرة التي تكفي لردع أي خصم يفكر في دعم مركزه عن طريق توجيه ضربة قاضية مفاجئة، وهي القوة التي يمكن أن يكون وجودها سبباً لتجنب كارثة الحرب. إنني أعتقد أن كلتا الدولتين لن تخاطر بعواقب استخدام هذه الأسلحة النووية لأن الدمار الذي سيترتب على (الضربة الانتقامية) لأي منهما سيكون مروِّعاً كما أن كلا الجانبين لن يكون على يقين تام من النصر ولقد كانت تجربة أزمة الصواريخ في كوبا خير دليل على ذلك، ولن تسعى أية دولة من الدول إلى تخطي حدود الحرب الباردة إذا كانت لا تريد الانتحار» والإسلام سبق جميع القادة إلى هذه المفاهيم وتطرق الإسلام إلى هذه الاستراتيجية فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ وفي الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام (نصرت بالرعب مسيرة شهر)فهدف الإسلام إرهاب الأعداء وإخافتهم ومنعهم من التعدي على بلاد الأمة الإسلامية.

---

(١) (٢) مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية الجنرال أندريه بوفر ص ١٣٠.

ب ـ خصائص ومميزات استراتيجية الردع في الإسلام:

١ ـ استراتيجية تهديد بالقوة المتوفرة: لا عن طريق استعمال فعلي للقوة ولكن عن طريق التهديد والتلويح بها، فهي ليست استراتيجية حرب لقوله تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: (نصرت بالرعب مسيرة شهر). وهو يختلف بذلك عن مفهوم الحرب والذي هو فرض إرادة دولة على دولة باستخدام القوة المسلحة أو أي قوة كامنة أخرى فالردع أسلوب وقائي.

٢ ـ استراتيجية ردع محسوبة: فهي ضمن ضوابط دقيقة ومناهج محددة، فهي تلويح بالقوة وليس باستخدامها الفعلي في ميادين القتال، حتى لو ملكت الدولة الإسلامية القوة الكافية لذلك فالقصد إخافة العدو ومنعه من استخدام القوة.

والحرب في الإسلام أصلاً حرب دفاعية لا يبدأ المسلمون فيها الاعتداء قال تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ فالتفوق الساحق لا يجعل الإسلام يستخدم القوة لأن الردع مقرون بأهداف الحرب في الإسلام ومرتبط بها وبعقيدة القتال عند المسلم. (إن كون ميزان القوى في صالح الأمة الإسلامية وامتلاكها القوة الكافية للتفوق الكمي والنوعي على العدو لا يبرر استخدام تلك القوة طالما امتنع العدو عن العدوان)[١].

٣ ـ استراتيجية ردع دفاعي وسلمي: فهي استراتيجية ردع وقائية وهي بذلك منسجمة مع العقيدة القتالية في الإسلام قال تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾[٢] وقول رسوله: (لقد أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى). أما كونها سلمية فلأنها تهيىء الفرص لحل المنازعات بالطرق السلمية، لأن الدين الإسلامي يمنع الاعتداء

---

(١) العسكرة الإسلامية وقادتها النظام الرائد بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال الخلفات.

(٢) البقرة ١٩٠.

ويفتح المجال لحل المشاكل بالوسائل السلمية وهذا من منطلق مبادىء الإسلام في الحرب قوله تعالى: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾[1] ﴿ يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾[2].

٤ ـ لا تؤدي استراتيجية الردع إلى سباق التسلح: فنجد أن سباق التسلح والتهديد النووي مقاصده غير سلمية بل كلها شر وعدوان وويلات ودمار على الأمم والشعوب والسبب يعود لزيادة منطق القوة للتغلب على الضعيف أينما وجد لأن البقاء في نظرهم للأفضل والأقوى.

والتسابق في التسلح يفرغ إمكانيات البلد ويُثقل كاهلها بالأعباء المادية والاقتصادية، فيفترض أن يكون التسابق لتحسين أوضاع البشر الذين يعانون من الحرمان من كل شيء من لقمة العيش ومن نعمة الأمن والحرية بدل من أسلحة الدمار الشامل والتهديد بها.

٥ ـ تملك القدرة الهجومية الكافية المتطورة حسب العصر: فالردع في الإسلام يجب أن يناسب قوة العدو في أي زمان ومكان على مرور الأيام والعصور. فالقوة ويجب أن تكون متطورة من زمن إلى آخر وأن تناسب قوة العدو وتتفوق عليه.

لأن الردع الدفاعي غير المتطور غير كافٍ لمنع العدو من استخدام القوة فيجب أن تكون القوة كافية وتناسب إمكانيات العدو. وهذا مفهوم قوله تعالى: ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾.

٦ ـ تعالج استراتيجية الردع الإسلامي الجانب الخفي لأعداء الإسلام: فهناك قوى مضادة تعمل في الخفاء (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) تخطط هذه القوى لإحباط الأمة وتدميرها، فهذه القوى أما قوى مضادة منافقة

---

(١) التوبة الآية ١٣.

(٢) الأنفال ٦١.

وأما حاقدة تنشر الإشاعات وتثير الفتن سواء في الداخل أو الخارج. فيجب ردعهم حتى يقفوا في حقدهم إلى حد عدم الاعتداء على ديار الإسلام وتدمير الأمة من الداخل والخارج وهذا ما قاله معاوية بن أبي سفيان عن دولة الروم التي كانت تشكل خطراً على الدولة الإسلامية. (شدوا خناق الروم فبها تضبطون بقية الأمم).

٧ ـ **تثبيت الكيان العسكري**: فالأمة الإسلامية موضوعة ومجندة جميعها بجيشها وشعبها وكل إمكانياتها المحددة موضوعة بفن متكامل لردع العدو وللجهاد في سبيل الله ولإعلاء كلمته لتثبيت الكيان العسكري والقومي للأمة. وتحقيق الأمن والعزة والسيادة لهذه الأمة العظيمة وليطمئن كل فرد على نفسه وماله وعرضه وأرضه فبذلك تتحقق الهيبة والسيادة للدولة ويهابها العدو الظاهر والعدو الخفي ويحسبون لها ألف حساب قبل التفكير بالاعتداء على ديار الإسلام وبذلك يقول الرائد وليد محمد جرادات في كتابه استراتيجية الفتوحات الإسلامية (لذلك احتفظ المسلمون بحاميات ضخمة ـ أطلقوا عليها اسم الصوائف والشواتي ـ على الحدود الرومية في مفارق الطرق والنقاط الهامة التي سموها بالثغور وكانت تلك الحاميات تقوم بغارات صيفية وشتوية ضد مراكز القوى الرومية لا بهدف الاستيلاء بل لردع الروم وإقناعهم بضخامة تكاليف أي عمل عسكري ضد المسلمين وتشتيت أية حشود أو جهود ولكن قلة إمكانات ووسائل الردع في تلك الأيام وتقارب مستوى التسليح والحركة الاستراتيجية لم تمكن استراتيجية الردع الإسلامي من التحول من ردع دفاعي إلى ردع هجومي في الأحوال كافة رغم أنها كانت استراتيجية ردع متحرك ووصلت العلاقات الاستراتيجية بين المسلمين والروم لدرجة من التوازن لم تدع لأي منها فرصة الإمساك بزمام المبادأة الاستراتيجية نتيجة عدم إحرازه ودرجة من التفوق تضمن له فرض إرادته على الطرف الآخر والحصول على حرية العمل وحرمان الطرف الآخر منها).

ويضيف قائلاً (فالمسلمون مكلّفون شرعاً بأن يعدوا أكبر طاقة قوة مادية ومعنوية ممكنة لإخافة الأعداء وردعهم عن التعرض للإسلام وأهله ومنعهم من

الوقوف في وجه حرية الدعوة بل وإجبارهم على فتح الباب أمام تلك الدعوة بإقناعهم بأن أي موقف مضاد منها سيجر عليهم الوبال والخسران. لذلك فإن الأمة الإسلامية بكافة طاقاتها المادية والمعنوية في حالة حشد دائم وعلى أهبة الاستعداد في كل لحظة لا لردع أعدائها الفعليين والظاهرين فحسب بل وردع أعدائها المحتملين والمستترين).

فلو امتلكت الأمة الإسلامية اليوم الردع الثاني للعدو وامتثلنا أوامر الله عز وجل لما كانت حال الأمة كما هي عليه اليوم. فعلينا أن ندرس بإمعان نظرية الردع في ديننا الإسلامي العظيم ونتدبر الأمر حولها ﴿ قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

٢ ـ **الاستراتيجية غير المباشرة**: تهدف إلى تحقيق الهدف السياسي والمناورة حوله بمختلف الوسائل والطرق والأساليب المختلفة دون اللجوء إلى القوة العسكرية «وبطرق غير النصر العسكري الحاسم». ولقد حدد اللواء محمد جمال الدين محفوظ صور فرعية للاستراتيجية غير المباشرة كما يلي:

أ ـ اللجوء إلى الأساليب السياسية أو الدبلوماسية أو الاقتصادية لتحقيق الهدف السياسي.

ب ـ اللجوء إلى أسلوب الصراع الطويل الممتد بكثافة عسكرية منخفضة ومن أمثلة ذلك حروب التحرير في الجزائر وفيتنام وحروب الاستنزاف أو الإنهاك.

حـ ـ اللجوء إلى سلسلة من الأعمال المتتالية التي تجمع بين التهديد المباشر والضغط غير المباشر مع استخدام محدود للقوة أي الجمع عموماً بين العمل العسكري المحدود والعمل الدبلوماسي والسياسي.

ولْنَأْتِ إلى هذه النقاط بالتفصيل وكيف طبقها الإسلام بصورها المختلفة فبالنسبة إلى **الأسلوب الأول**: لقد لجأ النبي (ﷺ) إلى استخدام مختلف الأساليب السياسية والدبلوماسية لتحقيق الهدف السياسي دون اللجوء إلى القوة. فدين الإسلام دين سلام ولا يجوز فيه الاعتداء﴿وقاتلوا في سبيل الله

الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين﴾﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾. فدعوة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة دون إكراه أو جبر، أو استخدام السيف بالقوة والتهديد، والضغط وأساليب الإجبار قوله تعالى: ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ فبعد رجوع المسلمين من صلح الحديبية في أواخر سنة ٦ هـ كاتب رسول الله (ﷺ) ملوك الأرض في ذلك الحين يدعوهم إلى الإسلام فقد أرسل دحية الكلبي بكتاب إلى قيصر ملك الروم. وقد كان نص الكتاب ما يلي (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ كما أرسل عليه الصلاة والسلام عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس وقال في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس).

كل هذه الأساليب منتهى العمل بالدبلوماسية في سبيل الوصول إلى الهدف الأسمى وتحقيقه وهو الإسلام وعبادة الله الواحد الأحد عبادة منزهة عن الأهواء والشهوات ومطلوبة من جميع بني البشر. هكذا عرف محمد (ﷺ) الدبلوماسية والعمل السياسي قبل أن يعرفها العالم وقد نجح فيها وحقق نتائج ممتازة.

وقد أرسل رسائل مماثلة إلى ملوك وأمراء غسان واليمن ومصر والحبشة يدعوهم فيها إلى الدين الإسلامي. أما الضغوط الاقتصادية فكانت بالتعرض لطرق تجارة قريش وقوافلها. أما الأسلوب الثاني اللجوء إلى أسلوب الصراع

التاريخ	عدد العمليات
السنة الثانية للهجرة	٨
السنة الثالثة للهجرة	٤
السنة الرابعة للهجرة	٣
السنة الخامسة للهجرة	٤
السنة السادسة للهجرة	٣
السنة السابعة للهجرة	٢
السنة الثامنة للهجرة	٤
المجموع	٢٨

الطويل الممتد بكثافة عسكرية منخفضة فقد كانت غزوات المسلمين والممتدة من السنة الثانية للهجرة إلى السنة الثامنة للهجرة وعددها ثماني وعشرين قادها النبي بنفسه يتخللها أسلوب قتال بقوة بسيطة فقد أرسل من خلال هذه الغزوات دوريات القتال والاستطلاع الأولى ففي البداية أرسل سرية حمزة بقوة ٣٠ رجلاً من المهاجرين وبقيادة حمزة بن عبد المطلب في رمضان من السنة الأولى للهجرة، وفي نفس السنة في شوال أرسل سرية عبيدة بن الحارث بقوة ٦٠ رجلاً من المهاجرين وبقيادة عبيدة بن الحارث، وفي نفس العام أرسل سرية سعد بن أبي وقاص بقوة ٢٠ رجلاً من المهاجرين في ذي القعدة، واستمرت دوريات القتال والاستطلاع الأولى إلى رجب من السنة الثانية للهجرة بسرية عبدالله بن جحش بقوة ١٢ رجلاً من المهاجرين وتظهر هذه الدوريات في الملحق «أ» المرفق وإذا نظرنا إلى الغزوات البسيطة بكثافة عسكرية منخفضة بين بدر واحد فنجد بأن غزوة حصار بني قينقاع الذي قام بها مسلمين المدينة في أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة، وغزوة بني سليم بقوة ٢٠٠ راكب وراجل في أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة واستمرت هذه الغزوات حتى غزوة بحران بقوة ٣٠٠ راكب وراجل في ربيع الأول في السنة الثانية للهجرة وتظهر في الملحق ب المرفق.

أما غزوات التطهير فسرية أبي سلمة بقوة المسلمين ١٥٠ بين راكب

وراجل في ذي الحجة من السنة الثالثة للهجرة واستمرت فترات بسيطة بين هذه الغزوات وكانت نهايتها غزوة بني المصطلق بقوة ألف راكب وراجل في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وكان عددها سبع غزوات **تظهر في الملحق حـ** وغزوات عقاب الغادرين ابتداءً من غزوة بني قريظة بقوة المسلمين ٢٠٠٠ بينهم ٣٦ فارساً بقيادة رسول الله (ﷺ) في نهاية شوال حتى أواسط ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة وإنهاءاً بسرية عمرو بن أمية الضمري بقوة المسلمين رجلان فقط. **تظهر في الملحق د.**

أما سرايا السيطرة على الإعراب فابتداءاً من سرية عمر بن الخطاب بقوة ٣٠ رجلاً في شعبان من السنة السابعة للهجرة وانتهاءاً بغزوة تبوك في رجب من السنة التاسعة للهجرة **تظهر في الملحق هـ.**

كل هذه الأساليب بالصراع الطويل الممتد بكثافة عسكرية منخفضة مبني على استراتيجية ثابتة في سبيل الوصول إلى الهدف لنصر الإسلام والدعوة إلى الله.

مجمل بيان دوريات القتال والاستطلاع الأولى (١) ـ ملحق أ.

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين
١	سرية حمزة	٣٠ رجلاً من المهاجرين	حمزة بن عبد المطلب	٣٠٠ راكب
٢	سرية عبيدة بن الحارث	٦٠ رجلاً من المهاجرين	عبيدة بن الحارث	أكثر من ٢٠٠ رجل بين راكب وراجل
٣	سرية سعد بن أبي وقاص	٢٠ رجلاً من المهاجرين	سعد بن أبي وقاص	—
٤	غزوة ودان	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى الله عليه وسلم	—
٥	غزوة بواط	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى الله عليه وسلم	١٠٠ راكب وراجل من قريش
٦	غزوة ذي العشيرة	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى الله عليه وسلم	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة
٧	غزوة بدر الأولى	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى الله عليه وسلم	—
٨	سرية عبدالله بن جحش	١٢ رجلاً من المهاجرين	عبدالله بن جحش	٤ رجال

(١) جميع الملاحق نقلاً عن كتاب الرسول القائد للواء الركن محمود شيت خطاب.

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
أبو جهل بن هشام	العيص	رمضان من السنة الأولى للهجرة	حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني
أبو سفيان بن حرب	ماء بالحجاز بوادي رابغ	شوال من السنة الأولى للهجرة	كان بينهم مناوشة ورمي سعد بن أبي وقاص أول سهم رمى به في الإسلام.
	الخرار	ذو القعدة من السنة الأولى للهجرة	فرت قافلة المشركين
	ودان	صفر من السنة الثانية للهجرة	حالف بني ضمرة
أمية بن خلف الجمص	بواط	ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة	لم يدرك المسلمون القافلة لسلوكها طريقاً غير طريق القوافل المعبدة فلم يلق المسلمون كيداً.
أبو سفيان	العشيرة	جمادي الآخرة من السنة الثانية للهجرة	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة.
كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان	جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة	لم يدرك المسلمون كرز بن جابر
عمرو بن الحضرمي	نخلة	رجب من السنة الثانية للهجرة	١ ـ أول قتيل من المشركين ٢ ـ أول أسير من المشركين ٣ ـ أول غنيمة للمسلمين ٤ ـ أول استعمال للرسائل المكتومة

الغزوات والسرايا بين بدر واحد ـ ملحق ب

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين أو اليهود
١	حصار بني قينقاع	مسلمو المدينة	الرسول صلى الله عليه وسلم	بنو قينقاع من اليهود في داخل المدينة
٢	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى الله عليه وسلم	بنو سليم وغطفان
٣	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة	الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٠٠ فارس
٤	غزوة ذي أمر	٤٥٠ راكباً وراجلاً	الرسول صلى الله عليه وسلم	بنو ثعلبة ومحارب
٥	غزوة بحران	٣٠٠ راكب وراجل	الرسول صلى الله عليه وسلم	بنو سليم
٦	سرية زيد بن حارثة الكلبي	١٠٠ راكب	زيد بن حارثة الكلبي	قافلة قريش

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
—	المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة	تطهير المدينة من اليهود
—	قرقرة الكدر على طريق مكة ـ المديمنة	أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	عاد المسلمون بالغنائم دون قتال لفرار المشركين وبقوا ثلاث ليال في دور المشركين
أبو سفيان	مطاردة قريش من المدينة حتى قرقر الكدر على طريق المدينة ـ مكة	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	١ ـ ظهور تجسس اليهود على المسلمين بالمدينة وإيوائهم أعداءهم. ٢ ـ فرار قريش وعودة المسلمين من المطاردة دون قتال
—	ذو أمر (موضع في نجد)	محرم في السنة الثانية للهجرة	فرار المشركون وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر كامل وعادوا بدون قتال
—	بحران على الطريق بين مكة والمدينة	ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة	عاد المسلمون بدون قتال بعد أن بقوا بديار أعدائهم حوالي شهر
صفوان بن أمية	القردة (ماء في نجد)	—	غنم المسلمون القافلة

تسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين
١	سرية أبي سلمة	١٥٠ بين راكب وراجل	أبو سلمة بن عبد الأسد	بنو أسد
٢	سرية عبدالله بن أنيس	دورية استطلاع بقوة شخص واحد	عبدالله بن أنيس	بنو لحيان من هذيل
٣	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	محمد	اليهود من بني النضير
٤	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب وراجل	محمد	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان
٥	غزوة بدر الآخرة	حوالي ألف راكب وراجل	محمد	٢٠٠ من قريش
٦	غزوة دومة الجندل	ألف راكب وراجل	محمد	قبائل دومة الجندل
٧	غزوة بني المصطلق	ألف راكب وراجل	محمد	بنو المصطلق

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
طليحة وسلمة ابنا خويلد	ديار بني أسد	ذو الحجة من السنة الثالثة للهجرة	فرار بني أسد
خالد بن سفيان الهذلي	نخلة	ـــــ	قتل خالد بن سفيان الهذلي فتشتت بنو لحيان
ـــــ	ضواحي المدينة	ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة	إجلاء بني النضير عن المدينة
ـــــ	ذات الرقاع بنجد	جمادي الآخرة من السنة الرابعة للهجرة	فرار بني محارب وبني ثعلبة
أبو سفيان	بدر	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	عادت قريش أدراجها إلى مكة خوفاً من لقاء المسلمين
ـــــ	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة	فر المشركون
ـــــ	المريسيع	شعبان من السنة الخامسة للهجرة	فر بعض المشركين وأسر أكثرهم

غزوات عقاب الغادرين ـ ملحق د

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين
١	غزوة بني قريظة	٣٠٠٠ بينهم ٣٦ فارساً	رسول الله صلى الله عليه وسلم	من ٦٠٠ ـ ٧٠٠ من بني قريظة
٢	سرية عبدالله بن عتيك	خمسة مسلمين	عبدالله بن عتيك	يهود خيبر الذين التجأ إليهم أبو رافع بن أبي الحقيق
٣	غزوة بني لحيان	حوالي ٣٠٠٠	رسول الله صلى الله عليه وسلم	بنو لحيان من هذيل
٤	غزوة ذي قرد	—	رسول الله صلى الله عليه وسلم	جماعة من غطفان
٥	سرية عكاشة	٤٠ رجلاً	عكاشة بن محصن الأسدي	بنو أسد
٦	سرية محمد بن مسلمة	١٠ رجال	محمد بن مسلمة	بنو ثعلبة وبنو عول
٧	سرية أبي عبيدة بن الجراح	٤٠ رجلاً	أبو عبيدة بن الجراح	بنو محارب وأغار
٨	سرية زيد بن حارثة	—	زيد بن حارثة	بنو سليم

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
كعب بن أسد	حصون بني قريظة في ضواحي المدينة	نهاية شوال حتى أواسط ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة	القضاء على بني قريظة
—	خيبر	ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة	قتل ابن أبي الحقيق
—	غران	جمادي الأول من السنة السادسة للهجرة	تخويف قريش والقبائل الأخرى والتأثير على معنوياتهم
عيينة بن حصن	ماء بذي قرد	جمادي الأول من السنة السادسة للهجرة	فر المشركون وتركوا خلفهم الإبل التي غنموها من المسلمين
—	الغمر	ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة	هرب بنو أسد فاستاق المسلمون مائتي بعير
—	ذو القصة	ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة	هربوا بعد قدوم أبي عبيدةبن الجراح على رأس أربعين من المسلمين فاستاق المسلمون النعم والشاه
—	ذو القصة	ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة	هرب الإعراب فاستاق أبو عبيدة النعم والشاه
—	الجموم	ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة	هربوا فأصاب نعماً وشاء وأسرى

(تابع) غزوات عقاب الغادرين

التسلسل	اسم الغزوة	قوة المسلمين	قائد المسلمين	قوة المشركين
٩	سرية زيد بن حارثة		زيد بن حارثة	عير قريش
١٠	سرية زيد بن حارثة	١٥ رجلاً	زيد بن حارثة	بنو ثعلبة
١١	سرية عبد الرحمن بن عوف	ــــ	عبد الرحمن بن عوف	بنو كلب
١٢	سرية علي بن أبي طالب	١٠٠ رجل	علي بن أبي طالب	بنو سعد بن بكر
١٣	سرية زيد بن حارثة	٥٠٠ رجل	زيد بن حارثة	بنو بدر
١٤	سرية عبدالله بن رواحة	٣٠ رجلاً	عبدالله بن رواحة	أسير بن زارم
١٥	سرية كرز بن جابر الفهري	٢٠ فارساً	كرز بن جابر الفهري	العرنيين
١٦	سرية عمرو بن أمية الضمري	رجلان فقط	عمرو بن أمية الضمري	أبو سفيان بن حرب

قائد المشركين	المكان	التاريخ	النتائج
—	العيص	جمادي الأولى من السنة السادسة للهجرة	أخذوا العير وأسروا حماتها
—	الطرف	جمادي الآخرة من السنة السادسة للهجرة	غنموا نعماً وألف بعير فأعادها الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم
—	دومة الجندل	شعبان من السنة السادسة للهجرة	أعلنوا إسلامهم
—	فدك	—	لم يلق كيداً وغنم غنائم وهرب بنو سعد
أم قرنة	وادي القرى	—	انتصر عليهم
أسير بن زارم	وادي القرى	—	قتل أسيراً وأصحابه
—	—	—	أعاد اللقاح وأسرهم فقتلوا
—	مكة المكرمة	—	قتل عمرو رجلين من المشركين ولم ينجح في قتل أبي سفيان.

سرايا السيطرة على الأعراب ـ ملحق هـ

التسلسل	اسم السرية	قوتها	تاريخها	المكان	الغرض منها	النتائج
١	سرية عمر بن الخطاب	٣٠ رجلاً	شعبان سنة سبع للهجرة	تُربة	تأديب بعض هوازن	عادت السرية بدون قتال لفرار المشركين
٢	سرية أبي بكر الصديق		شعبان سنة سبع للهجرة	ضرية في نجد	تأديب بني كلاب	قتلت السرية بعضهم وسبت الآخرين
٣	سرية بشير بن سعد الأنصاري	٣٠ رجلاً	شعبان سنة سبع للهجرة	فدك	تأديب بني مرة	قتل بنو مرة المسلمين وعاد قائدهم إلى المدينة جريحاً
٤	سرية غالب بن عبدالله الليثي	١٣٠ رجلاً	رمضان سنة سبع للهجرة	الميفعة بنجد	تأديب بني عوال وبني عبد بن تعلبة،	قتلوا بعضهم استاقوا النعم والشاء إلى المدينة
٥	سرية بشير بن سعد الأنصاري	٣٠ رجلاً	شوال سنة سبع للهجرة	يمن وجبار	تأديب غطفان	هربوا واستاق النعم وأسر رجلين فأسلما
٦	سرية بن أبي العوجاء السلمي	٥٠ رجلاً	ذوالحجة سنة سبع للهجرة	ديار بني سليم	تأديب بني سليم	قضى بنو سليم على سرية المسلمين

(تابع) سرايا السيطرة على الأعراب

التسلسل	اسم السرية	قوتها	تاريخها	المكان	الغرض منها	النتائج
٧	سرية غالب بن عبدالله الليثى	بضعة عشر رجلاً	صفر سنة ثمان للهجرة	كديد	تأديب بني الملوح	استاق المسلمون النعم وعادوا إلى المدينة
٨	سرية غالب بن عبد الله الليثي	٢٠٠ رجل	صفر سنة ثمان للهجرة	فدك	تأديب بني مرة	قتل المسلمون بعض بني مرة وأصابوا نعماً
٩	شجاع بن وهب الأسدي	٢٤ رجلاً	ربيع الأول سنة ثمان للهجرة	السِّيّ	تأديب بني عامر من هوازن	استاق المسلمون النعم والشاء وعادوا إلى المدينة
١٠	سرية كعب بن عمير الغفاري	١٥ رجلاً	ربيع الأول سنة ثمان للهجرة	ذات أطلاح	دعوة أهل تلك المنطقة للإسلام	استشهد رجال السرية عدا واحداً عاد وأخبر باستشهادهم
١١	غزوة مؤته	٣٠٠٠ رجل	جمادي الأولى سنة ثمان للهجرة	مؤته	تأديب القبائل التي غدرت برسول المسلمين إلى قيصر	أفاد المسلمون كثيراً في معرفة خواص قوات الروم وأساليب قتالها
١٢	غزوة ذات السلاسل	٥٠٠ رجل	جمادي الآخرة سنة ثمان للهجرة	ذات السلاسل	أخذ ثأر المسلمين من القبائل التي عاونت الروم في مؤته وضرب تجمع قضاعة	شتت القبائل وأعاد هيبة المسلمين إلى نفوسهم
١٣	سرية الخَبَط	٣٠٠ رجل	رجب سنة ثمان للهجرة	قبلية	تأديب جهينة	لم يلق كيداً
١٤	سرية أبي قتادة إلى خضرة	١٥ رجلاً	شعبان سنة ثمان للهجرة	حاضر	تأديب غطفان	قتل بعضهم وغنم نعماً وشاء
١٥	سرية أبي قتادة إلى بطن أضم	٨ رجال	رمضان سنة ثمان للهجرة	بطن أضم	لتغطية نوايا المسلمين في مهاجمتهم أهل مكة	نجحت السرية في مهمتها دون أن تلقى كيداً

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه ـ ملحق و

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١	غزوة ودان (الأبواء)	٢٠٠ راكب وراجل		ودان	صفر من السنة الثانية للهجرة	لم يلاق قريشاً فحالف بني ضمرة
٢	غزوة بواط ناحية رضوى	٢٠٠ راكب وراجل	١٠٠ راكب وراجل	بواط ناحية جبل رضوي	ربيع الأولى من السنة الثانية للهجرة	لم يدرك قافلة قريش
٣	غزوة الشعيرة من بطن ينبع	٢٠٠ راكب وراجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	العشيرة	جمادي الأولى من السنة الثانية للهجرة	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة
٤	غزوة بدر الأولى	٢٠٠ راكب وراجل	قوة حفيفة بقيادة كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان بالقرب من بدر	جمادي الآخرة من السنة الثانية للهجرة	فر المشركون بما غنموه من المسلمين ولم يستطع المسلمون إدراكهم
٥	غزوة بدر الكبرى	٣١٥ معهم فرسان فقط وسبعون بعيراً	٩٥٠ منهم ٢٠٠ راكب وهم من قريش	بدر	رمضان من السنة الثانية للهجرة	انتصار المسلمين على قريش
٦	غزوة بني فينقاع	مسلمو المدينة	بنو فينقاع من اليهود	المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة	تطهير داخل المدينة من اليهود
٧	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب وراجل	بنو سليم وغطفان	قرقرة الكدر بين المدينة ومكة	أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	فرار بني سليم وغطفان وقد تركوا أموالهم للمسلمين
٨	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	٢٠٠ فارس من قريش	قرقرة الكدر	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	فرار قريش من مطاردة المسلمين

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
٩	غزوة ذي أمر	٤٥٠ بين راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب	ذو أمر موضع في نجد	محرم من السنة الثالثة للهجرة	فر بنو ثعلبة ومحارب وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
١٠	غزوة بحران	٣٠٠ راكب وراجل	بنو سليم	بحران على طريق المدينة ـ مكة	ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة	فر بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
١١	غزوة أحد	٧٠٠ بينهم خمسون فارساً	٢٩٠٠ من قريش وأحابيشها ومائة من بني ثقيف بين القوة مائتا فارس	جبل أحد في ضواحي المدينة	شوال من السنة الثالثة للهجرة	استطاع المشركون إيقاع سبعين شهيداً بالمسلمين ولكنهم لم يستطيعوا الانتصار على الرغم من تفوق قوات المشركين وتطويقها لقوات المسلمين.
١٢	غزوة حمراء الأسد	٦٣٠ بين راكب وراجل	٢٩٧٨ من قريش وأحابيشها ومن ثقيف	حمراء الأسد بين المدينة ومكة	شوال من السنة الثالثة للهجرة	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها إلى حمراء الأسد بعد انتهاء معركة أحد مباشرة ولكن المشركين فضلوا عدم قبول المعركة وانسحبوا إلى مكة.
١٣	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	اليهود من بني النضير	ضواحي المدينة	ربيع أول من السنة الرابعة للهجرة	إجلاء بني النضير عن ضواحي المدينة
١٤	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب وراجل	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان	ذات الرقاع نجد	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	فرار بني ثعلبة وبني محارب

تسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
١٥	بدر الآخرة	حوالي ١٠٠٠ راكب وراجل	٢٠٠٠ من قريش	بدر	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	عادت قريش أدراجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين في بدر حسب موعدها
١٦	غزوة دومة الجندل	١٠٠٠ راكب وراجل	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة	فرت القبائل
١٧	غزوة بني المصطلق	١٠٠٠ راجل وراكب	بنو المصطلق	المريسيع	شعبان من السنة الخامسة للهجرة	فر بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين
١٨	غزوة الخندق	٣٠٠٠	عشرة آلاف من قريش وبني سليم وفزارة وأشجع وغطفان عدا اليهود من بني قريظة	المدينة	شوال من السنة الخامسة للهجرة	عودة الأحزاب من حصار المدينة خائبين
١٩	غزوة بني قريظة	٣٠٠ بينهم ٣٦ فارساً	٦٠٠ إلى ٧٠٠ من قريظة	ضواحي المدينة	ذو القعدة من السنة الخامسة للهجرة	القضاء على بني قريظة
٢٠	غزوة بني لحيان	حوالي ٣٠٠٠	بنو لحيان	غران	جمادي الأول من السنة السادسة للهجرة	فربنو لحيان
٢١	غزوة ذي قرد		غطفان.	ذو قرد	جمادي الأول من السنة السادسة للهجرة	فر بنو غطفان وتركوا الغنائم التي أخذوها من المسلمين

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	مجمل النتائج
٢٢	غزوة الحديبية	١٦٠٠ راكب وراجل	قريش	الحديبية	ذو القعدة من السنة السادسة للهجرة	عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش
٢٣	غزوة خيبر	١٦٠٠ راكب وراجل	يهود خيبر	خيبر	محرم من السنة السابعة للهجرة	سقوط خيبر واستسلام يهود فدك ووادي القرى وتيماء، فتم بذلك القضاء عسكرياً على يهود الجزيرة العربية.
٢٤	غزوة عمرة القضاء	١٤٠٠ راكب وراجل	قريش	مكة	ذو الحجة من السنة السابعة للهجرة	بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خرج عنها المشركون وهذه معركة معنويات لا معركة ميدان
٢٥	غزوة فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة	رمضان من السنة الثامنة للهجرة	فتح مكة
٢٦	غزوة حنين	١٢٠٠٠ راكب وراجل	هوازن وثقيف	وادي أوطاس قرب الطائف	شوال من السنة الثامنة للهجرة	اندحار هوازن وثقيف
٢٧	غزوة حصار الطائف	١٢٠٠٠ راكب وراجل	ثقيف وبعض هوازن	الطائف	شوال من السنة الثامنة للهجرة	لم تستسلم الطائف فعاد المسلمون أدراجهم إلى المدينة
٢٨	غزوة تبوك	ثلاثون ألفاً بينهم عشرة آلاف راكب	جيش كبير من الروم وحلفائهم	تبوك	رجب من السنة التاسعة للهجرة	فضل الروم عدم الاشتباك بالمسلمين فأقام المسلمون في تبوك حوالي عشرين يوماً وصالحوا القبائل وسكان منطقة الحدود بين الحجاز والشام فأمنوا بذلك قاعدة أمينة لحركاتهم المقبلة.

أما الأسلوب الثالث فهو اللجوء إلى سلسلة من الأعمال المثالية التي تجمع بين التهديد المباشر والضغط غير المباشر مع استخدام محدود للقوة أي الجمع عموماً بين العمل العسكري المحدود والعمل الدبلوماسي والسياسي.

فنجد بأنه في السنة السادسة للهجرة عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش والذي مرت شروطها وهذه نوع من العمل الدبلوماسي والسياسي في تحقيق هدف المسلمين مستغلاً لإعلاء كلمة الله وتعظيم البيت الحرام واستمر بعد هذا العمل غزوة عمرة القضاء في ذي الحجة من السنة السابعة للهجرة حيث بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خرج عنها المشركون وكانت هذه معركة معنويات لا معركة ميدان. وجاء بعد ذلك كله فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة بعد العمل السياسي والعمل العسكري المحدود تحقق الهدف ووصل الرسول إلى هذا البلد العظيم المقدس وإلى بيت الله الحرام. ولقد ذكر الرائد وليد جرادات في كتابه استراتيجية الفتوحات الإسلامية أنماط وتطبيقات لهذه الاستراتيجية ذكر منها النماذج التالية:

أ ـ **أسلوب التفتيت العقائدي:** (فعندما بدأ الرسول الأعظم دعوته الخيرة كان يدرك أن إمكاناته وإمكانات صحبه المتاحة لا تعد شيئاً إذا قورنت بضخامة الهدف الذي يسعى لتحقيقه والمتمثل في قلب المفاهيم العقائدية والحياتية للأمة العربية التي رسختها القرون ففعلت العقول والعقول بقلب كامل من العمق والجهالة. فلجأ إلى أسلوب التفتيت لعقائد خصومه وتوسل لذلك بأساليب دعوته البيانية وأدلتها العقلية الدامغه المستمدة من التنزيل الكريم على شكل ضربات وخزات متتالية لما رسخ في قلوب وعقول أولئك الخصوم من مفاهيم وعقائد منحرفة حتى نجح في استمالة بعضهم).

هذا كله بالدعوة الحسنة إلى سبيل الله (بالحكمة والموعظة الحسنة) والمجادلة بالمنطق والإقناع استطاع أن يصل إلى الهدف وهو دعوتهم إلى دين الله والإسلام فأسلم الأكثرية وبقي من بقي على الشرك قوله تعالى:
﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

ب ـ **استراتيجية المناورة بالقوى**: فلقد ذكر بأنه اشتغل الرسول الأعظم بعد هجرته إلى المدينة المنورة بإقامة دعائم النظام الإسلامي وترسيخه وعقد العهود والمواثيق بين الفئات المختلفة من سكان المدينة حتى إذا تم له ذلك بدأ يخطط لاستراتيجية جديدة بعد أن أصبح بإمكانه استعمال وسائل جديدة من سياسية واقتصادية وعسكرية إضافة إلى وسيلة الدعوة البيانية التي احتفظت بكونها الوسيلة الأكثر اتساقاً وتجاوباً مع طبيعة الدعوة الإسلامية كدعوة سلمية خيرة تنشد خير البشر وخلاصهم ويضيف قائلاً (ولم تلبث الضغوط العسكرية أن تطورت على شكل حشود أكثر حجماً وإمكانات بعد أن انتقلت الاستراتيجية الإسلامية من دور الدفاع التعرضي إلى دور الهجوم وكانت نقطة التحول فشل غزوة الأحزاب حيث أعلن الرسول الكريم ذلك التحول بقوله (لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم) وانتقل زمام المبادأة الاستراتيجية كلية إلى أيدي المسلمين واستمر كذلك حتى ساد الإسلام كافة ربوع الجزيرة العربية).

كل هذه الوسائل مهما كانت متعددة ومتنوعة في تحركها فمحصلتها النهائية بأنها توصل إلى الهدف المنشود وإلى الغاية الجليلة العظيمة. وتتجاوب مع طبيعة الدعوة الإسلامية كدعوة سلمية لخير البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

حـ ـ **استراتيجية المناورة بالأعياء**: (فعندما تطلع عليه السلام إلى ميدان الشام حيث الروم كان يعي تماماً أن حقل العمل العنيف بات أكثر اتساعاً وإن إمكاناته وصراع المحدودية مقارنة بإمكانات الروم لا تسمح له باتباع استراتيجية مواجهة مباشرة وصراع مكشوف متواصل خاصة في ميدان العمل العسكري فخطط لأسلوب جديد يمكن أن نسميه باستراتيجية الاستنزاف أو المناورة بالأعياء استهدف من ورائها إطالة أمد الصراع والتمهيد للنتيجة الحاسمة بغارات قوية مفاجئة تستهدف أطراف العدو دون قلبه وتتوخى معنوياته قبل منشأته وإمكاناته المادية وتسعى لإرباكه وأتعابه والتأثير عليه وزعزعة استقراره دون احتلال أراضيه تمهيداً لأحداث

التفتيت الذي يسبق الحسم) فالقائد الجيد هو الذي يوازن إمكانياته مع إمكانيات العدو ويثمن المواقف بينه وبين عدوه حتى يصل إلى النصر الحاسم على عدوة والوصول للهدف بأعلى كفاءة وأقل جهد وأقل التكاليف وهكذا فعل قائد الإسلام رسول الله عليه الصلاة والسلام.

٣ ـ **الاقتراب غير المباشر في الحرب في الإسلام:** هو نوع من العمليات التي يهاجم بها العدو في مكان وزمان غير متوقعين، وعدم مهاجمته بهجوم جبهوي بل من الأجناب أو الخلف للوصول إلى نقاطه الضعيفة بهدف زعزعة مركز العدو والإخلال بتوازنه للحصول على نتيجة حاسمة في المعركة وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر بعمليات الالتفاف وهي نوع من العمليات التي تتجنب فيها القوات المقتحمة قوات العدو وتحتل هدفاً عميقاً خلف العدو لإرغامه على ترك مواقعة الدفاعية أو تمويل قواته الرئيسية لمواجهة هذا التهديد، وهنايتم تدمير العدو على أرض من اختيار المهاجم.

وفي هذا المجال اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر أسلوب الدفاع ولم يهاجم قريشاً، وكانت توجيهاته التي نفذها جنوده بكل دقة سبباً في إخلال توازن العدوان وزعزعة مراكزة وهنا نذكر قوله عند تنظيم صفوف الجيش (إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبال واستبقوا نبلكم ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم). وهذا ما طبعة رسول الله (ﷺ) ويمكن أن نستفيد منه ما يلي:

أ ـ تأخير قذف السهام من النبال حتى يقترب الأعداء فانضحوهم بالنبال) أي استخدام السلاح في المكان والزمان المناسبين. ومن ثم (استبقوا نبلكم) أي لا ترموها على العدو وهو بعيد بل استخدام السلاح ضمن المدى المؤثر وعندما يصبح العدو قريباً جداً وهذا مبدأ استخدام السلاح ضمن مداه المؤثر بفعالية وكفاءة عالية لضمان دقة الإصابة وإيقاع أكبر الخسائر الممكنة في صفوف العدو وهذا أفضل من الرمي على مسافات بعيدة لا تحقق الإصابة المطلوبة وتكشف مواقع القوات دون مبرر وفيه أيضاً الاقتصاد في الذخيرة. والذخيرة لا تقدر أهميتها في ساحة القتال، وكم

انهزمت جيوش لعدم توفر النواحي الإدارية التي أهمها الذخيرة وعدم الاقتصاد بها للجهل في تنسيق النيران من قبل القادة وضبطها بشكل جيد وكما يقال: (الطلقة الأولى لك والثانية عليك) وهذا من مبدأ الوصول للهدف بأقل التكاليف.

ب ـ منع استعمال السيوف (السلاح الأبيض حالياً) إلا إذا أصبح العدو في تلاحم للقوات وقريباً جداً (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) فعند تلاحم القوات والاشتباك بالسلاح الأبيض تسل السيوف ويعتمد في هذه الحالة على المهارة الفردية في استخدام الأسلحة وعلى اللياقة البدنية في مواجهة الصعوبات لمواجهة العدو بمهارة فائقة وفن متكامل والقضاء عليه.

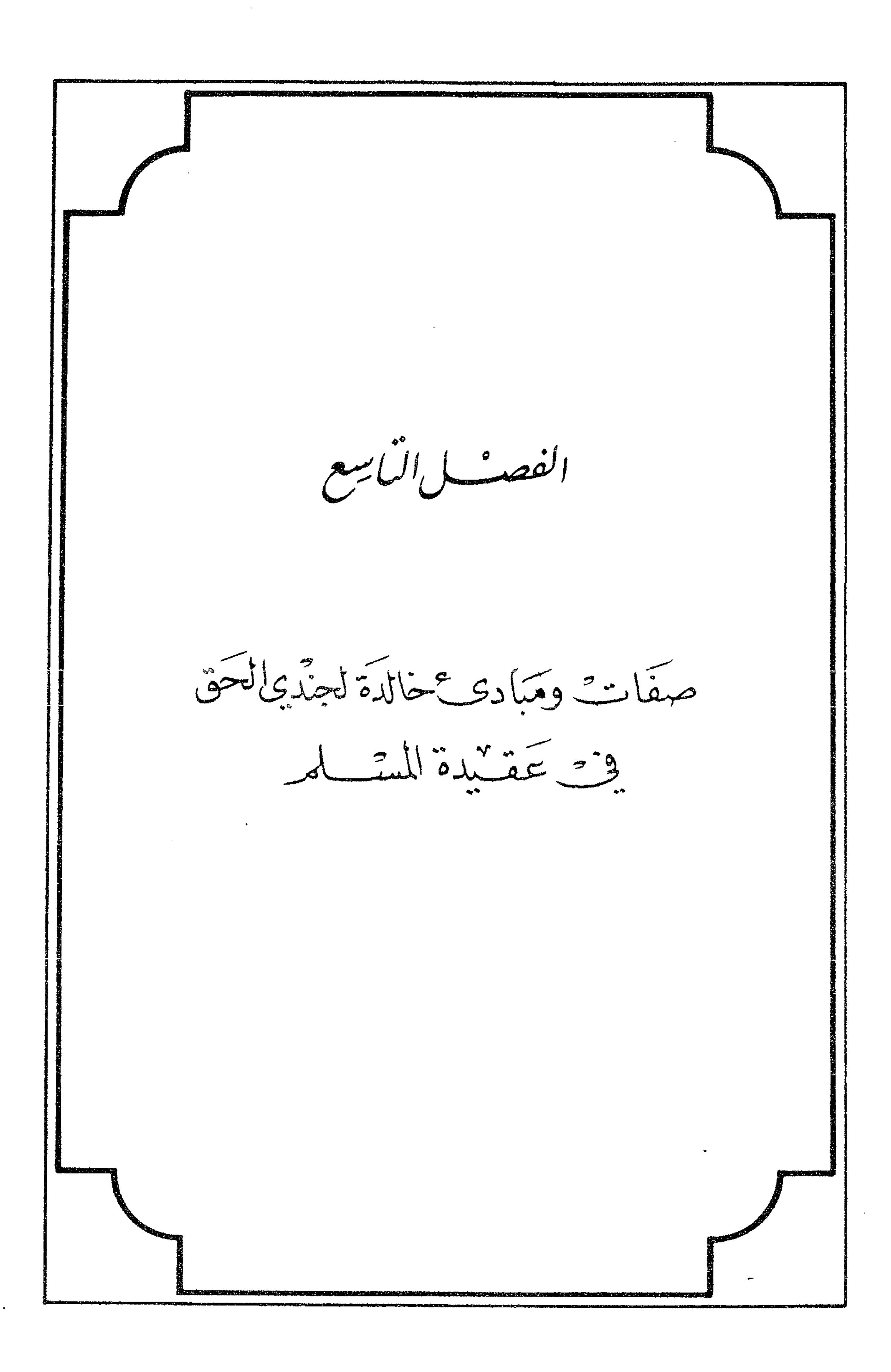
وهناك عدة عمليات التفاف وتقرب طبقها قادة الإسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وذلك بظهور قوات خلف العدو والأجناب ومشاغلة العدو وزعزعة توازنه وقد ظهر في معارك المسلمين بوضع الكمائن كمعركة الوجلة في العراق التي وقعت بين المسلمين والفرس وأدت إلى هزيمة الفرس.

وكذلك معركة أم أذين في مصر وقيام المسلمين بمناورات خلف الجبهة.

٤ ـ الخلاصة

هذه مبادىء ونظريات قائد مدرسة الإسلام العسكرية الذي لم يتعلم الحرب بكليات عسكرية ولا بكليات قيادة وأركان فهو يصدر تعليمات حربية تناقش ويعتمد تدريبها في كليات العالم كلها وكما تطابق الأساليب الحديثة. ومعظم النظريات مأخوذة منها وتنسب إلى قادة تعلموا من الإسلام الشيء الكثير. وما انتساب هذه النظريات والتي منها استراتيجية الردع والاستراتيجية غير المباشرة، والاقتراب غير المباشر إلى أندريه بوفر وليدل هارت إلا عدم الرجوع إلى نظريات الإسلام وصدق من قال (تنسب محامد الإسلام إلى غير أهله). وهذا ما أكده الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال خلفات في كتابهم

العسكرية الإسلامية وقادتها العظام قولهم (المعروف في العالم المعاصر إن النظريات الاستراتيجية للردع والاقتراب غير المباشر تنسب إلى أندريه بوفر وليدل هارت ولكن الإسلام سبقهم في ذلك وهو المصدر الأساسي للاستراتيجيات المعروفة في العصر الحديث، والواقع أن النظريات الاستراتيجية الإسلامية وهي أرقى منهج وأوضح سبيل للتوفيق بين الغاية والوسيلة، الغاية هي إعلاء كلمة الله في الأرض ودفع الأذى والعدوان عن الأمة الإسلامية والوسيلة هي الردع وعدم اللجوء للحرب إلا عند الضرورة، وبذلك تحقق الأهداف بدون إراقة الدماء ويتم الاقتصاد وفي القوى المادية والمعنوية وهذا هو المفتاح الحق للاستراتيجية).



الفصل التاسع

صفات ومبادئ خالدة لجندي الحق في عقيدة المسلم

صفات لجندي الحق

لقد سطرت مدرسة الإسلام العسكرية تاريخها البطولي كفاحاً ونضالاً وإباءً من خلال تدريب جنودها على صفات وتنشئتهم على أخلاق قتالية متميزة نذكر بعضاً منها.

١ ـ ذكر الله في ساحة المعركة وعند البأس:

يوجه الإسلام المجاهدين إلى ذكر الله في ساحة المعركة قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ فالفلاح والنجاح بذكر الله العظيم الذي يملأ النفس ثقة واطمئنان. ويعلمنا الرسول (ﷺ) أن ليس في الإسلام ذلك التواكل العاجز مثل أقوال توراة اليهود المزيفة حين جعلوا إلههم وقفاً لنزعاتهم فهو الذي يحارب عنهم ويقهر أعداءهم نيابة عنهم «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» وقولهم «الرب يحارب عن إسرائيل».

ولكن الإسلام يطالب بالاستعداد للمعركة مثل تجهيز الجيش واستطلاع أخبار العدو وإعداد الخطط بدقة واتقان ثم دعاء الله عز وجل وهذا ما حصل في معركة بدر حيث استقبل رسول الله (ﷺ) القبلة ثم مديده قائلاً «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». وقد أكد الرسول على الدعاء حين البأس بقوله: «اثنتان لا تردان أو قلما تردان: (الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً» وقوله أيضاً: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة

الصلاة ونزول الغيث». وبذلك كان يقول إذا غزا «اللهم أنت عضدي[1] ونصيري، بك أصول[2]، وبك أقاتل» وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) كان إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم» فذكر الله له تأثير فعال في النصر، لأن الإيمان يمد المحارب بقوة معنوية هائلة ويحقق له النصر على الأعداء.

٢ ـ الصبر في ميدان القتال على المشقات العسكرية:

فميدان المعركة مليء بالصعوبات وقد يبتلي الله عز وجل بالخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات، والمقاتل يجب أن لا يجزع ولا يخاف ولا تهن قوته فالصبر في الشدائد من أقوى أساليب الوقاية والعلاج لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾﴿ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله ﴾[3] وقال أيضاً: ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾[4] ﴿ ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾[5].

والمقاتل الصابر يغلب عدوه ويتفوق عليه وهو يعد بكفاءة العشرات والمئات قال تعالى: ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾[6] وفي هذا المعنى يقول محمد شديد في كتابه الجهاد في الإسلام (وتكمن قوة المؤمن النفسية

---

(١) عضدي: عوني.
(٢) أصول: أدافع.
(٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران ٢٠٠.
(٤) الآية الكريمة من سورة النحل ١٢٦.
(٥) الآية الكريمة من سورة النحل ١١٠.
(٦) الآيتان ٦٥، ٦٦ من سورة الأنفال.

بالصبر. فالجهاد في سبيل الله ليس مجرد اندفاعة إلى القتال ولا حماسة في موقف شدة، ولا إقدام في معركة، ولكنه الكفاح الدائم الذي لا ينقطع، والجهاد المستمر الذي يستغرق العمر، والبذل المتواصل الذي يستنفد النفس والمال وهو عمل لا يطيقه إلا من كان الصبر صفة من صفاته الأصيلة، وعنصراً من عناصر تربيته الطويلة) ويضيف قائلاً: (ولقد كانت حياة النبي (ﷺ) حركة دائمة وكفاحاً متصلاً وجهاداً في سبيل الله، لم يأنس فيها إلى راحة أو متعة، فصبر على قومه في مكة ثلاثة عشر عاماً، وصبر على نفسه في المدينة على تربية أصحابه، وصبر على كيد اليهود، والمنافقين، وصبر على الكفاح والجهاد، فخرج بنفسه في خمس وعشرين غزوة، وبعث سبعاً وأربعين سرية، وهو الحاكم المسؤول عن كل ما في المدينة، يخلف المجاهدين في أهليهم وأموالهم، ويصلي بالمسلمين في المسجد جميع الصلوات، ويكفل فقيرهم، ويعود مريضهم، ويصلي على موتاهم ويشيع جنائزهم، ويقضي بينهم، وهو مع ذلك كله صاحب تسعة بيوت ولقد كانت حياته تربية للمسلمين على الصبر وتحمل متاعب الجهاد والصبر الذي يجعل الحياة كلها كفاحاً متصلاً وجهاداً في سبيل الله).

ودخول الجنة مقروناً بالصبر والمصابرة وتحمل المشاق والصعاب، فالطريق شاق وطويل ولا بد من مواقف للصبر والجهاد قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «واعلم أن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً».

وبهذا يؤكد الإسلام بأن الأسلحة وحدها لا تشكل عناصر القوة في الجهاد بل لا بد من قلب صابر محتسب وعزيمة صادقة فالجهاد لا يكتب إلا بصعوبات وهو بلاء واختبار من الله عز وجل قوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾. وليس المسلم وحده في الميدان يعاني الشدة والبأس في القتال بل إن عدوه يعاني مثلما يعاني قال تعالى: ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما

لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً ﴾ وهناك مبدأ يتصل بهذا المعنى (حين تشترك في معركة عنيفة وحين يصبح موقفك سيئاً فلا بد أن تدرك أن موقف عدوك سيء بنفس الدرجة فإذا لم تستسلم أولاً فإن العدو سوف يستسلم وإذا صمدت في اللحظة الحرجة انقصم ظهر العدو).

ويقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ في كتابه المدخل إلى العقيدة الإسلامية (ذلك أن توقع الشدة يسهل احتمالها عند وقوعها ويجب على الذين يتقدمون للحرب أن يدركوا دائماً بالصبر والإيمان فإن الصبر يكون معه النصر، والإيمان يشد العزيمة، ويقوي الاحتمال، فلا يتخذ القتال هزواً ولعباً، ولا يفهم القاتل أنه ما دامت معه الآلة، فإن النصر معه، لأن الآلة مهما تكن فتكها قد تتحطم في يد من لا يستطيع حملها، أما الإيمان فهو القوة الدائمة التي تدفع إلى العمل، ولا تمل ولا تتحطم، ولا يمكن أن تنالها أيدي الأعداء، وهو الذي يجدد الآلات، والآلات لا تجدد القلوب، ولا تدفع الوهن) وبهذا يكون نتيجة الصبر النصر بإذن الله والوصول إلى الهدف المقدس.

٣ ـ الثبات في الحرب من صفات الجندي الخالدة:

فقد أوجب الإسلام الثبات في الحرب وفي ميدان القتال قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾[١] فأوجب الثبات عند اللقا وذكر الله عند الفزع وإن استقام المسلم بمنهجه وكان مع الله كان الله معه وثبت أقدامه في الحرب قال تعالى: ﴿ وليربط على قلوبكم ويثبت به الإقدام ﴾[٢] ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت إقدامكم ﴾[٣] ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا ﴾[٤].

وطلب الله عز وجل من المسلم أن يدعوه فالثبات والصبر في الميدان ورباطة الجأش والصمود أمام العدو حتى يكتب للمسلم النصر أو الشهادة لقوله

---

(١) الأنفال ٤٥.
(٢) الأنفال ١١.
(٣) محمد .
(٤) الأنفال ١٢.

تعالى ﴿ ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا ﴾[1] ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا ﴾[2] وبثبات الأقدام تثبت القلوب ويكتب النصر بإذن الله عز وجل.

٤ ـ الشجاعة في المعركة وفي المواقف المختلفة وعدم الفرار في المعركة:

وهي من أهم مزايا الجندي المسلم، فالمسلم لا يجبن أبداً ويجب أن يكون شجاعاً عنيفاً في القتال قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا إن الله مع المتقين ﴾ ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ﴾. ويقال في هذا المعنى (إن الفن الأساسي في القتال يكمن في معرفة أساليب تقوية الرباط النفسي، والمحافظة عليه في قواتنا مع محاولة تدميره وسط قوات العدو، والعامل النفسي عامل كبير الأهمية، فهو الذي قاد إلى إيجاد التركيبات المادية والمعنوية المختلفة التي تخلف ما أسماه نابليون (بالحدث) الذي يؤدي ظهوره إلى هبوط مفاجىء في معنويات العدو)[3].

وإن التولي يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾[4] وكما يفهم من قول النبي عليه الصلاة والسلام: «خمس من البائر لا كفارة لهن وذكر فيها التولي يوم الزحف» وقوله أيضاً: «إن من أعظم الموبقات الشرك بالله وأكل مال اليتيم والتولّي يوم الزحف وقذف المحصنات».

---

(١) سورة البقرة ٢٥٠.

(٢) سورة آل عمران ١٤٧.

(٣) مدخل الاستراتيجية العسكرية ـ أندريه بوفر.

(٤) الآيتان الكريمتان من صورة الأنفال ١٥ ـ ١٦.

وقد جعل الإسلام التولي يوم الزحف من صفات الكفار والمنافقين قال تعالى: ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾[3] ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل: لا يولون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولاً ﴾[4] ويصف محمود شيت خطاب في كتابه بين العقيدة والقيادة الشجاعة في الإسلام بقوله (ولست أعرف عقيدة سماوية ولا أرضية تحث على الشجاعة حثاً حاسماً جازماً شديداً لا هوادة فيه كما فعلت العقيدة الإسلامية، ويكفي أنها أخرجت الجبناء من مجتمع المسلمين، فالجبن والإسلام على طرفي نقيض، وهما ضدان لا يجتمعان. وإذا كانت الشجاعة من أهم عوامل النصر على الإطلاق فإن الشجاعة في العقيدة الإسلامية هي مزية من مزايا المسلم الحق التي لا يكون مسلماً دونها).

فالتخطيط في الحرب يجب أن يكون بحذر ودقة والتنفيذ بإقدام وشجاعة لأن وقت التنفيذ لا معادلات ولا حسابات بل اندفاع في المعركة دون هوادة للوصول إلى النصر المحقق بإذن الله.

٥ ـ إحساس المقاتل بأنه جندي من جنود الله وإنه مؤمن بحقيقة النصر الموعود

إن المجاهد في سبيل الله، جندي من جنود الله، يحارب أعداء الله في كل زمان ومكان وهذا أعظم حافز للاستبسال في القتال، وإنه مؤمن بحقيقة النصر الموعود، لأن النصر من عند الله يؤتيه من يشاء:

قال تعالى: ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾[5] ﴿ يا أيها الذين آمنوا

---

(١) سورة الفتح ٢٢.
(٢) سورة الحشر ١٢.
(٣) سورة آل عمران ١١١.
(٤) سورة الأحزاب ١٥.
(٥) آية ٤٧ من سورة الروم.

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[1] ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾[2] وفي هذا يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ (وتبلغ الحوافز المعنوية والدوافع النفسية كمالها في نفس المجاهد، بشعوره وثقته في محبة الله لجنده الذين يقاتلون في سبيله، ويقومون على مبادئه، وثقته في وعده جل وعلا لهم بالنصر) ويتحقق ذلك بنصرة شريعته، وتطبيق منهجه وقت السلم. فلا يعقل أن يخالف المقاتل ويرتكب المعاصي في وقت السلم ومن ثم يطبق شرع الله في ميدان القتال. فيجب أن يكون من البداية مع الله سواء في السلم أو في الحرب وجاء في كتاب (طريق النصر في معركة الثأر) اللواء الركن محمود شيت خطاب قوله: (الذي أعلمه علم اليقين ولا شك فيه أبداً هو أن الملوث جنسياً أو الملوث جيبياً لا يمكن أن يقاتل في الحرب كما يقاتل الرجال).

وفي معارك المسلمين يظهر تطبيق هذا المبدأ ففي معركة بدر كان عدد المؤمنين وعدتهم أقل من المشركين ودعا إليهم النبي قائلاً «اللهم إنهم ضعاف فقوهم، اللهم إنهم قلة فكثرهم، اللهم إنهم عالة فاحملهم، اللهم إنهم كما ترى فانصرهم».

وخطبهم قبل المعركة يذكرهم بحقيقة النصر وأسبابه فقال: «انظروا الذي أمركم به من كتابه. وأراكم من من آياته، وأعزكم به بعد ذلة، فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم. وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد. وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم. إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا وإليه المصير». وبذلك أنجز لهم الله وعده وأيدهم بنصره ونزلت سورة الأنفال فيها تأكيد لهذه الحقيقة ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلاَّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله. إن الله عزيز حكيم. إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب

(١) آية ٧ من سورة محمد.

(٢) آية ٤٠ من سورة الحج.

عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام. إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾[1].

وفي معركة مؤته ظهرت نتائج هذه التربية في الجيش، فقد بعث النبي جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل. فلما بلغوا مؤته وفي راوية أخرى عندما وصلوا إلى معان وجدوا أن الروم قد أعدوا لهم إعداداً ضخماً وكان جيشهم حوالي مائتي ألف فأقاموا ليلتين، وأرادوا أن يكتبوا إلى رسول الله (ﷺ) بالخبر، ليردهم أو يزيدهم رجالاً، فشجعهم عبدالله بن رواحة أحد قواد الجيش - وقال: (والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد، ولا بكثرة سلاح، ولا بكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. انطلقوا؟ والله لقد رايتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان، ويوم أحد فرس واحد، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور عليهم، فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا، وليس لوعده خلف، وأما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم بالجنان) ولقد قاتل زيد بن حارثة براية رسول الله (ﷺ) حتى شاط في رماح القوم وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وقاتل بها حتى ترجل عن فرسه ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

وقد أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضويه ولما استشهد أخذ الراية عبدالله بن رواحة فتقدم وهو يقول:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلها هديت

وبعد ذلك اصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ الراية وانسحب بالجيش وجنبهم الفناء. هذه مشاهد خالدة لإيمانهم بالنصر الموعود من الله عز وجل عن صدق عقيدة وإيمان.

---

(١) الآيات ٩ - ١٢ سورة الأنفال.

٦ ـ الرغبة في نيل الشهادة (شرف النصر أو الشهادة) كما نطلب الموت توهب لنا الحياة:

كان الاستشهاد هو الغاية القصوى للمسلمين قال تعالى: ﴿ قل: هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين؟ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾(١).

فالخوف من الموت والحرص على الحياة يدفع المقاتل إلى الفرار من ميدان المعركة وقد أكد الله عز وجل بأن الأجل محدود ومكتوب قال تعالى: ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون﴾(٢) ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾(٣) ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾(٤).

وقد أدرك جنود الإسلام حب الشهادة فخطب مالك بن سفيان في المسلمين يوم أحد فقال: «نحن والله بين إحدى الحسنيين. . إما أن يظفرنا الله بهم فلا يبقى منهم إلا الشريد، والأخرى أن يرزقنا الشهادة، والله ما أبالي أيهما كان إن كلا لفيه الخير». ولقد عاتب القرآن الكريم المنافقين بعد معركة أحد بقولهم لو أطاعنا الرسول في عدم الخروج من المدينة لما قتل منا من قتل ولما كانت هذه النتائج فأنزل قوله تعالى: ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية أيقولون: هل لنا من الأمر من شيء؟ قل: إن الأمر كله لله، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون لو كان لنا من الأمر شيءُ ما قتلنا ها هنا، قل: لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، وليبتلى الله ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾(٥).

---

(١) آية ٥٢ سورة التوبة.

(٢) آية ٦١ سورة النحل.

(٣) آية ١٤٥ سورة آل عمران.

(٤) آية ٧٨ سورة النساء.

(٥) آية ١٥٤ سورة آل عمران.

ومشهد آخر في غزوة أحد فقد روى ابن ماجة عن جابر بن عبدالله قال: «لما قتل أبي يوم أحد، قال لي رسول الله: يا جابر، ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قلت: بلى! قال: ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدي تمن عليّ أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورائي فانزل الله عز وجل الآية الكريمة ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1].

ومشهد آخر عندما قتل حمزة بن عبد المطلب الذي كان أول شهيد من آل الرسول جاءت حمنة بنت جحش، وكانت في الجيش تحمل الماء وتضمد الجراح فقال لها رسول الله: يا حمن احتسبي قالت: من يا رسول الله؟ قال: خالك حمزة قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون غفر الله له ورحمه، هنيئاً له الشهادة!

ثم قال لها: احتسبي.
قالت: من يا رسول الله.
قال: أخوك عبدالله.
قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون غفر الله له ورحمه، هنيئاً له الشهادة!.
ثم قال لها: احتسبي:
قالت: من يارسول الله؟
قال مصعب بن عمير.
قالت: واحزناه.
فقال: إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد، ثم قال لها: لم قلت هذا؟
فقالت: يا رسول الله، ذكرت يتم بنيه فراعني.

وفي غزوة بدر الكبرى نجد مشاهد خالدة على حب الاستشهاد وطلب الشهادة فقد سمع عمير بن الحمام رسول الله يحض جنوده قائلاً: «والذي

(١) الآيتان ١٦٩، ١٧٠ من سورة آل عمران.

نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم ـ رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» فيقول عمير وفي يده ثمرات يأكلها «بخ بخ أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ «ثم قذف الثمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل القوم وقتل وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاذ
غير التقى والبر والرشاد

وكانت الشهادة بالنية للمجاهد في الإسلام أمنية يتطلع إليها ويطلبها فعندما شعر أنس بن مالك بن الرمح يخترق ظهره قال: «فزت ورب الكعبة» وكان الشهيد يردد وهو يحتضر قول الله تعالى: « وعجلت إليك رب لترضى » وكان جاره في الصف يقول لـه هنيئـاً لك الشهادة » .

ومنافسة الإخوة على الخروج للقتال لا إلى البقاء في المدينة فيقول للآخر الذي يدعوه للبقاء «أتريد أن تخرج لكي تظفر بالشهادة دوني؟!».

وقول عبادة بن الصامت حول هذا المفهوم «ما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده» ويقول: «إن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورضاءها ليس برخاء إنما النعيم والرخاء في الآخرة» وفي خطاب المغيرة بن شعبة أعداءه فيقول لهم: «يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار» أما مزايا ودرجات الشهيد فقد تحدث عنها رسول الله (ﷺ) فقال: «إن للشهيد عند الله خصالاً، يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده في الجنة ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه» وقال أيضاً (أفضل الشهداء الذين إذا لاقوا في الصف لا يلتفتون حتى يقتلوا أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك إلى عبد من الدنيا فلا حساب عليه».

ويصفهم المقوقس في خطاب له إلى ملك الروم «والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا، إن الرجل الواحد منهم يعدل مائة رجل منا، ذلك لأنهم قوم الموت أحب إليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستبسل،ويتمنى أن لا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده، ويرون أن لهم أجراً عظيماً فيمن قتلوا منا ويقولون أنهم إن قتلوا أدخلوا الجنة، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم» وتكفي شهادة عدوهم بهم وإذا شهد العدو بخصمه كانت الشهادة صادقة ودقيقة (رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة ليس لأحدهم في الدنيا رغبة).

هكذا رغبوا في نيل الشهادة إنهم لا يهابون الموت وفي هذا يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ في كتابه المدخل إلى العسكرية الإسلامية (ومن الإنصاف للتاريخ والعرب أن نذكر إنهم كانوا شجعاناً لا يهابون الموت، بل كانوا يعتبرونه في ساحة المعركة شرفاً يتباهون به، ويعدونه في غيرها عاراً يأنفون منه، ومن ذلك قول شاعر منهم:

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليس على غير الظبات تسيل

فلما جاء الإسلام وجه هذه النزعة في نفوسهم إلى غاية عظمى رفعت أقدارهم وهي أعلاء كلمة الله، وإعزاز راية دينه، وما يدخل في مفهوم كلمة «سبيل الله» من قيم فاضلة، وقضايا عادلة، وأهداف نبيلة).

ولكن يبقى السؤال الذي يتساءله الجميع هل كل من مات في ساحة القتال في أي زمان ومكان في العالم هو شهيد؟ والجواب واضح كل من مات لإعلاء كلمة الله فهو في سبيل الله في أي زمان ومكان ويتساءل محمد فرج في كتابه المدرسة العسكرية الإسلامية قائلاً: (أما هؤلاء الذين سقطوا في حروب ما بعد الإسلام والذين ما زالوا يتساقطون في حروب اليوم. فهؤلاء خرجوا مستعمرين لغيرهم يبغون تدمير العالم وتعطيل تقدمه، أمرهم شيطان الرغبة

فأخرجهم من ثياب البشر إلى طيش الرذيلة والفجور وإلى جحيم الاستعباد والاستغلال والسيطرة والعدوان، فرحين بقوة في أيديهم وكثرة في عددهم، يشنون حملات عدوانية مسعورة ترمي إلى إشاعة اليأس في النفوس، وتعرقل مسيرة الإنسان وتجعل الكلمة العليا للشيطان، وتؤكد الانحلال في المجتمعات البشرية، وتبيح الخنوع والجهل والفقر، وتزلزل القيم والمبادىء التي نادت بها الأديان وفي مقدمتها ديننا الإسلامي الحنيف، وتنشر السلبية وتعلي كلمة الباطل.

هل يجوز أن نطلق على هؤلاء الجنود الفرنسيين الذين سقطوا في ميادين القتال في مصر وأوروبا وأفريقيا وآسيا شهداء وقد شنوا الحروب تحقيقاً لآمال زعمائهم أو قادتهم كنابليون وغيره؟

هل يجوز أن نسمي هذه الآلاف من الجند الألمان الذين راحوا ضحية غرور زعمائهم المتعطشين إلى الدم وقياداتهم المنحرفة التي سعت خلال حربين عالميين إلى سيطرة الجنس الألماني على العالم كله شهداء؟!

هل يمكن أن يحمل لقب الشهيد هذا الجندي الإنجليزي الذي سقط قتيلاً في الحروب المتعددة التي شنتها إنجلترا من أجل بسط نفوذها وسيطرتها على أجزاء متعددة من العالم خلال حقبة طويلة من التاريخ؟

هل يمكن أن يكون شهيداً هذا الجندي الأمريكي الذي يعتدي على طالبي الحرية في مختلف بقاع الأرض فيصاب من أهلها ويقتل على أيديهم؟ هل يمكن أن نصف هؤلاء وهؤلاء بأنهم شهداء. . . . أبداً هذا قطعاً لا يحق ولا يجوز ولا يقبله منطق أو عقل لأن هؤلاء جميعاً خرجوا معتدين لم تكن لهم رسالة مشروعة أو هدف كريم أو رغبة خيِّرة). بهذا عاشوا أجدادنا سعداء وماتوا شهداء إلى جنان الخلد والحياة الكريمة.

٧ ـ التعاون بين المقاتلين وعدم الاختلاف فيما بينهم:

من أهم العوامل لتحقيق النصر وحدة الكلمة والهدف لمواجهة العدو المشترك وعدم النزاع فيما بينهم قوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب

ربكم ﴾ وقال تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وبهذا يتجرد المقاتل من المصلحة الشخصية ويسعى إلى المصلحة العامة التي لا تقبل المحاباة ولا المساومة وهدفها الأكبر إحدى الحسنيين ﴿قل: هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين؟ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾[1]. لأن في الاتحاد قوة وفي التفرق ضعف (وما أعظم أن يكون العمل جماعياً أمام العدو المشترك كأنهم رجل واحد لا يتفرقون ولا تتنازعهم إقليمية وهدفهم الأساسي الجهاد في سبيل الله والعمل ليلاً ونهاراً في سبيل مرضاته ونصره بالدفاع عن الوطن والمقدسات. ولا يمكن لأي تشكيل ووحدة عسكرية أن تنجح في القتال إذا لم تسد روح المحبة والمودة بين جميع مرتباتها وتكون كالجسد الواحد ﴾[2].

وفي مواجهة العدو في قتاله يجب أن يقف المقاتل إلى جانب أخيه يذود عن الديار دون أي ثغرات موجودة قال تعالى: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ ويقول النبي (ﷺ) «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». ولم يسجل تاريخ الإسلام اختلافاً في الهدف عند المقاتلين على مختلف المستويات فقد كان التفاهم ووحدة الكلمة والهدف المشترك فعندما قدم خالد بن الوليد إلى اليرموك وجد الأمراء يخططون كل واحد باتجاه معين ويرسل غارات مقابل قواته لدولة الروم فجمع أصحابه وقال لهم: «هل لكم يا معشر الرؤساء في أمر يعز الله به الدين ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه؟ قالوا نعم فقال: إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم فإن هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وأنتم على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي وإن من ورائكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعلموا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم محبته». قال الأمراء من الرأي؟ فقال: «إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر ولو علم بالذي كان

---

(١) آية ٥٢ من سورة التوبة.

(٢) العسكرية الإسلامية الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد، جمال يوسف الخلفات.

ويكون لقد جمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من إمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه إن دان أحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه إن دانوا له، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله (ﷺ) هلموا فإن هؤلاء قد تهيئوا وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وإن هزمنا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاون الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدا والاخر بعد غداً، حتى يتأمركلكم ودعوني إليكم اليوم» وقد اتفق الجميع ووافق على رأي خالد وجعلوا له القيادة أولاً ضد عدوهم المشترك الروم. وتعرض خالد بن الوليد وهو في أوج انتصاراته على الروم في الشام إلى مثل هذا الموقف حين عزله عمر وولى مكانه أبا عبيدة بن الجراح فقد سلم القيادة ثم قال لحامل البريد الذي جاءه بأمر العزل «بلغ أمير المؤمنين أن من حقه أن يعزلني عن القيادة ولكنه لا يملك أن يجردني من سيفي، فسأظل حاملاً هذا السيف في خدمة أمتي» وظل خالد يقاتل في المعركة كأي جندي يطيع الأوامر العسكرية وينفذها. كل هذا نتيجة الإيمان العميق وعدم مخالفة قائده لأمره العسكري وتنفيذه الأمر مهما كلف الثمن ولقد حددت المبادىء والأصول التي تحقق التعاون في كتاب المدخل إلى العسكرية الإسلامية للواء محمد جمال الدين محفوظ بما يلي:

أ - وحدة الهدف ووحدة الصف.

ب - النظام.

ج - قوة العقيدة وهي كالأساس للبناء.

د - إنكار الذات في سبيل الهدف.

هـ - توافر قاعدة الاستمرار للصف والبناء من زاويتين، فضرورة أن يستمر الصف قائماً فليس لأحد أن يتخلف عنه أو يعتذر عن البقاء فيه وعدم السماح بحدوث أي ثغرة فيه، بل لا بد - لاستمرار - الصف من قوة تسدها وتسندها.

وكل هذه المبادىء من الآية الكريمة ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في

سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ وقول النبي: (ﷺ) «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وهذا مما يطلق على روح الصف تسميات معاصرة حالياً كالتعاون بين الأسلحة، وتنسيق النيران ومعركة الأسلحة المشتركة (The Airland Battle)

فالتعاون يؤدي إلى القوة والاتحاد وبهما تحصل الجيوش على النصر والوصول إليه بأعلى كفاءة وأقل التكاليف. فمن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لأصحابه في ساحة الحرب «وأي امرىء منكم أحسّ من نفسه - رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلاً فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل الله بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله. إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب إن أكرم الموت القتل والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بسيف أهون من ميتة على الفراش).

٨ ـ الحذر واليقظة:

الحذر من فتن العدو وميله على قواتنا وقد أوجب الله عز وجل بالحذر واليقظة قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾[1] وقال: ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾ ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾. وقد أكد رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن الكلمة أمانة ويجب المحافظة على هذه الأمانة وكتمان الأسرار دون ثرثرة أو التكلم بفضول الكلام قال عليه الصلاة والسلام «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله».

والجندي الحذر اليقظ يصعب على عدوه مهاجمته ومباغتته في زمان ومكان غير متوقعين والاستهانة بالعدو اعتماداً على الكثرة يؤدي إلى الكوارث في الحرب وجلب النكبات والويلات وبالتالي الهزيمة ويوم حنين شاهد على ذلك «وليس جندياً حقاً من ينام عن عدوه، لأن المبدأ الحصيف في الحرب هو إدخال أسوأ

---

(١) سورة النساء الآية ٧١.

الاحتمالات في الحساب، فإذا كان احتمال هجوم العدو مثلاً واحداً بالمائة فيجب أن ندخل في حسابنا أن العدو سيهجم مائة بالمائة!

وتطبيقاً لمبدأ الحذر واليقظة، كان المسلمون الأولون في الحرب لا ينامون ولا ينيمون وكان من مزايا خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه كان لا ينام ولا ينيم وما أصدق المثل العربي القديم: «إذا كان عدوك نملة، فلا تنم له»»[1].

٩ ـ ومن تلك الصفات أن يكون الجندي مدرباً

فالتدريب يحقق نتيجة أفضل وكفاءة عالية وتقليل خسائر الجيش في الأرواح والمعدات (إن العرق في التدريب يوفر الدم في المعركة) وقد طالب الإسلام بالتدريب الفردي واستخدام الجندي سلاحه بمهارة في جميع الظروف وكافة أنواع الأراضي فقد روى البخاري أن رسول الله (ﷺ) قال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً) وقال أيضاً: (من تعلم الرمي ثم نسيه ليس منا). وقد شمل التدريب في الإسلام على مواضيع إسلامية متعددة منها.

أ ـ **التدريب على ركوب الخيل**: فقد قال رسول الله (ﷺ) (عاتبوا الخيل فإنها تعتب) وقال: (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة). والخيل كان سلاحاً هجومياً يستخدم في معارك الإسلام.

ب ـ **التدريب على استخدام السلاح والرماية**:

فقد قال رسول الله (ﷺ) (ألا إن القوة الرمي) وكررها ثلاثاً وقال أيضاً: (إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه المحتسب في عمله الخير، والرامي به والممسد به، فارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا».

وقال أيضاً: (ارموا واركبوا، وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا).

ج ـ **اللياقة البدنية**: لمواجهة الصعوبات في المعارك بكفاءة عالية وبجسم سليم

---

(١) بين العقيد والقيادة اللواء محمود شيت خطاب.

(فالعقل السليم في الجسم السليم) وفي الحديث عن رسول الله (ﷺ) (إن لبدنك عليك حقاً). فقد حث الإسلام على ركوب الخيل والسباق عليها بين الفرسان وعلى الركوب على الإبل أيضاً وحث الإسلام على تعلم السباحة.

وقد قيل عن رسول الله (ﷺ) (بأنه كان يتمتع بلياقة بدنية قوية فكان يصرع الرجل القوي ويركب الفرس عارية فيروضها على السير، وكان يداعب من يحب بالمسابقة في العدو).

ولا شك عندما يتمتع الجندي بلياقة بدنية عالية فإنه يحقق النجاح على عدوه بأعلى كفاءة وأقل وقت.

د ـ **التصنيف الثقافي ومحو الأمية**: فالجندي الأمي لا يستطيع استيعاب تطور الأسلحة ومجاراة العصر حسب تحديث العلوم العسكرية والنظريات القتالية بالاستخدام التعبوي والفني للأسلحة ويستدل من خطب الرسول عليه الصلاة والسلام حول ذلك قوله: (ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهو ن والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم، وليعلمن قوم من جيرانهم يتفقهون ويتعظون أولاً عاجلتهم العقوبة، ثم نزل رسول الله (ﷺ). فقال قوم: من ترونه عني بهؤلاء؟ قالوا: الأشعريين هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والإعراب. فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا: يا رسول الله ذكرت أقواماً بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فأعاد عليهم ما ذكره في خطبته: «ليعلمن قوم جيرانهم. أولأ عاجلنهم العقوبة في الدنيا» فقال يا رسول الله أنفطن غيرنا؟ فأعاد عليهم ما قاله ثم أعاد وأعادوا فقال يا رسول الله أمهلنا سنة فأمهلهم وقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾.

وقد أمر عليه الصلاة والسلام كل أسير في بدر يستطيع القراءة والكتابة من المشركين أن يعلم عشرة من الصحابة الكتابة والقراءة ليكون هذا طريقاً لإطلاق سراحه من الأسر.

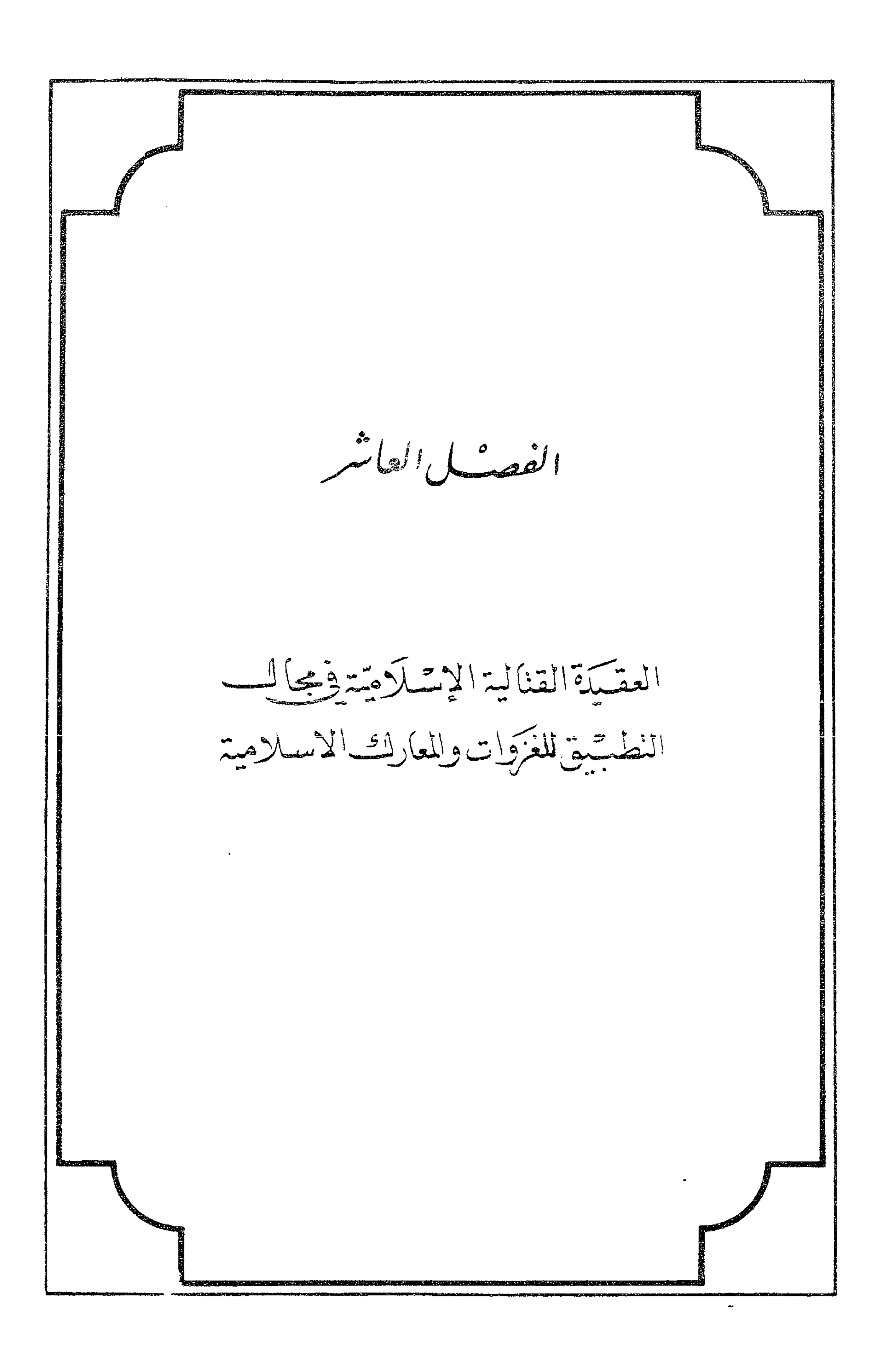
هـ ـ **الدورات الخارجية وتعلم اللغات الأجنبية ولغة العدو**: فقد أرسل عليه الصلاة والسلام بعثات عسكرية مكونة من اثنين من المسلمين إلى (جرش) من أرض اليمن سابقاً يتعلمان صنعه العرادات والمنجنيق[1] والدبابات وأيضاً كان يحث ويشجع على تعلم اللغات الأجنبية وخاصةً لغة العدو فقد تعلم زيد بن ثابت لغة اليهود وتعلمها في نصف شهر وأصبح يترجم كتبهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام. وبعد عودة المسلمين المدربين على المنجنيق والدبابات استخدمت في عمليات الحصار.

فكفاءة الجيوش في العالم تقاس بالنسبة لمدى كفاءتها بالتدريب والتنظيم مقرونة بروحها المعنوية وإنتمائها الأصيل، وليس فقط بما لديها من أسلحة لأن حروب الإسلام أثبتت بأن جيشاً قليل العدد والعدة جيد التدريب والتنظيم والتسليح يستطيع إلحاق الهزيمة بجيش يمتاز بالعدد والعدة ولكنه يفتقر إلى التدريب الممتاز والتنظيم الحسن فالمثل يقول: (ليس الشرف في اقتناء السلاح إنما الشرف كل الشرف في اتقان استخدام هذا السلاح) (لا فائدة ترجى من سلاح قوي بيد ضعيفة وغير مدربة).

وحسب المفهوم العسكري تقاس كفاءة الجيوش بخمس دعائم رئيسية هي المقاتل الكفء المدرب، السلاح القوي، الانضباط، الروح المعنوية، وروح الفريق. وكما يقولون: (ليس العبرة بالمدفع ولكن بالرجال الذين وراء هذا المدفع).

---

(١) اللواء محمد جمال الدين محفوظ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية.



الفصل العاشر

العقيدة القتالية الإسلامية في مجال التطبيق للغزوات والمعارك الاسلامية

العقيدة القتالية الإسلامية في مجال التطبيق للغزوات والمعارك الاسلامية

في هذا الفصل دراسة لعقيدة القتال للمسلم في مجال التطبيق للغزوات والمعارك الإسلامية، لكي تكون شاهداً على أن الإسلام (دين القول والعمل) وكان العرب يطبقون هذه العقيدة وأهدافها نصاً وروحاً في الأعداد العسكري وفي ميادين القتال.

فلو أخذنا المعارك الإسلامية ومقارنة القوى لوجدنا أن التفوق في العدد والعدة دائماً لأعداء الإسلام، والنتائج المشرفة والوصول للنصر بأعلى كفاءة وأقل وقت وأقل التكاليف كانت دائماً وأبداً للمسلمين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾. وكيف كانت القيادة موجهة نحو الأهداف بخدمة العقيدة القتالية فكان القائد المسلم شجاعاً مقداماً هدفه في القتال (إعلاء كلمة الله). هذه هي المهمة المقدسة اختارها الله له قال تعالى: ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاد وهو اجتباكم ﴾ ويكفي شهادة علي بن أبي طالب برسول الله عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر حيث قال: (إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله (ﷺ) فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو). أما أهداف غزوات ومعارك الإسلام فهي أن يترك للمسلمين حرية نشر الدين الإسلامي والدعوة إليه وقد كانت الأهداف منسجمة مع مبادىء العقيدة القتالية (الجهاد لله) وطبقت عملياً في ميادين القتال بعد أن كتبت بالدم.

ولكي نرى ذلك بوضوح رأيت أن أقسم هذا الفصل إلى المباحث التالية:

١ ـ المبحث الأول: مقارنة القوى في معارك وغزوات الإسلام في مجال التطبيق.
٢ ـ المبحث الثاني: القيادة لمعارك وغزوات الإسلام والتزامها بأهداف ومبادىء عقيدة القتال.
٣ ـ المبحث الثالث: الأهداف لمعارك وغزوات الإسلام مع أهداف ومبادىء عقيدة القتال.
٤ ـ المبحث الرابع: نتائج مـن غزوات ومعارك الإسلام.

كل هذه النقاط المضيئة على القادة العسكريين التركيز عليها والاهتمام بها في دراستهم لأي معركة.

مقارنة القوى في معارك وغزوات الإسلام

في مجال التطبيق

إذا نظرنا إلى مقارنة القوى في معارك الإسلام وجدنا أن التفوق دائماً لأعداء الإسلام. فمقارنة القوى هي تقدير العلاقة العامة لقوة القتال لقوات الدولة مع قوات عدوها على أن تشمل نواحي القوة والضعف البارزة. وأما العوامل الأساسية للقدرة القتالية للقوات فهي كما تعتبر عالمياً وحدات المناورة والنار المساندة وأيضاً هناك عوامل إضافية أخرى يمكن اعتبارها كقابلية الحركة والسيطرة والتنسيق والأرض وأيضاً التوزيعات والطقس والإسناد الإداري وأمور أخرى كالحرب النفسية والأمن والحرب الإلكترونية وهذه العوامل الإضافية الأخرى متغيرة بين موقف وآخر. وبذلك تتم مقارنة الوحدات بعضها ببعض، ويتم إجراء المقارنة حسابياً أو إجراءها تفصيلاً.

ويبدأ القائد بعمل توازن بالمقارنة لصالح قواته وقوات العدو (في العدة والسلاح أي جميع النواحي المادية في المعركة) ويكتفون ذلك متناسين أثر القوة المعنوية في الحرب والتي تحتاج إلى شيء من التفسير والتأكيد.

وكما نعرف بأن هناك نظريتين لفكرة الحرب لمقياس القوة فالنظرية الأولى هي (الكم) العدد للمقاتلين الذين يشاركون في المعارك ضد عدوهم وأيضاً نسبة السلاح) وهذه كما ذكرت بأعلاه.

ولكن الغريب بأن العسكريين يعتمدون بمقارنتهم على مدى تفوق القوات من النواحي المادية فقط (نظرية الكم) ولا يؤكدون ولا يدققون في نظرية (الكيف). العناصر المعنوية أو العقائد القتالية للأمة والجنود المقاتلين

ونوعياتهم وإمكانياتهم وقدرتهم وأهدافهم في القتال وإنجاز للمهام بفعالية وكفاءة عالية.

ونظرية الكم كانت سائدة قبل الإسلام: .وكان القائد دائماً يوفر عدداً وعدة لقواته حتى تكون محصلته النهائية النصر على عدوه والوصول إلى الهدف. وعندما ينقص عدد الجيوش كان يسد النقص من جنود مرتزقة أخذوا مهنة الجندية للكسب والعيش والولاء إلى لقمة العيش وليس إلى الله والوطن والدفاع عن الشرف.

والحروب الكثيرة التي قامت من قبل الإسلام تؤكد على تطبيق هذه النظرية وذلك بحشد قوات، متفوقة في العدد والعدة مقابل الخصوم، فنرى هانيبال عندما زحف على روما وصل عدد جيشه إلى خمسين ألفاً من الرجال وأربعين فيلاً، ولكن هذا الجيش ليس من جنس واحد وعقيدته القتالية غير ثابتة فقد كان الجيش يضم أجناساً مختلفة من الأسبانيين والإيطاليين واليونانيين، ومن قرطاجنة وليبيا. والأهداف والغايات للقتال عندهم كانت أهداف شخصية وعصبية وإقليمية، فالمنشورات التي كانت توزع على القبائل من هانيبال قوله (ستحصل كافة العشائر التي تشترك في هذا الجيش على الميزات نفسها التي ينعم بها القرطاجيون وسيسترد العبيد الذين يصحبون سادتهم حريتهم. وسيدفع هانيبال ثمن هذه الحرية لسادتهم) وقد اعتمد الإسكندر المقدوني أيضاً على الكثرة في الجيش، ففي أول غزوة له كان عدد الجيش أربعون ألفاً ويلبسون الدرع ويحملون رماحاً طويلة جداً تمثل القوة والبطش. وعندما جاء الإسلام اعتمد على **نظرية الكيف (النظرية الثانية من نظريات القتال)** وتعتمد هذه النظرية على نوعية الرجال وإمكانياتهم ومقدرتهم وأهدافهم في القتال) وطبق الجيش المسلم هذه النظرية في عهد النبوة فقد كان رسول الله (ﷺ) لا يتقيد بعدد محدود من الجنود بل كان التحديد يتوقف على عدد المسلمين والمؤمنين الداخلين فيه أصحاب العقيدة الثابتة والإيمان الكامل السليم. ولهذا بدأ بمجموعات قليلة مَن الذين آمنوا بالدعوة ودخلوا في الإسلام عن إيمان وعقيدة ثم أصبح يزيد بزيادة المؤمنين به ولذلك فعند وفاة رسول الله (ﷺ) عندما

اتسعت حدود الدولة الإسلامية وزاد مؤيدوها زاد عدد الجيش الإسلامي بالعدة والعتاد. وقد هذب الإسلام مبدأ المقاتل فهو يقاتل لإعلاء كلمة (لا الله إلا الله) وما تحوي هذه الكلمة من معاني التضحية والإيمان بالمبادىء والأهداف السامية والدفاع عنها ولقد أصبح الاهتمام موجهاً إلى المقاتل بشخصه وذاته فأصبح (يد قوية تحمل السلاح وقلب مؤمن يخفق من خلف السلاح، وعقل مفكر يدير وسائل استخدام هذاالسلاح)[1] وكان وعد الله الصادق بأن نتيجة الصبر وليس العدد يكون الفوز والنصر قوله تعالى: ﴿ كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين ﴾[2] ولقد خاض المسلمون الغزوات والمعارك الكثيرة والمتعددة جداً وأرسلوا دوريات القتال ولم يكن هناك تكافؤ بالعدد والعدة بينهم وبين خصمهم. ففي دوريات الاستطلاع الأولى قبل معركة بدر أرسلت سرية حمزة وهي عبارة عن مجموعة عددهم (٣٠) من المسلمين أمام ثلاثمائة من قوة المشركين. وفي غزوة بدر الكبرى كان عدد المسلمين (٣١٥) رجلاً ومنهم سبعون بعيراً وفرسان فقط أمام قوة المشركين التي تقدر بألف مقاتل وعلى الرغم من ذلك انهزم المشركون أمام المسلمين.

وكان أعداء الإسلام في هذه المعركة يعتمدون على كثرة العدد وهذا قائدهم يوضح ذلك حيث أهاب بقريش أن تخرج محتشدة بالعدة والعتاد لإنقاذ القافلة وصاح قائلاً: (أيظن محمد وأصحابه أن نكون كعيربن الحضرمي؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك». وفي أحد كان عدد قوات المسلمين (٧٠٠) رجلاً أمام قوات المشركين ثلاثة آلاف مقاتل وخرجت مع قريش عدد من النسوة قدرت بسبع عشرة امرأة منهن (زوجة عكرمة بن أبي جهل وبرزة بنت مسعود زوجة صفوان بن أمية، وسلافة بنت سعد زوجة طلحة ابن أبي طلحة).

وكتب للمسلمين النصر في البداية وفي المرحلة الأولى من المعركة ولكنهم فيما بعد خالفوا الرسول (ﷺ) وكانت النتيجة خلاف ذلك وغزوة الخندق شاهد آخر لقد كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل مقابل عشرة آلاف من المشركين

(١) المدرسة العسكرية الإسلامية محمد فرج.
(٢) سورة البقرة جزء الآية ٢٤٩.

(عدا اليهود من بني قريظة) وفي غزوة مؤته حيث كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مسلم مقابل مائة ألف من الروم، وهناك موقف خالد يوضح مفهوم القتال عند الإسلام وذلك عندما وصلت قوات المسلمين إلى معان.. وفي أثناء ذلك وصلت معلومات إلى المسلمين عن قوات الروم التي تفوقهم في العدد والعدة وهنا اختلفوا ماذا يعملوا إما أن يكتبوا إلى الرسول (ﷺ) حتى يطلعوه على الموقف أو يمضوا إلى القتال وهنا وقف القائد عبدالله بن رواحة وقال كلمته الحاسمة في الموقف الصعب (يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون (الشهادة) ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا.. فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة».

وغزوة حنين شاهد آخر فاعتمدوا على الكثرة في البداية ولكنهم لم يحققوا نجاح، وبالتالي صمد الرسول (ﷺ) وقلة معه حوالي ١٠٠ مسلم وحققوا النجاح ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾[١].

واليرموك شاهد آخر ودليل واضح فقد كان للروم أربعة جيوش، الجيش الأول تسعون ألفاً يقوده تيودريك، والثاني ستون ألفاً يقوده الفيفارابن نطوس، والثالث أربعون ألفاً يقوده الدراقص، والرابع خمسون ألفاً يقوده جرجة بن تدرا.. وبهذا كان مجموع الجيش مائتين وأربعين ألفاً، بينما كان عدد الجيش الإسلامي أقل من ذلك بكثير، إذ قدر بين أربعين ألفاً إلى خمسين ألفاً فقط، ومن خلال المشهد الذي جاء به رجل من المسلمين مخاطباً خالد بن الوليد وعلى مسمعه عندما رأى عدد الروم قال: «يا خالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين» فأجابه خالد «بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال»، والمحصلة النهائية لهذه المعركة هو نصر الإسلام والمسلمين. وفي أرض الأندلس شاهد آخر فالقائد طارق بن زياد قائد المسلمين التقى بجيش ردريق قائد الإسبان ولم يكن هناك تكافؤ لا بالعدد ولا

---

(١) الآية ٢٥ من سورة التوبة.

بالعدة ، حيث ذكر بأن جيش ردريق كان ستة أضعاف جيش المسلمين. . واستمرت المعركة ثمانية أيام والنصر النهائي كان للمسلمين والذي كان نتيجتها القضاء على قوة الإسبان هناك.

وأيضاً القائد عمرو بن العاص حيث دخل مصر (بأربعة آلاف مقاتل) اجتاز بهم مسافات طويلة جداً وكانت نقطة بدئه من العريش وهناك التقى في بلبيس مع أرطبون الروم الذي كان عدد جيشه (اثني عشر ألفاً) والنتيجة كانت نصر المسلمين وعمرو بن العاص هو الذي فتح عدة بلدان منها مصر وطرابلس ولم يكن تكافؤ مع خصمه لا بالعدد ولا العدة وسيف الدولة قاتل (بخمسمائة) من جنوده بقائد الروم (برز اس فوكاس) بعدد جيشه خمسون ألفاً وقاتل قتال الأبطال ضد عدوه مما جعل المتنبي يصف نتائج المعركة:

سراياك تترى والدمشق هارب وأصحابه قتلى وأمواله نهبي

وفي قوله:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقد أخذت عدة نظريات لدول متعددة من نظريات الإسلام الاهتمام بالكيف وليس بالكم ومنها فرنسا ممثلة في قائدها نابليون الذي كان يهتم بالفرد ونوعيته وكان جنوده متميزين في العقيدة والمعنويات ومن اعتزازه بهم خاطبهم قائلاً: (لا ريب في أنني أستطيع فتح العالم بهؤلاء الرجال). وقد أكد على الكيف بقوله: «إن نسبة القوى المادية إلى القوى المعنوية في المعركة هي ٣:١ أي ٧٥٪ للعنصر المعنوي و ٢٥٪ للعنصر المادي. ومونتجمري طبق هذه النظرية واهتم بنوعيات الرّجال وقد انتصر بهم في معظم المعارك وخاصة في العلمين ومن هنا تأكد (بأن كل مقاتل يقاتل من أجل شرف الإمبراطورية ولتاريخها وحفظ للشرف والكرامة) ومذكرات مونتجمري عن حرب الصحراء يقول فيها «كان قادة الجيش الثامن يعرفون الكثير عن القتال ولكنهم لم يكونوا يفهمون معنى الحرب، فالمفروض في الجنرالات أن يكسبوا المعارك، أما مادتهم

الخام فهي الرجال فالمعارك تكسب أولاً وبصفة رئيسية في قلوب الرجال، فعندما يخرج الأمر من أيدينا يتحول نهائياً إلى الجنود فإن النصر يعتمد على تدريبهم وعلى شجاعتهم وعلى رفضهم تقبل الهزيمة وعلى ثباتهم وصلابة كفاحهم وعلى تصميمهم على النصر أو الموت» وقد تكلم قادة آخرون في هذا المجال منهم فوش الذي قال: «إذا كانت الحرب مجالاً للقوى المعنوية والتي أحياناً لا يمكن قياسها فهي تشكل أساساً في الحرب وليس بعدد المقاتلين وقوة الأسلحة والتدريب». فالقتال هو صراع عقيدة وهذه العقيدة تفرض مواقف على المتحاربين وقلوب الرجال ومقدرتهم هي التي ينتج عنها النصر النهائي فقول أفلاطون عن أهمية ذلك (الرجال وليس الأحجار يصنعون سور المدينة). وحتى نتائج القتال تؤكد على المعنويات والعقائد للأمم فليس المغلوب من تكبد خسائر وإصابات من رجال وعتاد بل من تحطمت عقيدته ومعنوياته (والمعنويات هي العقيدة الكامنة في النفوس وقد أثبت تاريخ الأمم أن الجيوش لا تهزم لقلة مواردها بل لضعف عقيدتها)[1] إن كل هؤلاء القادة الذين أكدوا على نظريات الكيف بمعنويات الجند وعقيدتهم القتالية درسوا تاريخ الإسلام دراسة متكاملة وافية وأخذوا منه كل شيء فكانوا يوصون جنودهم أتباع دراسة تاريخ الأمم وحروبها الطويلة وصدق من قال (ينكر فضل الإسلام وتنسب محامده إلى غير أهله)[2].

وقال الله عز وجل: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ولم يقل ما استطعتم من عقيدة. فيجب أن يدخل الجندي ميدان القتال وهو مهيأ مائة بالمائة بعقيدة قتالية صالحة وما استطاع من قوة من إمكانيات البلد المادية المتوفرة.

فهنا اقترح أن يركز عند مقارنة قوى الجيوش على عقيدة الأمة للقتال والنواحي المعنوية وإن تؤخذ بالحسبان نوعية الجندي المقاتل وصلابته في المواقف وتمسكه بعقيدته وحبه للتضحية وهو ما يسميه العسكريون روح القتال (Spirit Fighting)

---

(١) بين العقيدة والقيادة لمحمود شيت خطاب ص ٣٤.

(٢) المدرسة العسكرية الإسلامية محمد زج ص ٤٣.

القيادة لمعارك وغزوات الإسلام
والتزامها بأهداف ومبادىء عقيدة القتال

كانت القيادة في الإسلام موجهة نحو هدف محدد هو خدمة العقيدة القتالية في الإسلام والقائد الأول للإسلام هو محمد (ﷺ) ذلك النبي المقدام الذي استطاع أن يملأ العالم كله تضحية وجهاداً حيث انطلق في بلاد الله ليحمل الإسلام رسالة وأمانة وهدف سامي يدافع عنه بكل ما يملك، ولقد بنى مجد أمته بكد وعرق ودموع ودم نظيف شريف واستطاع أن يبنى دولة الإسلام ذات الحدود الواسعة من الصين إلى المحيط الأطلسي. فمحمد (ﷺ) قائد الإسلام لا يفوقه قائد ولقد حاولوا عمل مقارنة بين قادة العصور الماضية والحاضرة ومحمد (ﷺ) فاقـهم جميعاً لأنه دائماً يمثل القمة التي لا يرقى ولا يصل إليها آخرون فقد فاق بالمقارنة على نابليون لأنه لا توجد قضية وأمر في الحرب تنبه له نابليون إلا سبقه فيه محمد (ﷺ) مع مقارنة الإمكانيات المختلفة. فالرسول بدأ حياة دولته بجيش بإعداد قليلة جداً وهي ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً محاط بها الأعداء من جميع الجوانب واستطاع أن يخضع الجزيرة العربية كلها وعلى أطرافها الدول العظمى في تلك المنطقة وهي دولة الفرس والروم كل ذلك بزمن قصير خلال ثلاث وعشرين عاماً من الجهاد والنضال وواصل العقاد المقارنة (ولا تعني المقارنة بالتساوي حاشا ذلـك) ولكن من باب معـرفة المميزات. وعمل المقارنة مع نابليون وأكد بأن معظم خططه كانت مأخوذة من خطط النبي (ﷺ) وكان يعتبر نابليون بأن نسبة القوة المعنوية إلى الكثرة العددية كنسبة ثلاثة إلى واحد، وكان رسول الله (ﷺ) ينظر إلى القوة المعنوية بأنها قوة الإيمان وعقيدة القتال عند المسلم وكانت النسبة تصل أحياناً كنسبة خمسة إلى

واحد (ومعجزة الإيمان هنا أعظم جداً من أكبر مزية بلغها نابليون بفضل ما أودع نفوس رجاله من صبر وعزيمة، فالنبي عليه السلام كان يحارب عرباً بعرب وقرشيين بقرشيين، وقبائل من السلالة العربية بقبائل من تلك السلالة، فلا يقال هنا أن الفضل لقوم على قوم في المزايا الجسدية أو المزايا النفسية كما يمكن أن يقال هذا في جيوش نابليون. وكل فضل هنا فهو فضل العقيدة والإيمان)[1].

وطبق القائد محمد (ﷺ) هذه العقيدة العظيمة في كل غزواته فمواقفه مشهودة ومعروفة فقد شهد بشجاعته في غزوة بدر علي بن أبي طالب حيث قال: (إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله (ﷺ) فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتنا يوم حنين ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو). فقيادة محمد (ﷺ) قريبة من العدو وهو ملجأ يلوذ به الجند لا يبعد عنهم بل يشاركهم القتال، فيكفي أيها القادة أن تعرفوا كيف يكون القائد صاحب العقيدة الخالدة وكيف يتصرف مع الجنود والأشياء بمبادىء واضحة مبنية على أسس خالدة. وموقفه في غزوة أحد معروف مشهور حيث جعل الجبل إلى ظهره وأقام على الشعب وقد خاطب الرماة مشدداً على صمودهم في المكان قائلاً: (احموا ظهورنا فإنا نخاف أن يجيئوا من ورائنا وألزموا مكانكم لا تبرحوا منه. وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم. وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا. وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل) وعندما استطاع خالد بن الوليد من الالتفاف وإلحاق الخسائر في صفوف المسلمين استطاع النبي (ﷺ) أن يجمع قواته واستطاع أن ينسحب بها بأقل تكاليف وخسائر، وفي اليوم التالي لاحق فلولهم وطاردهم ومع هذا كانت غزوة أحد فشلاً سوقياً للمشركين لأنها لم تتحقق أهدافهم (لأن نتيجة كل معركة عسكرياً لا تقاس بعدد الخسائر بالأرواح فقط بل تقاس بالحصول على هدف القتال الحيوي وهو القضاء المبرم على العدو مادياً ومعنوياً)[2]. وغزوة الخندق شاهد آخر على قدرة هذا القائد العظيم فقد قسم

(١) الرسول سعيد حوي ص ٢٥٠.

(٢) الرسول القائد محمود شيت خطاب.

منطقة الحفر على أصحابه لكل عشرة منهم أربعين ذراعاً وشاركهم في الجهد والعمل كإنسان وفرد في دولة الإسلام بل زيادة عن ذلك كان المسلمون يستعينون به عندما تصادفهم العقبات الصعبة أثناء الحفر فيحفر بيده ليزيلها. وغزوة الحديبية حيث دل الصلح على بعد النظر للقائد محمد (ﷺ) الذي يدرك الأمور قبل وقوعها وهذا ما عبره أبو بكر قائلاً وموضحاً موقف المسلمين (لم يجلب نصر للإسلام ما جلب صلح الحديبية) وقد أنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾(١).

وفي غزوة مؤته عندما خرج المسلمون في السنة ٨ هـ ودعمهم النبي (ﷺ) والمسلمون وأوصاهم (ألا يقتلوا النساء والأطفال ولا المكفوفين وإلا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار). وهذه كلها نابعة من عقيدة القتال في الإسلام وسار الجيش وقاتل ثم انسحب حتى وصل إلى المدينة ليستقبلهم أهل المدينة وقاموا يحثون التراب على وجوههم قائلين لهم: يا فرار أفررتم من سبيل الله ولكن الرسول القائد أجابهم: (إنهم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل). وغزوة حنين وموقف النبي (ﷺ) عندما ثبت مكانه وثبت معه عشرة من آل البيت من بني هاشم ومن المهاجرين بينهم عمه العباس وأخذ الرسول ينادي عندما انهزم المسلمون (أين أيها الناس؟ أين.. هلموا إليّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله» فلم يرد عليه أحد!! وكرر العباس النداء ومن ثم اجتمع حول الرسول مائة مسلم صائحين لبيك يا رسول الله وصمد الرسول العظيم ومن معه مما قلل من خسائر المسلمين في تلك المعركة فقائد المسلمين في هذه الغزوة صمد في القتال وقائد المشركين أول المنهزمين وهو مالك بن عوف. هذه كلها مواقف لرسول الله (ﷺ) أما قادة الشرك من رجالات قريش من أمثال أبي سفيان، وعينيه بن حضر والحارث بن عوف، ومسعر بن رخيلة، ومالك بن عوف وقادة اليهود سلام بن شكم، وقادة الروم والفرس هرقل وكسرى كلهم قادة تنقصهم العقيدة الصحيحة ويقاتلون أهواء وميولاً وعصبية جاهلية وتنقصهم صفات القيادة ويدل على طيشهم ولا أباليتهم قول أحد قادة الشرك

(١) سورة الفتح آية ١.

وهو أبو جهل (ننحر الجزر، ونّطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف القيان فتسمع العرب بمسيرها فيها يومنا أبداً بعدها). هل هذه أهداف قادة؟ يدعون بأنهم يحافظون على تماسكهم وهيبة حكمهم. وإن أهداف الباطل واحدة وممتدة على مر الأزمان والعصور فقادة العدو الإسرائيلي يحملون الآن نفس المبادىء وما كتب من تعاليم لهم في بروتوكولات حكماء صهيون شاهد ثابت ودليل،. فأئمة الكفر متشابهون متماثلون في نظرتهم على مرّ العصور، ومهما امتدت الأيام طالت الأزمان أما معارك الإسلام فكل أهدافها سامية من أجل الإسلام وفي سبيله فمعركة اليرموك، وعين جالوت وكل معارك الإسلام في أي موقع ومكان وزمان أهدافها صادقة ومنطلقة من مبادىء العقيدة القتالية في الإسلام، وكانوا قادة الإسلام يشقون طريقهم رغم الصعوبات التي يواجهونها لأن اجتماع أعداد قليلة في ميدان معركة صعب جداً.

وكانت الحروب يديرها قادة الإسلام بالفم والإشارة بينها تدار الحرب الآن بالأجهزة الحديثة، وإن تنقل جنود على ظهور الخيل والإبل أصعب من نقلهم بالطائرات ووسائل الإنزال المختلفة وإن المدفع أمضى وذو فعالية أكثر من السيف (لكننا إذا نظرنا إلى فكرة القائد، أمكننا أن نعرف كيف أن توجيه ألف رجل قد تدل على براعة في القيادة لا نراها في توجيه مليون بينهم الراجل والراكب ومنهم من يركبون كل ما يركب من مخلوقات حية وآلات مخترعة) كل هذا يدل على أن قيادة محمد (ﷺ) موجهة نحو الأهداف السامية للإسلام بخدمة العقيدة القتالية في الإسلام) وقد كان الأسوة الحسنة للمسلمين في القتال والسلم فقد ناشد ربه في أول غزوة صراع بين عقيدتين ألا وهي غزوة بدر قائلاً (اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: «يا نبي الله، بعض منا شدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك) وأول لقاء قتال أحب أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه فقال: (يا بني هاشم! قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله» وكيف ضحى في غزوة أحد حيث جرح كقائد متقدم في القتال وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه). وقد انحنى تواضعاً وإجلالاً في غزوة الفتح

حينما دخل مكة وفاضت عيناه بالدمع شكراً متواضعاً لله ولا ننسى خطبته الخالدة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحدة إلا كل مأثره أو ذم أو ما يدعي فهو تحت قدمي هاتين إلَّا سدانة البيت وسقاية الحاج. . يا معشر قريش! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء، الناس من أدم وآدم من تراب: ﴿ يا أيها النلس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾. . يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم»؟ قالوا خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1].

كل هذه الأمثلة تدل على أنه يسير ويتقيد بعقيدة القتال في الإسلام الذي وصفها الله عز وجل وكان قائداً ممتازاً في عصره وصالح لكل زمان (وهذه الفكرة هي التي ترينا محمداً عليه السلام قائداً حربياً بين أهل زمانه بغير نظير في رأيه وفي الانتفاع بمشورة صحيحة، وتبرز لنا قدرته النادرة بين قادة العصور المختلفة في توجيه كل ما يتوجه على يدي قائد من قوى الرأي والسلاح والكلام. وهذه القدرة هي شهادة كبرى للرسل تأتي من طريق الشهادة للقائد الخبير بفنون القتال)[2] إنه قائد بمعنى الكلمة وبكفي شهادة الحق ﴿ وإنك لعلي خلقٍ عظيم ﴾[3] وكم بذل وضحى لأن الإسلام عقيدة وعمل، وتضحية وجهاد بالأموال والأنفس ويتساءل محمود شيت خطاب في هذا المجال قائلاً: (أيضحي إنسان بماله ونفسه وأهله وقومه مثل هذه التضحية؟! أيجاهد رجلاً بما يملك من مال ونفس وغال ورخيص مثل هذا الجهاد؟! أيستطيع أحد أن يتحمل كل هذا البذل والتضحية والجهاد! إن المرء حين يستوعب هذه (الأمثلة) الرائعة المذهلة من بذله وتضحيته وجهاده، يكاد يصعق بروعتها وبهائها وجلالها، فكيف به لو استوعب كل تفاصيل ما بذله من تضحية وجهاد في سبيل الله؟؟)[4].

---

(١) الطليق: الأسير.

(٢) الرسول سعيد حوي ص ٢٥٨.

(٣) سورة ن ٦٨.

(٤) بين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب.

ولقد طبقت قيادة المسلمين ورعيتهم هذه المفاهيم في معاركهم وغزواتهم حسب تعاليم الله عز وجل ورسوله عليه السلام وتمشوا مع أهدافها العظيمة فمواقف عمار بن ياسر وأمه وأبيه من المستضعفين الذين اشتدت قريش في تعذيبهم فكان بنو مخزوم يخرجون بهم إذا حميت الشمس يعذبونهم في الرمضاء ويمر بهم رسول الله عليه السلام وهم في العذاب من أجل رسالة الإسلام فيقول لهم: صبراً آل ياسر. فإن موعدكم الجنة. وكانت نتيجة التعذيب أن مات ياسر وبقيت سمية صابرة محتسبة لا تقول كلمة الكفر فقتلوها وأما عمار فكان يعذب بكي النار وبقي موقفه صابراً محتسباً مجاهداً لله. وقد كان أمية بن خلف يعذب بلالاً فإذا حميت الشمس ألقاه على ظهره في مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة وتوضع على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فلا يزيد بلال على قوله: أحد أحد فيمر به ورقة بن نوفل فيقول: أحد أحد والله يا بلال. ومر به أبو بكر فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين، حتى متى تعذبه؟ فقال له أمية: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فاشتراه أبو بكر وأعتقه ونرى في غزواتهم في غزوة بدر عندما أخبر الرسول (ﷺ) أصحابه طالباً مشورتهم قام المقداد بن عمرو وقال (يا رسول الله! أمضِ لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى «برك الغماد» لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه) فجنود الإسلام ينفذون التعاليم الدينية وهم مستعدون لأن يكتبوا اسم العقيدة القتالية بدمائهم وبالمقارنة مع بني إسرائيل المتخاذلين عن أداء الواجب. (الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون) (الرب يحارب عن إسرائيل) وموقف آخر في هذه الغزوة لخدمة هذا المفهوم العظيم للعقيدة القتالية في الإسلام فعندما أحس وشعر الأنصار أن الرسول عليه السلام يريد سماع رأيهم قام سعد بن معاذ وقال: (لكأنك تريدنا يا رسول الله؟) فقال: «أجل!» قال سعد».

(لقد آمنّا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ لما أردت فنحن معك.

فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله» لقد آمنوا بالله ورسوله وهم مستعدون للتضحية في سبيل الإسلام وماذا يريد الرسول إلى عزة الإسلام والمسلمين فمبادىء الرسول واضحة وهدف الإسلام واضح ومميز.

روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «إني لفي الصف الأول يوم بدر إذا التفتّ فإذا عن يمني ويساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، فقال لي الآخر: سراً من صاحبه مثله قال: فما سرّني أنني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء».

قال أبو ذر قلت: يا رسول الله: إني أريد أن أظهر ديني فقال رسول الله: أخاف عليك أن تقتل، قلت لا بد منه وإن قتلت قال: فسكت عني فجئت وقريش حلقاً يتحدثون في المسجد فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فانتفضت الخلق فقاموا فضربوني حتى تركوني كأني نصب أحمر وكانوا يرون أنهم قد قتلوني فأفقت فجئت إلى رسول الله عليه السلام ليرى ما بي من الحال فقال لي: ألم أنهك. فقلت: يارسول الله كانت حاجة في نفسي قضيتها» لقد كانوا يفتدون عقيدتهم العظيمة بالمهج والأرواح والدماء مهما كلفهم من ثمن ومهما عزت التضحيات وبلغت ولا يثنهم عن ذلك أي عذاب وصدٍّ ومهما بلغت قوى الكفر من غي وطغيان عن أبي رافع قال: (وجه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جيشاً إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب رسول الله عليه السلام فأسره الروم فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا له: إن هذا من أصحاب محمد (ﷺ) فقال له الطاغية هل لك أن تنتصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبدالله: لو أعطيتني ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد (ﷺ) طرفة عين ما فعلت. قال: إذاً أقتلك قال: أنت وذاك فأمر به فصلب. وقال للرماة: ارموه قريباً من

يديه قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى، ثم أمر به فأنزل ثم دعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يلقى فيها فلما ذهب به بكى فقيل له: إنه قد بكى فظن أنه جزع فقال: ردوه فعرض عليه النصرانية فأبى، فقال ما أبكاك إذن؟ فقال أبكاني أني قلت في نفسي تلقي الساعة في هذا القدر فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفسي تلقي في الله فقال الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال له عبدالله: وعن جميع أساري المسلمين؟ قال: وعن جميع أساري المسلمين قال: وعن جميع أساري المسلمين قال عبدالله، فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبل رأسه يخلي عني وعن أساري المسلمين لا أبالي، فدنا منه فقبل رأسه فدفع إليه الأساري فقدم بهم عمر (رضي الله عنه) فأخبر عمر بخبره فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ فقام عمر فقبل رأسه».

وقد كانت العزة والهيبة تملأ قلوبهم وضمائرهم أينما ذهبوا وحيثما اتجهوا وهم ينشروا أهداف الرسالة المقدسة بأمانة وإخلاص وشرف فلقد أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم فدخلوا عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحرير وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة، وعليه تاج وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب قديمة ممزقة وترس وفرس قصيرة. ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل عليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم إئذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وعن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسة

وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون جلوس وقد قال عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك فلما انتهينا من عنده من المجلس طلبوا من الرهبان بقولهم: اسجدوا للملك فقال جعفر لا نسجد إلا لله.

وهم أمام وعد الله يستهينون بقوة العدو مهما تكاظمت هذه القوة ومهما ظهر العدو متكبراً ومتجبراً وهناك وصف دقيق يؤكد ذلك فلقد وضعوا موافقهم من قوة العدو بقولهم (إذا شاهدوا سهام العدو قد فوقت وسيوفه قد انتضيت وبانت الكتيبة وانطوت بصواعق الموت استهانوا بوعيد الكتيبة لوعد الله عز وجل فمضى الشاب منهم قدماً حتى تختلف قدماه على عنق جواده، قد ملأت محاسن وجهه بالدماء فكم من مقلة في فم طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله، وكم من كف بانت عن معصمها طالما ركع به لله... وكم من جبين رقيق قد فلقت بعمد الحديد).

وخالد بن الوليد الذي حقق الإنتصارات الكثيرة والكبيرة في تاريخ الإسلام يتلقى عزله بروح إسلامية فقد سلم القيادة إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم قال لحامل البريد الذي جاءه بأمر العزل «بلغ أمير المؤمنين أن من حقه أن يعزلني عن القيادة ولكنه لا يملك أن يجردني من سيفي، فسأظل حاملاً هذا السيف في خدمة أمتي» وظل خالد يقاتل في المعركة كأي جندي يطيع الأوامر العسكرية وينفذها. كل هذا نتيجة الإيمان العميق في قلب خالد وتطبيقه إلى عقيدة القتال في الإسلام التطبيق الجيد الصحيح.

وعندما كان سعد بن أبي وقاص والياً في العراق اهتم بعقيدة القتال عند الجند وتطبيقها فقد جند جماعة منهم عاصم بن عمرو بن معدي كرب والمغيرة، ومن شعراء العرب مثل الحطيئة وعبدة بن الطيب وخاطبهم قائلاً: «انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس، فأنتم من العرب بالمكان الذي أنتم به... أنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم، وأنتم سادتهم فسيروا في الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال» وقد طبق هؤلاء هذه التوجيهات وخاطبوا العرب جميعهم فقد قال عاصم بن عمرو «يا معاشر العرب، إنكم أعيان العرب، وقد صمدتم لأعيان العجم وإنما

تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم. أحوط منكم على آخرتكم، لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون به شيناً على العرب غداً» ونذكر أيضاً خطاب أحد بني معد مخاطباً جماعته «يا معشر معد اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليها كأسود الأجم، وتربدوا لهم تربد النمور، وأدرعوا العجاج، وثقوا بالله وغضوا الأبصار فإذا أكلت السيوف فأرسلوا عليها الجنادل، فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه» ونذكر هنا صوت طليحة في معركة القادسية مخاطباً المسلمين «شدوا ولا تصدوا وكروا ولا تفروا شدوا عليهم باسم الله» ويكفي أن نذكر بطولات القعقاع بن عمرو الذي قتل بهمن جاذوبة وقتل معه واحد وثلاثين رجلاً.

ودلالة على قوة العقيدة عند المسلمين وتطبيقهم لأهدافها العظيمة تناسى الإنسان أعز الناس في سبيلها، حيث التقى الآباء بالأبناء والإخوة بالأخوة والأهل بالأهل (خالفت بينهم المبادىء ففصلت بينهم السيوف) حيث تمكن علياً من أخيه عقيل فقاتله، وكذلك حمزة قاتل أخاه وكذلك عبدالله بن عبدالله بن أبي الذي أتى إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال له: «يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما يبلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني وإني لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار» وكان هذا الموقف في غزوة بني المصطلق لكن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقبل إلا إحسان صحبته ما دام معهم. وكذلك موقف آخر عندما سحبت جثة مقتول (أبو حذيفة) عتبة لتدفن في القليب شاهد النبي (ﷺ) ولده حذيفة فإذا هو كئيب قال له: (يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء) قال حذيفة: (لا والله يا نبي الله فما شككت في أبي ولا في مقتله ولكني كنت أشاهد في أبي علماً وفضلاً وتمنيت أن يهدي الله قلبه إلى الإسلام). كل هذه المواقف والأعمال تطبيق إلى هذه المفاهيم الخالدة فقد كانوا يلتقون بزعماء العالم ويقفون منهم مواقف الأبطال، يقولون كلمة الحق ولا يخشون إلا ربه الله عز وجل فقد التقى رستم قائد جيش

الفرس بالمغيرة فسأله «إنكم تموتون فيما تطلبون» فقال المغيرة: «يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار، ويظهر من بقي منا على من بقي منكم» والتقى المقوقس صاحب مصر بعبادة بن الصامت فخاطبه عبادة قائلاً: «ما من رجل إلا ويدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا أهله وولده وليس لأحد منا هم فيما خلفه، وقد استودع كل منا ربه وأهله وولده وإنما همنا ما أمامنا».

ومواقف طارق بن زياد في وادي بكة ضد الأندلس عندما قاتل جيش عدوه الذمي كان يتفوق عليه ستة أضعاف وقد أرسل ردريق من يجمع له أخبار عن المسلمين فجاءه يقول له: «شهدت معسكر المسلمين، لقد جاءك منهم من لا يريد إلا الموت أو إصابة ما تحت قدميك، قد حرقوا مراكبهم إياساً لأنفسهم من التعلق بها وصفوا في السهل موطنين أنفسهم على الثبات، إذ ليس لهم في أرضنا مكان مهرب». وما لكلمات القائد العظيم مخاطباً جنده قائلاً لهم: «لقد استقبلكم عدوكم بجيش كبير وأسلحته وقواته موفورة، وأنتم لا ملجأ لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه لكم من أيدي عدوكم، إني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم ردريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فأحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه» وقد استمرت المعركة ثمانية أيام وقد كتب فيها للمسلمين والإسلام النصر العظيم المؤزر.

أما خلفاء رسول الله عليه الصلاة والسلام فلقد طبقوا كل ما علمهم إياه صاحب المدرسة العسكرية الإسلامية محمد عليه الصلاة والسلام بدقة واتقان فلقد بدأ أبو بكر رضي الله عنه عهده بقوله: (لقد وليت عليكم ولست بخيركم: فإن أحسنت فأعينوني. وإن أسأت فقوموني. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. وقد حافظ على الإسلام ومبادئه فقد قال لأصحابه (والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام لقاتلتهم على حقه وقد طبق مفاهيم هذه العقيدة العظيمة برسالته إلى

خالد بن الوليد الذي كان قائداً للواء الأول الذي كلف بقتال طليحة ومالك بن نويرة قائلاً فيها: «يا خالد عليك بتقوى الله وإيثاره على من سواه والجهاد في سبيله، والرفق بمن معك من رعيتك، فإن معك أصحاب رسول الله (ﷺ) أهل السابقة من المهاجرين والأنصار فشاورهم فيما نزل بك، ثم لا تخالفهم، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً عن الحملة، فإني لا آمن عليك الجولة.

واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء، وقدم أمامك الطلائع، ترتد لك المنازل وسر في أصحابك على تعبية جيدة، واحرص على الموت توهب لك الحياة ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات فإن في العرب غرة، وأقلل من الكلام وأقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سريرتهم، وإذا أتيت مصلياً فامسك حتى تسألهم عن الذين نقموا ومنعوا الصدقة، فإن لم تسمع آذاناً ولم ترى مصلياً شن الغارة فاقتل وأحرق كل من ترك واحدة من الخمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت، حتى إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع، وإذا ألقيت أسداً وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك وبعضهم لا لك ولا عليك، متربص دائرة السوء، ينظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة، فاستعن بالله على قتالهم فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم، فإن كفاك الله الضاحية فامض إلى أهل اليمامة، سر على بركة الله».

فقائد المسلمين يدعو قائد قواته إلى التمسك بالعقيدة وتقوى الله فإنها خير زاد والتمسك بالجهاد في سبيل الله ويعتمد على الله في قتاله ويدعو إلى أمور هامة جداً يجب أن يعيها كل قائد والرسالة الثانية بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص قائد قوات المسلمين في العراق قائلاً فيها: «إني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم

قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وإلا ننصر علبهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم، اسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم. وترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشهم سيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم يقض قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع.. وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون بها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا يرزأ أحد من أهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فإن صبروا لكم فتولهم خيراً ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح. وإذا وطئت أرض العدو فاذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عيناً لك، وليكن منك عند دنوك في أرض العدوان تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم وتثق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد، ولا تخص بها أحداً تهوي فتضيع من رأيك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك وأجمع مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم بالمناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك.. ثم أذك أمراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك، والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم، والله المستعان والحمد لله رب العالمين».

فقد تضمنت هذه الرسالة مبادىء خالدة صالحة لكل زمان ومكان فأمره بتقوي الله عز وجل وهي خير العدة والعتاد فهي تزيد الإيمان وتدفع إلى النصر، وأيضاً يطلبه أن يبعد هو وجنده عن المعاصي، لأنه لا يعقل أن يقاتل المسلم لإعلاء كلمة الله ويعصيه وما الهزائم والنكسات التي لحقت بالمسلمين إلا نتيجة معاصي الجند لأنهم استووا بميزان واحد مع معاصي عدوهم وقد زادوا عليه أيضاً، وفي الرسالة دستور خالد لمبادىء عظيمة على كل قائد أن يعيها جيداً وأن يتنبه لها حتى توصله إلى النصر.

بهذا كان المسلمون قادة وجنوداً أوفياء لله مخلصين لعقيدته، صادقين في توجههم لتبقى عقيدتهم مصانة على مر الأزمان والعصور.

وقد كانت حياتهم توبة مجاهد وصوت ضمير وصدق من قال: (لقد أقبلوا على الإسلام والدنيا عنه في أدبار فجاهدوا وتركوا الدنيا يوم كانت على الإسلام في إقبال فماتوا واستشهدوا). (لقد بنوا دين الله على أكتافهم، ومضوا قبل أن تقبل الدنيا على الإسلام) حتى وصف رسول الله (ﷺ) أحدهم وهو سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب بقوله: (جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب من أهل السموات السبع أسد الله وأسد رسوله).

هكذا عاشوا سعداء وماتوا شهداء.

الأهداف من معارك وغزوات المسلمين
وانسجامها مع مبادىء وأهداف عقيدة القتال

تمهيد:

١ ـ لقد كانت العقيدة القتالية في الإسلام هي: «الجهاد لله» وما تحوي هذه الكلمة من معاني عميقة وخالدة، وقد طبق المسلمون هذا المفهوم في ميادين القتال والغزوات والمعارك التي خاضوها وبذلوا من أجلها الأرواح رخيصة وسالت دماؤهم الزكية بما آمنوا به قولاً وعملاً.

٢ ـ لقد هذب الإسلام فكرة الحرب فلم يشن القتال لأسباب شخصية ودوافع عصبية وإقليمية، بل لحماية الدين والأوطان لأن الإسلام في حقيقته للصالح العام ولجميع الناس على مختلف أماكنهم ومواقفهم وقد وضع الإسلام أسباب محددة وغايات نبيلة للقتال سنشرحها بالتفصيل وكما يلي:

أ ـ **حماية الدين:** (حماية حرية نشر الدعوة) فإذا كان أصحاب العقائد الباطلة يدافعون عنها ويضحون من أجلها، فأولى بالمسلم أن يدافع عن عقيدته الصادقة التي هي على هدى ونور وحق فلا عزة لدين بدون أهله، ومع كل هذا فهدف الإسلام حماية حرية نشر الدعوة (ليس من أهداف الحرب في الإسلام نشر الدعوة، بل حماية حرية نشرها، لأن نشر الدعوة بالقوة معناة الإكراه)[1] وقد بين الله عز وجل بأن لا إكراه في الدين ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من

(١) الرسول القائد محمود شيت خطاب ص ٢٠.

الغي ﴾. فالإسلام لم يبدأ بالاعتداء والدليل على ذلك في بداية الدعوة لم يسمح النبي (ﷺ) في القتال مع إلحاح وطلب أصحابه لذلك ولكن عندما دعت الحاجة لذلك ومن أجل أن يكون خالصاً لله عز وجل استجاب الله لطلبهم حيث قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾[1] وهنا وقف النبي (ﷺ) بعد أن كان يمنع أصحابه من القتال قائلاً «لقد أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى».

فالحرب في الإسلام حرب دفاعية لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء قال تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ وهي حرب لحماية حرية نشر الدعوة في الإسلام ومطلوبة من المسلم حتى تصل إلى جميع البشر والناس كافة، لأن الإسلام دين لجميع الأجناس قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[2].

ب ـ **حماية الأوطان (توطيد أركان السلام)**: لا شك بأن لكل أمة من الأمم وكل شعب من الشعوب وطناً يدافع عنه ويحميه كما يحمي أبناءه ونساءه فالقتال والجهاد في الإسلام هو المفتاح الذي فتحنا فيه العالم بكل قوة وبطولة ونرى بأن الأمة بغير جيش قادر وفعال يطمع فيها الخصم، وبجيش قادر تُهاب وتصان كرامتها وتحترم إرادتها بين الأمم قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم. الله يعلمهم، وما تنفقوا في شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون﴾[3]. فالقتال كان محرماً قبل **الهجرة** وبعد **الهجرة** نزلت أو ل

(١) الأنفال الآية ٣٩.
(٢) سبأ الآية ٢٨.
(٣) الأنفال الآية ٦٠.

آية تحث الناس على القتال ﴿ إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا إن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً وينصرن الله من ينصره إن الله آلقوي عزيز ﴾[1] . ثم بين القرآن واجب المسلمين بعد النصر بمنع الظلم والإثم وإقامة الحق والعدل قال تعالى: ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾[2].

حـ ـ حماية المستضعفين: حض القرآن على القتال لمقاومة الظلم والبغي وتحرير المستضعفين الذين كانوا يعذبون من رجالات رسول الله (ﷺ) ومن المسلمين حتى يجبروا على ترك الإسلام ويدهم وألسنتهم بالشكوى والدعاء والطلب من الله عز وجل لنصرتهم ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولّياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾[3] فلدفع الظلم واستنقاذ وإغاثة للمظلومين والانتصار لهم من ظالميهم فرض القتال قال تعالى: ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ﴾[4].

٣ ـ لقد طبق المسلمون في قتالهم ومعاركهم هذه الأهداف فنجد بأن الهدف من غزوة بدر الكبرى والتي وقعت في ٢ هـ أن يترك لهم حرية نشر الدين الإسلامي والدعوة إليه أما أهداف الخصم فهو منعهم من ذلك والقضاء على قوات المسلمين والأخذ بثأر عمرو بن الحضرمي وحمايةً القافلة التجارية المتجهة من الشام وتسمع بهم العرب مفاخرة وعزة ولتعترف بقوتهم

---

(١) الآيتان ٣٩، ٤٠ سورة الحج.
(٢) آية ٤١ من سورة الحج.
(٣) آية ٧٥ من سورة النساء.
(٤) آية ٧٢ سورة الأنفال.

ونلخص أهدافهم على لسان أحد قادتهم أبو جهل (ننحر الجزر ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف القيان فيسمع العرب بسيرها فيها بوننا أبداً بإعدادنا) فهذه أهداف طائشة وعصبية بغيضة لا يليق بمقام من يدعي أنه قائد أن يتكلم بهذه المفاهيم، ولكنه الباطل والضلال لا مبادىء والأهداف سامية. وفي معركة بدر كان عدو المسلمين وعدتهم أقل من خصمهم بكثير ونرى كيف دعا إليهم محمد رسول الله (ﷺ) قائلاً: «اللهم إنهم ضعاف فقوهم، اللهم إنهم قلة فكثرهم، اللهم إنهم عالة فاحملهم، اللهم إنهم كما ترى فانصرهم» فلم يصبهم الغرور ولكن بقتال التواضع المطمئن لنصر الله عز وجل والخطاب الخالد الذي ألقاه عليهم شارحاً فيه أسباب وحقيقة النصر قائلاً: (انظروا الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وأعزكم به بعد ذلة، فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد. وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم. إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا وعليه توكلنا، وإليه المصير» فشتان ما بين أهداف أعداء الإسلام وأهداف المسلمين فالإسلام يدعو إلى الخير كل الخير، وأعداؤه يدعون إلى الشر والضلال.

ونحن ضد من يقول بأن سبب معركة بدر للحصور على قافلة قريش ولكن نسأل لقد فاتتهم القافلة ومع ذلك قاتلوا وفي هذه المعركة كانت كلمة التعارف في القتال هي كلمة أحد... أحد من أجل الله ووحدته لا من أجل فلان من الناس ولا من أجل الطائفة والحزب الفلاني والانتماء إليه.

وشاهد آخر على تطبيق الأهداف من قبل المسلمين في معركة أحد حيث كان الهدف للإسلام الدفاع عن المدينة وصد قريش عنها حتى تتوفر لهم الحرية الكاملة لنشر الدعوة إلى الإسلام بحرية وسلام وأمن وطمأنينة بعكس أهداف المشركين في هذه الغزوة حيث كان هدفهم أخذ ثأرهم من المسلمين في معركة بدر وذلك لاستعادة كرامتهم وشرفهم فخراً واعتزازا بين القبائل العربية.

وأهداف المسلمين في غزوة الخندق هو الدفاع عن الإسلام، والمشركون واليهود هدفهم القضاء على المسلمين وانتهاب أموالهم.

وأهداف المسلمين في غزوة الحديبية هي إظهار قوة المسلمين لقريش والقبائل المجاورة والتي أتت للحج وذلك لتعظيم دعوتهم والتعلق بها وتعظيم المسلمين للبيت الحرام وأهداف قريش هي صد المسلمين بالقوة عن البيت الحرام وحتى لا تتحدث العرب عن دخول المسلمين إليه بالقوة وهذا يقلل من مكانتهم واعتبارهم.

وأهداف المسلمين واضحة أيضاً في فتح مكة وذلك للاستيلاء على هذا المكان الهام والمقدس الذي لها شأن عظيم عند المسلمين ومنها انتشر الإسلام والقادسية أيضاً لقد كانت أهداف المسلمين من أجل انتشار الإسلام وكان المفاوض يطالب إما بالإسلام أو القتال لا مفاوضة إلا بهؤلاء.. وكل معارك وغزوات المسلمين كانت أهدافهم محددة ضمن مبادىء العقيدة القتالية الإسلامية الخالدة العظيمة بأصولها ومعانيها وأهدافها السامية لا يأتيها الباطل، فهي كاملة خالدة مقدسة على مر الأجيال والأزمان.

٤ ـ إن أهداف القتال في الإسلام وضعت ضمن منهج محدد ثابت من أجل حماية حرية نشر الدعوة الإسلامية ومن أجل حالة الدفاع عن النفس قال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾[١].

وحالة رد الاعتداء ودفع العدوان والظلم قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾[٢].

وقد حرم الإسلام الاعتداء على الآخرين دون حق قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[٣].

(١) الحج الآية ٣٩.
(٢) البقرة الآيتان ١٩٠، ١٩١.
(٣) البقرة الآية ١٩٠.

إذ ن أهداف الحرب في الإسلام تختلف عن أسباب ودوافع الحروب الأخرى لأن الحرب عنده دفاع لا عدوان، وليس إلى زيادة اتساع أرض أو فرض نفوذ بل لحماية حرية نشر الدعوة في الإسلام..

ولم يكن يطلب المسلم في قتاله مجداً ومكانة أو سلطاناً لأي سبب شخصي بل من أجل الصالح العام وخالصاً لوجه الله عز وجل دون ريب دون سمعةورياء جاءوا إلى النبي (ﷺ) فقالوا: «إن فلان يقاتل للمغنم ويقاتل فلان للسمعة وفلان يقاتل مكانه؟ وفلان يقاتل حمية ويقاتل غضباً فمن في سبيل الله؟ فقال النبي (ﷺ) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

لقد كان الهدف منسجماً مع العقيدة القتالية في الإسلام وما دام الهدف حماية حرية نشر الدعوة في الإسلام فقد تكرم أحياناً عقد العهود والمواثيق ومن نكث العهد بعد توثيقه أوجب الإسلام قتاله.

قال تعالى: ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾[1].

والإسلام دين السلام فإذا طلب العدو السلام فهنا يجب أن يستجيب إليه المسلم فوراً قال تعالى: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾[2] ﴿ يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدواً مبين ﴾[3] ففي ٢٨ غزوة وحملة التي قام بها النبي (ﷺ) كان هناك قتال مواجهة في تسع غزوات فقط وهي (أحد، بدر، الخندق، بني قريظة بني المصطلق، خيبر، فتح مكة، حنين، الطائف).

أما بقية الغزوات فهي بدون مواجهة وقتال مسلح.

أما أهداف أعداء الإسلام فكان الدفاع عن الوثنية لأنها تستمد هيبتها وقوتها من الأصنام وعبادة الأوثان، لأن الإسلام في نظرهم خطر على جميع

---

(١) التوبة الآية ١٣.

(٢) الأنفال ٦١.

(٣) البقرة الآية ٢٠٨.

مكاسبهم ووجودهم قوله تعالى: ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى منك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً. آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾[1] ونعرف بأن أهدافهم طيش وعصبية جاهلية نابعة عن معتقدات كاذبة وزائفة فهم لا يفقهون شيء ولا يعرفون للمعتقدات الصحيحة أي ثمن ووزن فكابروا وجادلوا وتمسكوا بوثنيتهم ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم، وقال الكافرون: هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا الشيء عجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة، إن هذا إلا اختلاف﴾[2].

ومقابل أهداف المسلمين السامية أن يترك لهم الحرية الكاملة لنشر دعوة الإسلام دون تدخل أعدائه، كان هدف المشركين القضاء على المسلمين في المدينة وفي كافة أماكن وجودهم ومنعهم من القيام بنشر دعوتهم أحراراً. ففي غزوة بدر الكبرى نجد أن أهداف الخصم كانت القضاء على قوات المسلمين وإن تسمع بهم العرب مفاخرة وعزة وتباهي وتعترف بقوتهم وتتلخص أهدافهم في هذه الغزوة على لسان أحد قادتهم أبو جهل (تنحر الجزور وتطعم الطعام وتشرب الخمر وتعزف القيان فتسمع العرب بمسيرها فيها بونها أبداً بعددها) لكن الصراع كان بالعقيدة والدين (لقد كانت معركة بدر صراعاً حاسماً بين عقيدتين. وكانت الجولة الأولى فيها للإسلام)[3]. وفي غزوة الخندق كانت أهداف المسلمين واضحة وأهداف أعدائهم المشركين واليهود والقضاء على المسلمين وانتهاب أموالهم، وغزوة الحديبية شاهد آخر على أهدافهم بصد المسلمين بالقوة عن البيت الحرام وذلك حتى لا تتحدث العرب عن دخول المسلمين إليه بالقوة وهذا مما يقلل من شأنهم ومكانتهم بين القبائل حسب رأيهم وفي غزوة حنين أيضاً كانت أهدافهم القضاء على قوات المسلمين ومنع انتشار

---

(١) آية ٥٧ من سورة القصص.

(٢) آية ٤ من سورة ص.

(٣) ص ٨٤ الرسول القائد محمود شيت خطاب.

الإسلام هذه أهداف أعداء الإسلام على زمن الرسول وبعد عهد الرسول، فكانت كل معركة أهداف الخصم فيها صد المسلمين والقضاء عليهم ومنع انتشار هذا الدين العظيم في العالم وقد طبق المسلمون أهداف العقيدة القتالية وهي الجهاد لله وصانوها بدمائهم الزكية وسالت سخية في ميادين القتال وعاش بها الإسلام خالداً على مر الأزمان والعصور.

نتائج من غزوات ومعارك الإسلام

إن النتائج التي تحققت من قبل المسلمين في معاركهم نتائج عظيمة، فمع قلة العدد عند المسلمين نجد التفوق على خصمهم واضحاً جلياً والفوز عليه بأقل وقت وأقل التكاليف وأعلى كفاءة. هذه هي مدرسة الإسلام العسكرية، بنت الجيش بناء سليماً وصحيحاً فكانت النتائج سليمة وصحيحة، فالأصل هو الأساس فعندما يكون صحيحاً يتطاول البنيان وتكون النتائج ممتازة، فالنتائج تتحقق عندما تكون العقيدة قوية. فالمهم ألا تضعف العقيدة وليس المهم أن يقل العدد (ولا يرجع النصر الذي أحرزه المسلمون في المعارك التي خاضوها إلى كثرة عددهم وقوة أسلحتهم، فقد كان الفارق ضخماً بينهم وبين أعدائهم في كل معركة من حيث العدة والعدو إنما يرجع هذا النصر إلى طبيعة التربية التي قام بها الإسلام في ضمير الفرد وفي واقع المجتمع، تلك التربية التي وصلت بالأمة كلها رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، إلى القوة في كل جوانب النفس وجميع نواحي الحياة)[1].

ففي غزوات ومعارك الإسلام ابتداءاً من غزوة بدر نصر الله المسلمين على المشركين لأنهم أخذوا بأسباب النصر فتحقق لهم النصر من عند الله لقوله تعالى: ﴿ وإذا غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم. إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ فعندما يوجد

---

(١) الجهاد في الإسلام محمد شديد ص ٩٧.

صدق الإيمان وحسن الطاعة وصدق العقيدة يكون النصر مهما قل العدد والعدة وكانت نتيجة معركة بدر نصر الله المسلمين فيها على أعدائهم وأوقعوا بهم خسائر بقتل سبعين رجلاً وأسر سبعين آخرين واستشهد فيها من المسلمين أربعة عشر مسلماً.

وفي غزوة أحد كان سبب الهزيمة مخالفة الرماة الذين عينهم الرسول (ﷺ) على ممر في الجبل لحماية ظهر جيش المسلمين لقوله تعالى: ﴿ حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم. ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلوون على أحدٍ والرسول يدعوكم في آخراكم فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ﴾.

ويلخص أحد القادة أسباب الهزيمة بقوله: ﴿ وماذا تكون قيمة الأعراض الزائلة التي شغلتهم بعض الوقت أمام المصير الرهيب الذي يتهددهم: ضياع النصر من أيديهم شهداؤهم فوق أرض المعركة، جيشهم انفرط عقده، كل هذا من أجل مطامع قليلة كانوا منذ قليل يسمونها «غنائم»! عندما نظرت عيونهم إلى هذا التافه الضئيل اشتغلت به عن القضايا الكبرى: مصير القيادة، الطاعة، والالتزام الدقيق بالخطة حتى النصر)[١].

وفي هذه الغزوة لم تتحقق لأعداء الإسلام أهدافهم السوقية بالقضاء على المسلمين ففشلوا نتيجة لهذا الهدف وحققوا فوزاً بسيطاً في ميدان القتال لكن لم يحسم الموقف لصالحهم فلقد طاردهم رسول الله عليه الصلاة والسلام في اليوم الثاني ولاحقهم لمسافات بعيدة جداً (لأن نتيجة كل معركة عسكرياً لا تقاس بعدد الخسائر بالأرواح فقط بل تقاس بالحصول على هدف القتال الحيوي وهو القضاء المبرم على العدو مادياً ومعنوياً)[٢] ونتيجة هذه الغزوة استطاعت قوى الشرك إيقاع سبعين شهيداً بالمسلمين وقتل منهم اثنان وعشرون رجلاً. ونتيجة

---

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

(٢) الرسول القائد محمود شيت خطاب.

غزوة الخندق عودة الأحزاب من حصار المدينة خائبين واستشهد من المسلمين ستة شهداء ومن المشركين عدد من القتلى. ونتيجة غزوة الحديبية كان عقد هدنة بين المسلمين وقريش وكانت النتائج كالتالي كما وردت في كتاب الرسول القائد:

١ ـ اعتبار المسلمين كطرف مساو لقريش، وهذا اعتراف رسمي بدولة الإسلام من أعدائها.
٢ ـ الهدوء والأمن الذي سمح بحرية للدعوة وانتشار للإسلام.
٣ ـ مخالفة القبائل والتي كانت غير مطمئنة لمحالفة دولة الإسلام والأسباب تعود إلى قوة قريش في ذلك الحين ووجود الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.
٤ ـ كسب المسلمون الرأي العام والتشهير بقريش لصدهم من البيت الحرام وهذا مما جعل القبائل تعطف وتساعد الإسلام تمهيداً لفتح مكة في المستقبل.
٥ ـ نجاح المسلمين في الحصول على الحياد المسلح.

ولهذا فقد دل صلح الحديبية على بعد نظر القائد محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي يدرك الأمور قبل وقوعها وهذا مما عبر عنه أبو بكر قائلاً (لم يجلب نصر الإسلام ما جلب صلح الحديبية).

ونتائج غزوة خيبر سقوط خيبر واستلام فدك ووادي القرى وتيماء واستشهد من المسلمين تسعة عشر شهيداً مع أعداد غير معروفة من الجرحى وفي اليهود خسائر كبيرة جداً في الأرواح والأموال.

وغزوة حنين سجلت في البداية هزيمة لاستهانة المسلمين بعد وهم فقالوا «لن نهزم اليوم من قلة» واهملوا نوايا العدو وتوزيع مواقعه ففاجأهم بهجوم مدبر وهربوا في البداية وكان لثبات رسول الله (ﷺ) في هذه الغزوة الذي نادي عليهم (أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله).

وشن عليهم هجوماً معاكساً وحقق النصر لقوله تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً

وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وكذلك جزاء الكافرين ﴾[1] وكانت نتائجها اندحار هوازن وثقيف ووقوع خسائر كبيرة جداً بالأرواح في صفوف المشركين إما الأموال التي خسروها فكانت أربعة وعشرين ألف بعير وأربعين ألف شاه وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف نسمة من السبي. وكانت النتيجة النهائية انسحاب قوى الشرك من ميدان المعركة انسحاب هزيمة تاركين الأموال والأشخاص غنيمة للمسلمين. وانسحبوا باتجاه الطائف (ثقيف) والقبائل الأخرى باتجاه أوطاس ونخلة. وكانت نتائج غزوة تبوك انسحاب الروم من تبوك، وأقام جنود الإسلام فيها نحو عشرين يوماً وصالحوا جميع قبائل المنطقة.

وكان دور العقيدة هي معارك الإسلام تحقيق نتائج ممتازة فقتيبة بن مسلم وصل بجيشه إلى بلاد الصين واجتاز بلاد ما وراء النهر والهند.

وقد كان دور صلاح الدين الأيوبي الذي أعاد بيت المقدس من غاصبيه وحقق نتائج ممتازة. وقطز صاحب العقيدة القتالية الممتازة الذي تفوق على عدوه في معركة (عين جالوت). ومحمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية وأدخل الإسلام في أوروبا والأندلس وموسى بن نصير. وطارق بن زياد الذي وصل إلى الأندلس وتبقى العقيدة وحدها معه بعد أن قام بحرق سفنه وخاطبهم قائلاً: (العدو أمامكم، والبحر وراءكم ومالكم إلا الإيمان والصبر).

كل هذه الغزوات معارك الإسلام وغيرها حققت نتائج ممتازة بأقل العدد والعدة وكانت النتائج دائماً تتعلق بالعقيدة فلا بأس أن يقل العدد ولكن المشكلة أن تضعف العقيدة، ومعركة حنين تدل بأنه عندما كثر العدو وضعفت العقيدة حصلت الهزيمة في البداية، ولكن عندما قل العدد وقويت العقيدة تحقق النصر وهذا مما يدلنا بأن الإسلام عظيم وعقيدته خالدة وترى بأنه من بين ثمان وعشرين غزوة قادها النبي ضد أعدائه نشب القتال في تسع منها فقط وهي بدر

(١) التوبة ٢٥، ٢٦.

- أحد - الخندق بني قريظة - بني المصطلق - خيبر - فتح مكة - حنين - الطائف وكانت نتائجها بأقل التكاليف كما يبين في الجدول أدناه[1].

الغزوة	عدد المسلمين	الخسائر	النسبة المئوية	ملاحظات
بدر	٣٠٥	١٤	٤,٥٥ تقريباً	
أحد	٧٠٠	٧١	١٠	لحصول مخالفة وعدم الامتثال لأمر رسول الله .
بني المصطلق	١٠٣٠	١	٠,١	
الخندق	٣٠٠٠	٦	٠,٢	
بني قريظة	٣٠٠٠	١	٣.و.	هذه النسب تقريبية
خيبر	١٦٠٠	٢١	١,٢٥	
الفتح	١٠٠٠	٢	٢. و.	
حنين	١٢,٠٠٠	٤	٣. و.	
الطائف	١٢٠٠٠	٤	٣. و.	

وهذا دليل ثابت بأنه حقق الإسلام نتائج ممتازة (بأقل وقت وأعلى كفاءة وأقل التكاليف).

---

(١) مأخوذ من المدخل إلى العقيدة.
والاستراتيجية العسكرية الإسلامية.

الفصل الحادي عشر

مقارنة بين مبادئ الإسلام
والقانون الدولي في الحرب

مقارنة بين مبادئ الإسلام والقانون الدولي في الحرب

نرى أن معظم مبادىء القانون الدولي في الحرب واتفاقيات جنيف مأخوذة ومطابقة لمبادىء الإسلام في الحرب، فالقواعد المنظمة للحرب في القانون الدولي بدأت من ثلاثة قرون وأخذت مبادئها وقوانينها من الشريعة الإسلامية وأول هذه المعاهدات المدونة تصريح باريس البحري سنة ١٨٥٦، ثم اتفاقية جنيف لمعاملة جرحى ومرضى الحرب سنة ١٨٦٤. ثم اتفاقيتا الحرب البرية والبحرية من اتفاقات مؤتمر لاهاي في سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٧. واتفاقية وأشنجتون في سنة ١٩٢٢ عن حرب الغواصات والغازات. ثم اتفاقيات جنيف سنة ١٩٤٩ الخاصة بحماية الأشخاص المدنيين ومعاملة جرحى وأسرى الحرب. ومن ثم سنت قواعد ومبادىء من عصبة الأمم المتحدة والجمعية العامة للأمم المتحدة حددت فيها مبادىء وقواعد متعددة تنظم العلاقات بين الدول المتحاربة. وهذه المبادىء لا تلزم إلاّ من وقع عليها وقد يحصل المخالفات المتعددة لها والمماطلة في تنفيذ بعض بنودها. ولا تزال قواعد ومبادىء الإسلام في الحرب أسمى بكثير من قواعد القانون الدولي ولنورد مقارنة بين مبادىء الإسلام التي ذكرت بالتفصيل في الفصل السابق (مبادىء العقيدة القتالية في الإسلام) ومبادىء القانون الدولي في الحرب.

١ ـ الحرب العادلة الدفاعية عن عقيدة ومبدأ:

فهذا المبدأ الذي شرح بالتفصيل يؤكد بأن الحرب في الإسلام حرب عادلة قال تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا

يحب المعتدين ﴾ فلا تجيز الاعتداء إلا للدفاع عن النفس وقد جاء فيها بعد القانون الدولي فعرف الحرب العادلة (وهي حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ووجدت احترام حياة وإملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن).

وقول الله عز وجل في الوصول إلى السلم: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ فالقصد الوصول إلى السلام الدائم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾.

وقد اصطلح فقهاء القانون الدولي في ذكر الحرب المشروعة أخيراً على أنها تكون في إحدى حالتين.

أ ـ أن تكون دفعاً لاعتداء واقع بالفعل وهذا هو الدفاع عن النفس كما ذكر في الآية القرآنية ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾.

ب ـ أن تكون الحرب لحماية حق ثابت للدولة وانتهكته دولة أخرى دون مبرر وهذا من قبيل الجزاء الذي تحمي به الحقوق.

فحرب الإسلام حرب دفاعية عادلة عن عقيدة ومبدأ وهي حرب مشروعة أما الحرب الغير مشروعة فالتي يعقد بها الفتح والسيطرة وبسط السلطان وقد تحدث في هذا المجال مونتجمري قائلاً: (في وقت من الأوقات كان سبب الحرب يرجع إلى السعي للاستيلاء على أراضي تنتج الطعام بوفرة، ثم جاء عصر امتلاك المستعمرات التي كانت تجلب الثروات للدول الاستعمارية في أوروبا الغربية وقد تم الحصول على هذه الثروات بالقوة المسلحة وكانت المنافسة التجارية بين الدول الأوروبية سبباً لإشعال الحروب) بعكس أهداف حرب الإسلام لحماية حرية نشر الدعوة للإسلام. وهذا مما شهد له جوستفاف لوبون في قوله في كتاب حضارة العرب «إن القوة لم تكن عاملاً في نشر القرآن وإن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من

ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد. ولما كان عليه الإسلام من الهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى وقد عاملوا أهل سورية ومصر وإسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بهم. والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب».

٢ ـ أما المبدأ الثاني للعقيدة القتالية في الإسلام فهو البعد عن الخدعة والغدر والقيام بمباغته العدو بعد عقد المعاهدات للصداقة:

فقد أوجب الإسلام إعلان الحرب لأنه في نظر قادة الإسلام مناسب جداً فقد يطلب العدو نتيجة ذلك السلم وينتهي النزاع دون احتدام مسلح وهذا مفهوم قول الله عز وجل في قوله: ﴿ وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين ﴾ وقد طلب الإسلام أيضاً أنه يجب على المسلمين قبل البدء بقتال الكافرين أن يبلغوهم دعوة الإسلام وهذا يأتي في أمر رسول الله إلى بعض قوادة (إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم الإسلام أو الجزية أو القتال).

فقد قرر القانون الدولي: إن الدولة التي تضطر إلى إعلان الحرب على دولة أخرى يجب عليها قبل البدء أن تعلن للدولة الأخرى بميعاد الحرب، وتخطر الأخرى لتلزم حيادها، والغرض من هذا الإعلان توقي الغدر والأخذ على غرة.

٣ ـ القدرة على حل النزاعات الداخلية بين المسلمين:

وأي فئات متنازعة فهناك قواعد ضمن منهاج محدد وموضوع لفض النزاعات وهو ما حددته الآية القرآنية ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾.

ولقد فشلت عصبة الأمم في وضع قانون محدد لحل النزاع وحسمه بين كل من إيطاليا والحبشة، وبين اليونان وإيطاليا وبين اليابان والصين والأمم

المتحدة فشلت من بعد في حل مشكلة فلسطين ومشاكل ألمانيا الغربية والشرقية ومشكلة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، ومشكلة كوريا وفيتنام والكونغو.

فلا يوجد ولن يوجد قانون محدد ومرن في أسلوب حل النزاع بين المتخاصمين كحلول الإسلام المنطقية.

٤ ـ تحريم قتل المدنيين وعدم القيام بالتخريب والتلف:

فالشريعة الإسلامية حرمت قتل المدنيين وهذا يظهر في أحاديث رسول الله (ﷺ) وفي وصاياه فقد أوصى الرسول جيشه في غزوة مؤته وهو يتأهب للرحيل (لا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً ولا كبيراً فانياً، ولا تحرقن نخلاً، ولا تقلعن شجراً ولا تهدموا بيتاً) فلا يجوز قتل النساء والصبيان والقس في كنائسهم والرهبان في صوامعهم فعن ابن عباس: أن النبي عليه السلام كان إذا بعث جيوشه قال: (لا تقتلوا أصحاب الصوامع).

وقد نص القانون الدولي: أن الرعايا غير المنتظمين في الجيش لا يعدون محاربين، ولا يجوز إلحاق الأذى بهم، وأن وصف المحاربين خاص بكل جندي أو محارب.

٥ ـ احترام العهود والمواثيق:

فالعهود في الإسلام هو عهد الله وملزم الوفاء به قوله تعالى: ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون ﴾.

وقد طلب القانون الدولي المحافظة على العهود والمواثيق بين الدول ولا يجوز نقضها والالتزام بما جاء بها من بنود وشروط ملزمة للدول.

٦ ـ منع الإسلام الإجهاز على الجرحى وحذر من المثلة والنهبة والغلول:

فقد كان النبي (ﷺ) إذا عين أميراً على جيش أو على سرية أوصى في خاصته بتقوى الله ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً). وقال أيضاً: (لا تعذبوا عباد الله) وقد منع القانون الدولي الإجهاز على

الجرحى، وتعذيب العدو، والفتك به غيلة، واستعمال القنابل والقـذائف والأسلحة التي تزيد في التعذيب وقد طلب بأن تحترم جثث القتلى، ومنع التمثيل بها مهما كانت جنسية وانتماء أصحابها وقرر حياد المستشفيات والمحافظة على الأطباء والممرضين والجنود الناقلين للجرحى.

٧ ـ معاملة الأسرى:

فقد أوجب الإسلام معاملتهم بالحسنى قال رسول الله (ﷺ) (استوصوا بالأسارى خيراً).

وقد قرر القانون الدولي في حسن معاملة الأسرى فلا يجوز قتلهم ولا جرحهم ولا إساءة معاملتهم أو تحقيرهم إذا سلموا أنفسهم.

ولكن ومع هذه المقارنة مع القانون الدولي في الحرب. فهل تقيدت الأمم بهذا القانون؟ إن القانون والمبدأ الذي ينص على البعد عن الخدعة والغدر والقيام بمباغتة العدو وإعطاءه إنذاراً للدولة التي يشن عليها الحرب. ثم هناك حالات تم فيها خرق هذه القاعدة الدولية مثل العدوان الياباني على شيمولبر في عام ١٩٠٤، وعدوان بيرل هاربور في كانون الأول عام ١٩٤١ وقد دلت الإحصاءات بأن العالم شهد بين عام ١٧٠٠ و ١٨٧٠ مائة وعشر حالات اندلعت فيها الحرب دون إعلان مسبق، مقابل عشر حالات أنذرت الدولة وفق القواعد المتبعة.

أما مبدأ وقانون تحريم قتل المدنيين وعدم القيام بالتخريب والتلف فنجد أن حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ الحرب العالمية الأولى شهدت حالات خرق للقوانين التي وضعت منذ فترة وكان الخرق يوجه إلى غير المقاتلين في ميدان المعركة وأماكن تواجد القوات المسلحة. فمعاملة الجرحى والأسرى من المقاتلين كانت تجري حسب القانون الدولي ولكنها لا تحمل أي معاملة ومعنى لبقية أبناء الشعب.

وكالعادة كانت اتفاقات ١٩٠٧ قد وضعت حدوداً فاصلة بين القوات المسلحة والسكان المدنيين حرمت فيها كل الأعمال الموجهة إلى غير المتحاربين

ولكن كما ذكرنا عندما جاءت الحرب العالمية الأولى أصبح الجيش والأمة مسلح وأصبح السلاح من أول جندي في الجبهة إلى آخر جندي في عمق البلد من المقدمة إلى المؤخرة حتى إنهم لم يميزوا ضربات المدفعية بعيدة المدى (Grosse Bertha) واعتبروها جرائم خرق للقانون.

وحسب قانون ١٩٠٧ الذي أكد بأن على المقاومة الشعبية أن ترتدي لباساً عسكرياً أو تحمل إشارة مميزة. وقد طبق الحرس الوطني البلجيكي في الحرب العالمية الأولى ذلك. الأمر الذي لم يمنع ويردع القوات الألمانية من اعتبار هذه المجموعات غير شرعية وستضعف وتقتل. وحصل قتل رهائن ومدنيين وقتل النساء والأطفال وإشعال الحرائق وغيرها من الأعمال المشينة والخارقة للأعراف والقوانين الدولية ومثال على قصف المدنيين (قصف روتردام الرهيب) ومهاجمة طرق المواصلات الخاصة باللاجئين وهجوم الألمان والذي عبروا عنه (Conventrisieren) والذي دمر مدينة بأكملها وأيضاً القصف الذي وجه ضد مدن ألمانية مثل قصف (هامبورغ ودرسد).

وقد نص القانون الدولي العام ١٩٠٧ على «أن المتحاربين لا يملكون حقاً غير محدود في اختيار الوسائل التي يستخدمونها لإيذاء العدو. ويحدد سلسلة من الممنوعات مثل قتل أو جرح العدو الذي يستسلم واستخدام قذائف متفجرة أو محرقة زنتها أقل من ٤٠٠ غرام، واستخدام رايات الصليب الأحمر وشاراته، وارتداء زي العدو العسكري، واستخدام الغازات الخانقة) وفي عام ١٩٢٩ درست اتفاقيات جنيف وضع أسرى الحرب ومع هذا فحصل خرق لهذه الاتفاقية بعد عام ١٩٣٠ عند استلام الفاشية في إيطاليا وحربها في الحبشة. وقد مارست الجيوش الألمانية القتل المنظم ضد المفوضين السياسيين السوفييت ومعاملة أسراهم بشكل غير إنساني وإعدام الرهائن وكلها أعمال خرق للأعراف والقوانين الدولية.

وقد طبقت ألمانيا بإعدام ٥٠ مدنياً روسياً مقابل كل جندي ألماني يقتل أو مذبحتي ليديس وأورادور ـ سور ـ غلان الرهيبة شاهد آخر على أعمال القتل والتعذيب للأسرى.

وعندما جاءت الحرب العربية الإسرائيلية في ٦٧ واستخدمت إسرائيل فيها أساليب التعذيب من الدرجة الثالثة والقصف بالنابالم والهجمات الجوية ضد المدن والقرى.

ومن بعد ذلك جاءت الأحلاف المعادية للاستعمار واجتمعت في مؤتمر باندونغ (من ١٨ نيسان حتى ٢٤ منه - ١٩٥٥) الذي ضمّ ٢٩ بلداً وقد حددت مبادىء بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى وعدم الانحياز واحترام حقوق الإنسان، واحترام حق كل أمة في الدفاع عن نفسها أمام الخصم وكما رفضت التحالفات الدفاعية الجماعية التي تستخدم مصالح الدول الكبرى وبعد ذلك حصل خرق لهذه المبادىء[1].

وقد جاء حلف الإطلنطي والذي نص على أن من واجب أعضائه «أن يعملوا ما في وسعهم للتخلص من كل تعارض في سياستهم الاقتصادية الدولية (المادة ٢٧) وأن «يحلوا بالوسائل السلمية كافة الخلافات التي يمكن أن يتعرضوا لها. وأن لا يلجأوا إلى التهديد بالقوة أو استخدامها (المادة ١). ومن الدول المشتركة فيه الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والتي أنشأت وثبتت دولة إسرائيل المزعومة وجاء حلف وارسو (أيار ١٩٥٥) والتي نصت المادة ١ فيه (أن تلجأ الدول المشتركة فيه إلى القوة المسلحة لتسوية مشاكلها الدولية).

ومع هذا خرقت هذه المبادىء على نفس الدول المشتركة فيه فخلاف الاتحاد السوفياتي وهنغاريا شاهد على ذلك.

فالعهود والمواثيق بين الدول لم تحترم ولم يحافظ عليها حسب القانون الدولي وأصبحت عهود صورية تخفي ورائها الخبث والدجل والتعطش لسلطة البطش والإرهاب فمن مشروع باريس البحري سنة ١٨٥٦، ثم اتفاقية جنيف لمعاملة جرحى ومرض الحرب سنة ١٨٦٤. ثم اتفاقيتا الحرب البرية والبحرية من اتفاقات مؤتمر لاهاي في سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٧ واتفاقية واشنجتون في سنة ١٩٢٢ عن حرب الغواصات والغازات. ثم اتفاقات جنيف الأربعة سنة ١٩٤٩ الخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب وحماية المدنيين.

كل هذه الاتفاقيات خُرقت مبادؤها حتى بين دولتين موقعتين على اتفاقاتها

بتنظيم الحرب بينهم فإذا أخلت إحداهما فللأخرى أن تعاملها بالمثل. بعكس معاملة الإسلام إذ لا يجيز استخدام هذا الأسلوب. وشتان ما بين الأحلاف التي ذكرناها من وارسو وحلف الإطلنطي وعدم الالتزام بمبادئها وحلف وصحيفة المدينة المنورة الذي طلب وأكد فيه رسول الله (ﷺ) أن يوحد أهل المدينة ويزيل بينهم الخلافات وأن يقضي على كل شبهة قد تثير العداوة القديمة بينهم وعقد معاهدة بين المسلمين من جهة وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى ولنرى ماذا قررت كما ذكرها اللواء محمد جمال الدين محفوظ (من النواحي العسكرية):

١ - قيادة محمد رسول الله لكافة سكان المدينة مسلمين ومشركين ويهود. فإليه يرجع الأمر كله، وله أن يحكم في كل اختلاف يقع بين السكان وبذلك أصبح محمد هو القائد العام في المدينة.
٢ - تعاون أهل المدينة جميعاً في رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج.
٣ - في حالة الحرب لرد العدوان عن المدينة، تتولى كل طائفة الاتفاق على نفسها «على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة».

وبهذا العمل السياسي والاستراتيجي البارع، حقق الرسول وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية، وجعل أهلها جميعاً على اختلاف دينهم يداً واحدة على أعدائهم كما وضع لمجتمع المدينة، نظامه الاجتماعي والاقتصادي والعسكري.

وقد نجح رسول الله (ﷺ) بذلك فهل نجحت الأحلاف التي اعتمدت على المصالح وتركت المبادىء، والتي لا تلتزم في القانون الدولي وتحرّفه حسب ظروفها السياسية والاقتصادية؟

وبهذا أصبح العالم لا يلتزم بأمانة الكلمة ومواثيق وعهود الأوفياء وأصبح العالم دون تمسك بالمبادىء الإسلامية في الحرب في ضياع مستمر، والمحصلة النهائية دمار شامل وحرب مدمرة. ومبادىء العقيدة القتالية في الإسلام ومبادىء الحرب واضحة ومعروفة ولقد ذكرت بالتفصيل في الفصل السادس وهي تدل

على أنها مبادىء صالحة لكل زمان ومكان وعندما طبقت أصبح الجندي المسلم له مكانة عالية مرموقة بعد أن كان لا يذكر ولا له وجود قبل الإسلام وفي هذا المعنى يقول الرائد الركن بهاء الدين محمد والرائد جمال خلفات في كتاب العسكرية الإسلامية (علينا التأسي بأولئك الأبطال الميامين الذين اجتذبهم الإسلام من الكهوف وأغوار الوديان حفاة عراة ثم أقعدهم بعد أن صهرهم في بوتقة الإيمان أمام دفة قيادة الدنيا فصنعوا بالإسلام وصنع الإسلام بهم تاريخاً لم تشهد الدنيا مثله في البناء والعظمة والنزاهة والإشراق تاريخاً في خلقه عظيماً في بطولته فذاً في استقامته مفلحاً في قيادته شباب يجمع بين صدق أبي بكر وعدل عمر ونبل عثمان وفروسية علي وبسالة خالد وحنكة عمرو وحلم معاوية وإقدام الزبير) وبهذه وصلت جيوشهم من الصين إلى المحيط الأطلسي ويؤكد ذلك قولهم: (يوم كانت جيوش الإسلام تتوغل في أحشاء أوروبا الغربية ويقف أمامها (أيام بني أمية) خمسماية ألف مقاتل على بعد ثلاثمائة كيلومتراً من باريس في الوقت الذي كانت فيه مئات الألوف من جنود دمشق الأمويين وقادتها تندفع كالطوفان نحو الشرق جارفة معالم الوثنية وآثار المجوسية لتلقي بها في مزابل التاريخ).



فهرس

الموضوع | الصفحة

المراجع العربية

الكتاب	المؤلف
المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية:	اللواء محمد جمال الدين محفوظ
بين العقيدة والقيادة:	اللواء الركن محمود شيت خطاب.
الرسول القائد:	اللواء الركن محمود شيت خطاب.
المدرسة العسكرية الإسلامية:	محمد فرج.
فن إدارة المعركة في الإسلام:	محمد فرج.
العقائد الإسلامية:	السيد سابق.
نور اليقين في سيرة سيد المرسلين:	الشيخ محمد الخضري.
العسكرية الإسلامية وقادتها العظام:	الرائد الركن بهاء الدين محمد أسعد الرائد جمال خليفات.
الاستراتيجية الإسلامية:	الرائد وليد جرادات.
الرسول:	سعيد حوى.
الحرب عبر التاريخ:	فيلد مارشال مونتجمري.
خطة إسرائيل لإقامة الكيان الماروني:	ليفيار روكاخ.
العرب واليهود في التاريخ:	الدكتور أحمد سوسة.
الاستراتيجية وتاريخها في العالم:	ليدل هارت.
الردع والاستراتيجية:	الجنرال أندريه بوفر (ترجمة أكرم ديري)
مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية:	الجنرال أندريه بوفر.

المؤلف	الكتاب
لجنة نشر	بروتوكول حكماء صهيون:
الجنرال أميلي دانتي (تعريب أكرم ديري المقدم الهيثم الأيوبي).	فن الحرب:
مونتجمري (تعريب العميد الركن حسن مصطفى).	السبيل إلى القيادة:
الدكتور علي سامي النشار.	شهداء الإسلام في عهد النبوة:
المارشال سوكولوفسكي.	الاستراتيجية العسكرية السوفياتية:
فوق كويمر.	الشرق تحت حكم الخلفاء:
أحمد هاني.	الجاسوسية بين الوقاية والعلاج:
خيري حماد.	الصهيونية:
إعداد اللواء الركن سالم الترك.	نشرة عن العقيدة القتالية:
أعداد العميد الركن حمزة العزب.	نشرة عن العقيدة القتالية:

المراجع الأجنبية

1 - The Great Arab Congaests — **John Baget Glubb.**

2 - The Arabs, A Short History — **Philip K. Hitti.**

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

٢٠/١/١٩٨٦